ثلاثية ريكيافيك 1

الطبعة الثانية

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفخ

ليليا سيجورادوتير

ترجمة: آية أشرف دخانة

روايات مترجمة

العربي للنشر والتوزيع

1

ثلاثية ريكيافيك

مكتبة | 1335

الفخ

الفخ

تأليف: ليليا سيجورادوتير

ترجمة: آية أشرف دخانة

تحرير ومراجعة: سارة نجيب

مُراجعةٌ لُغوية: نهال جمال

مكتبة
t.me/soramnqraa
6 9 2023

الطبعة الأولى: نوفمبر 2020
الطبعة الثانية: يناير 2022
رقم الإيداع: 2020/10053
الترقيم الدولي: 9789773195861

© جميع الحقوق محفوظة على النّاشر

60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة - مصر
ت: 27921943 (202+) - 27954529 (202+)، ف: 27947566 (202+)
www.alarabipublishing.com.eg

تصميم الغلاف: أحمد عز

Copyright © Lilja Sigurdardottir, 2015

Title of the original Icelandic edition: *Gildran*
Published by agreement with Forlagið, www.forlagid.is

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا
@alarabipd

ليليا سيجورادوتير

الفخ

رواية من أيسلندا

مكتبة | 1335

ترجمة: آية أشرف دخانة

العربي للنشر والتوزيع

This book has been translated with a financial support from:

تم ترجمة هذا العمل بتمويل من:

ICELANDIC LITERATURE CENTER

تمت مراعاة المعايير البيئية في أثناء إعداد هذا الكتاب

We took into consideration the environment while doing this book

بطاقة فهرسة

سيجورادوتير، ليليا

الفخ/ تأليف: ليليا سيجورادوتير، ترجمة آية أشرف.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع - 2020.

ص؛ سم.

تدمك: 9789773195861

1- القصص الأيسلندية

أ- أشرف، آية (مترجم)

ب- العنوان 839,693

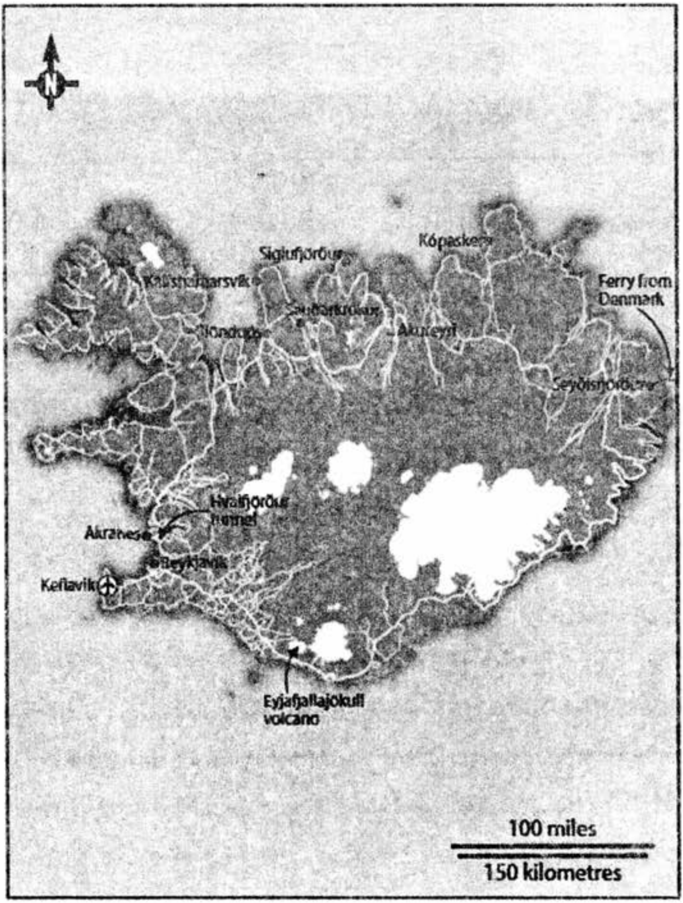
N
Siglufjörður
Kópasker
Ferry from Danmark
Akureyri
Hvalfjörður tunnel
Akranes
Reykjavík
Keflavík
Eyjafjallajökull volcano
100 miles
150 kilometres

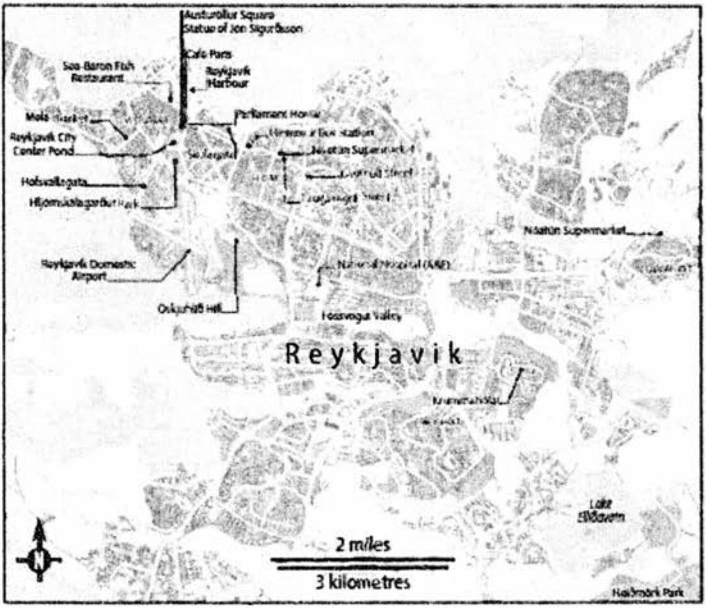
Austurvöllur Square
Cafe Paris
Sea-Baron Fish Restaurant
Reykjavik Harbour
Parliament House
Reykjavik City Center Pond
Hofsvallagata
Reykjavik Domestic Airport
Fossvogur Valley
Reykjavik
Nóatún Supermarket
Lake Elliðavatn
2 miles
3 kilometres
Heiðmörk Park

من نوفمبر إلى ديسمبر 2010..

1

على الرغم من انتهاء القهوة في كوبها الورقي، وقفت "سونيا" شاردة الذهن بجانب الطاولة المستديرة، تتظاهر بشرب المزيد عبر فتحة الغطاء البلاستيكي وهي تشاهد صف الركاب المتجهين إلى أيسلندا.

كان مطار "كاستروب" هادئًا في تلك الساعة المتأخرة إلا من بضع رحلات التي ستبدأ في مواعيدها المحددة. تمكنت "سونيا" من سماع صوت أغنية "أجراس عيد الميلاد" باللغة الدنماركية من المقهى المجاور.

أخذت تتصفح كتيبًا لحقائب "سامسونايت" الذي لا يزال ملقى على الطاولة. حفظت ما به، وتذكرت الصور التي لفتت انتباهها آخر مرة في هذا المطار. لم يتبقَ إلا ساعتان على رحلتها، لكنها تهيأت نفسيًّا لتأجيل السفر واستخدام التذكرة التي حجزتها لرحلة الصباح التالي، تلك هي خطتها البديلة، فسواء سافرت تلك الليلة أم صباح اليوم التالي، لن يُشكل هذا فرقًا، فكل شيء جاهز؛ ما دامت عندها خطة بديلة أو طريق آخر تسلكه إذا لم تسر الأمور كما خطَّطت لها، أو إذا شعرت بحدوث شيء ما. ونظرًا إلى أنه لا أحد ينتظرها على الجانب الآخر، فقد اعتادت على الإقامة بفنادق المطارات. كانت بالفعل على وشك تنفيذ خطتها البديلة، إلى أن شاهدت امرأة تدخل المطار؛ بدت على عجلة

من أمرها وكأن شيئًا سيفوتها، لكن بمجرد أن لمحت صف المسافرين لرحلتها، أبطأت قليلًا، واستطاعت "سونيا" بالكاد سماع صوت تنهدها.

كانت كمعظم الآيسلنديات؛ طويلة، بشعر أشقر مائل للرمادي. انضمت "سونيا" للصف خلفها، وشعرت بالذنب لما خططت لفعله، فما ذنب تلك الغريبة؟! في ظروف أخرى كان بإمكانهما الجلوس والحديث معًا حتى وقت الرحلة، لكن ليس هذا وقت الشعور بالذنب. كانت تلك المرأة مناسبة تمامًا؛ لا حاجة للخطة البديلة الآن. كانت حقيبتها الـ"سامسونايت" الفضية التي جعلتها اختيارًا مثاليًا. لاحظت أيضًا أنها تحمل حقيبة ظهر، مما يعني أنها سيتحتم عليها شحن حقيبة سفرها، وهو حال جميع الآيسلنديين، فهم مولعون بالأناقة، حتى عندما يتعلق الأمر بحقائب السفر. تقدم الصف ببطء و"سونيا" تراقب المرأة، حين ارتفع صوت تنبيه في المطار يذكّر بعدم ترك الأمتعة من دون مراقبة. بدا أن السيدة تفكر في أشياء أخرى، حيث بدت وكأنها لم تسمع التنبيه أو اعتقدت أن الكلام لم يوجَّه لها، فهي لم تفكر في مجرد النظر للاطمئنان على حقيبتها كما فعل معظم الناس تلقائيًا بعد سماع التنبيه، فلم تكن من النوع القلِق، وهذا ما سهَّل على "سونيا" خطتها.

ابتسمت "سونيا" عندما وجدت عائلة تنضم للصف وتقف خلفها، سيكون الأمر سهلًا للغاية. فتوجهت لمن خلفها في الصف وقالت:

- تفضل بالوقوف أمامي إذا أردت.

أجاب الرجل، وهو يدفع عربة أطفال أمام "سونيا":

- هل أنتِ متأكدة؟

أجابت مُرحِّبة:

- على العائلات ذوي الأطفال الذهاب أولًا، كم عمرهما؟

أجاب الرجل:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- عامان، وسبعة أعوام.

امتزجت إجابته بابتسامة ودودة، تلك التي تظهر عند ذكر الآباء لأطفالهم. حاولت "سونيا" مرارًا معرفة الدافع وراء تلك الابتسامة، وكل مرة كانت تتوصل إلى أنه الشعور بالفخر. وتساءلت إذا كان "آدم" لا يزال يبتسم بهذه الطريقة، حين يتحدث عن "تيوماس". مر عامان منذ أن رأت "آدم" آخر مرة، أما الآن، الرابط بينهما هو بعض الرسائل النصية حول إحضار "تيوماس" أو أخذه.

شاهدت "سونيا" أفراد الأسرة وهم يتقدمون بأمتعتهم وأطفالهم في صف المسافرين، شعرت وكأن الأمر قد مر عليه عقود منذ أن سافرت هي و"آدم" للخارج مع "تيوماس" عندما كان طفلًا، ومحملين بالأمتعة كتلك الأسرة، وكثيري السؤال عن الحمامات، ويشعرون بالقلق من كونهم فريسة سهلة للسرقة. في ذلك الوقت، كان من السهل جدًا أن يصابوا بالقلق لتفاصيل هي الآن تبدو تافهة؛ لم يكونوا يعلمون كم هي ثمينة تلك الأوقات التي لم يكن لديهم فيها أمر خطير ليثير قلقهم. منذ أن وقعت "سونيا" في هذا الفخ، صُدِمت من استمرار تأثير آلام الماضي عليها حتى الآن. رؤية الأطفال غالبًا هي التي تدخلها في تلك الدوامة من الذكريات. كان الولد الأكبر، ذو السبع سنوات، في حجم "تيوماس"، أو الحجم الذي كان عليه عندما رأته آخر مرة. لا شك أنه كبر منذ ذلك الحين، أو زاد طوله بضع بوصات.

وصلت السيدة الشقراء بحقيبتها الـ"سامسونايت" إلى مكتب الجوازات. وُجود تلك العائلة أعطى "سونيا" فرصة للتأكد من مرور حقيبة المرأة على السير الناقل دون عقبات. جاء دور "سونيا" عند مكتب الجوازات وشعرت بقوة ضربات قلبها، وعندها تذكرت أول مرة لها في الفخ، شعرت بالذنب لاستمتاعها بما كانت يجب أن تخاف منه؛ بقوة ضربات قلبها وتوترها وما يتبعها من شعور ممتع. أما الآن، علمت أنه لا توجد طريقة أخرى للقيام بهذا سوى أن تلجم الأدرينالين المندفع لتحقق هدفها. الذين توتروا ولمعت أعينهم

ولم يتحملوا الضغط هم من تم القبض عليهم، أما من ظل كـ"سونيا"؛ سيدة هادئة من الطبقة الوسطى، وراقب عن بُعد، لم يمسسه أذى، فالحرص ينفع صاحبه. سألها مسؤول مكتب الجوازات:

- ألا توجد أمتعة معكِ؟

هزت رأسها وابتسمت، ثم سلمت جواز سفرها، وبمجرد أن أخذته مرة أخرى مع التذكرة، كادت تسمع دقات قلبها كإيقاع طبلة منتظم.

2

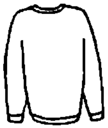

طبَّق "تيوماس" "تيشيرتين" ووضعهما في حقيبته، وقبل أن يغلقها، قرر أن يأخذ الـ"بلوڤر" البرتقالي الذي أهدته له والدته.

قال والده إنه لون أنثوي، لكن "تيوماس" ووالدته لم يوافقانه الرأي، لأنهما يعرفان أنه لون "تيشيرت" المنتخب الهولندي.

لم يكن الأب يعرف شيئًا عن كرة القدم بقدر ما كان مهتمًا بالجولف. شعر "تيوماس" بالراحة تجاه هذا الأمر، لأن المرات القليلة التي حضر فيها والده ليشاهده وهو يتدرب، كان يشتته وهو يقف على خط الملعب ويصرخ بتعليمات سخيفة مثل: "أوقف هذا المدافع. توقف عن الركل كالأعرج. كُف عن الجري مثل كبار السن". فبعد أن انتقلت والدته للعيش في "ريكياڤيك" العاصمة، فضَّل "تيوماس" الذهاب إلى تدريباته وحيدًا. كان يجد أمه أحيانًا في صفوف المشجعين وقت البطولات، تهتف باسمه وتلوح له بسعادة، يرى الفخر والحب في ابتسامتها. كان يرى تلك الابتسامة

كلما تحرك في الملعب حتى لو لم يسجل أي هدف، وتمنى لو سمح والده ذات يوم لوالدته باصطحابه إلى البطولات حتى لا تضطر للحضور خلسة ومشاهدته من بعيد، أو تنتظره كباقي الأمهات لتعانقه بين الشوطين مع وجبة خفيفة.

وضع "تيوماس" لعبة النرد "ياتزي" في حقيبته أيضًا، كاد ينسى أن يأخذها معه عند والدته، فعندما سأل أمه الشهر الماضي عما إذا كانت تريد أن تلعب معه تلك اللعبة، أجابته أنها لا تملك واحدة. وعلى أي حال، لا يلعبها أحد في منزل والده.

سمع والده منفعلًا من خارج الغرفة - كعادته حين يتعلق الأمر بالذهاب إلى والدته في العطلات - وهو يسأله:

- ألم تنتهِ بعد؟

أجاب "تيوماس":

- أردت فقط أن أكون جاهزًا.

قالها وهو يغلق حقيبته حتى لا يرى والده اللعبة أو السترة البرتقالية، ففي كل مرة رأى ما بداخلها، حدثت مشكلة، ففضَّل أن يجهز مبكرًا حتى يعطي والده قبلة سريعة، ويركض مسرعًا للسيارة حين تأتي والدته لاصطحابه.

3

عند وصولها نقطة التفتيش، خلعت "سونيا" حزامها ووضعته في المكان المخصص لفحص المعادن ومعه المعطف والحذاء. كان مشبك الحزام القطعة

المعدنية الوحيدة في ملابسها. خلعت أيضًا أقراطها وخواتمها، ووضعتهم في جيب المعطف. تعرف أنه لا توجد حاجة لذلك، لكنها لم تكن مستعدة لمخاطرة تجعلها عرضة لتفتيش ذاتي، مع أن الطرد مخبأ بين ساقيها، وهذا مكان، على الأرجح، لن يصل إليه التفتيش! كانت شديدة الحرص والقلق، ولم يضرها هذا.

حبست أنفاسها وهي تمر بجهاز كشف المعادن، على الرغم من أنها تعرف أنه لن يصدر صوتًا، وابتسمت لطاقم الأمن، ثم سحبت حقيبة يدها من على السير الناقل. لم تحمل ما يثير الشكوك، فقط أشياء عادية، مثل أوراق السفر ومشط ومرطب للشفاه وعلبة بودرة وكيس علكة مفتوح وكتاب ورقي غلافه مهترئ وكتيب حقائب "سامسونايت".

رأت "سونيا" تلك العائلة مجددًا وهم يدخلون صالة السفر، ثم فجأة يعودون أدراجهم ناحية متجر الحقائب. نظرت إلى صف المتاجر فوجدته هادئًا بسبب غلق معظم المتاجر. سبب هذا ذعرًا لها! ثم تذكرت أنه لا تُوجد لمتاجر المطارات مواعيد محددة، فهي تسير وفق أعداد المسافرين، لكنها حاولت استجماع ثباتها مرة أخرى لاستكمال خطتها، فلا يمكنها العودة الآن، يجب أن يسير الأمر بسلاسة. أخذت تسرع بقدر ما استطاعت بسبب ما تحمله، ومن حين لآخر وقفت لتلتقط أنفاسها، وبمجرد أن رأت أن متجر الحقائب ما زال مفتوحًا، بدت وكأن مادة مخدرة قد انسابت في عروقها. قالت للفتاة في المتجر:

- مساء الخير.

بحثت بعينيها على الأرفف، ثم وجدتها، بزاويةٍ في الأسفل، حقيبة سفر "سامسونايت" مصنوعة من التيتانيوم. حملتها "سونيا" وهي تهز رأسها بعدم اهتمام بينما تخبرها البائعة أن هناك ما هو أفضل من هذا الشكل وبسعر أفضل، ولكن هذه الحقيبة كانت هي المنشودة. ما إن اشترتها حتى ذهبت بها إلى حمام السيدات، بالقسم المخصص للأمهات والأطفال، نزعت غلاف السعر منها وفتحتها، ووضعت فيها حقيبة

يدها بكل ما فيها إلا أوراق السفر المهمة، كجواز السفر والتذكرة، وكذلك الكتاب ذي الغلاف الورقي والمحفظة. وبهذا أخلت هويتها من حقيبة السفر. حاولت بعد ذلك رفع تنورتها الضيقة وخلعت بنطالها وأخذت ما كانت تحمله بين ساقيها، وحين وجدته مبللًا بالعرق، اضطرت أن تمسحه بمنديل قبل أن تضعه بجيب الحقيبة السري. والآن هي في حاجة لتملأ الحقيبة بأي شيء. تركت الحمام وعادت مرة أخرى إلى صالة المتاجر تبحث عن أغراض تشتريها لتملأ بها حقيبة السفر. تذكرت "تيوماس" بمجرد أن مرت بمحلات الديكور وهدايا عيد الميلاد. أحست بأجواء عيد الميلاد دائمًا في هذا الوقت من العام. ربما لأن الدنمارك مشهورة بمراسمه، أو لأن العديد من التقاليد الآيسلندية جاءت من هذا المكان. لم تكن بحالة تسمح بالاحتفال على أي حال، فتخطت هذه المتاجر.

بدلًا من ذلك، اشترت لـ"تيوماس" دبًا يحمل علم الدنمارك، وعلبة كبيرة من البسكويت عليها صور العائلة المالكة، وكيسًا ضخمًا من الشوكولاتة الصغيرة التي يمكن أن يعطي منها لأصدقائه في حفل عيد ميلاده. أضافت أيضًا "تيشيرت" مخططًا ومجلة مليئة بصور لاعبيه المفضلين. جلست على مقعد خارج المتجر بعد أن انتهت لتملأ حقيبة السفر بتلك الأشياء. وحيث إنه من البَدَهِيِّ ألا تمر امرأة من المطار دون شراء شيء لنفسها، مشت "سونيا" تجر حقيبتها خلفها متجهة إلى محل العطور.

دائمًا ما كان الإقلاع هو الجزء المفضل لدى "سونيا" في أي رحلة. لم تعلم السر وراء هذا، ربما لأنها كانت تبحث عما يجبرها على الاستسلام، فتجده في قوة ضغط محرك الطائرة؟ أم إحساسها بالنجاح في اجتياز مخاطرة أخرى في المطار؟ أو ربما كانت تلك الطمأنينة التي تجدها وسط السماء، بعيدًا عن نطاق البشر؟ رمت قطعة علكة في فمها، ثم وضعت الكتاب ذا الغلاف الورقي الذي كان معها في جيب ظهر المقعد الذي أمامها لتتصفح قائمة الأفلام على شاشة العرض، لمعرفة ما إذا كانت الخطوط الأوروبية تعرض أفلامًا جديدة، فالقائمة تتغير كل أسبوعين. وقد شاهدت كل الأفلام المتاحة خلال رحلاتها، لذا قررت أن تقرأ هذه المرة. ساد الهدوء

في الطائرة الآن، ولم يبدأ الطاقم في تقديم الوجبات بعد. مالت "سونيا" عن مقعدها لترى عدد الأيدي المتشبثة بمقاعدها، وانتابها شعور غريب حين تذكرت أول رحلة لها وكيف كانت ترتعب من الطيران، كان هذا قبل أن يبدأ كل شيء.

4

أحكم "براجي" ربطة عنقه ومشّط شعره الرمادي. دائمًا ما يشعر بالاسترخاء عندما يصل إلى عمله الذي أحبه بشدة. لم يفهم تردد أولئك المتقاعسين عن الذهاب إلى أعمالهم، وكان دائم الغضب من رغبة موظفي الجمارك الشباب في الحصول على إجازات، فهو دائمًا مستمتع بعمله. هناك المزيد من العمل يجب إتمامه، حتى إذا بدأ في ساعة متأخرة في الليل، لا تتوقف المفاجآت. كانت الأشياء التي حاول البعض تهريبها غير معقولة؛ حاول أحدهم منذ أسبوع تهريب المئات من الضفادع في حقائبه، كان يضعها في أوعية بلاستيكية. وحاولت سيدة في الشهر الماضي تهريب قرص كبير من الجبن وسط ملابسها، كان مصنوعًا من الحليب غير المبستر، فما كان أمام "براجي" إلا مصادرته، وفرض غرامة على السيدة، التي ظهر الامتعاض عليها دون أن تتفوه بكلمة. ولكن كانت هذه حالات غريبة؛ لم يشكل أحد منهم مشكلة أبدًا عند مقارنتهم بالمهربين الأكثر احترافًا وخطورة.

تغير الكثير خلال ثلاثين عامًا من عمله في الجمارك، فحين بدأ، كانت زجاجات البيرة هي أكثر ما يتم تهريبه، وقد تم لاحقًا السماح بدخولها، بالإضافة إلى بعض الآيسلنديين الذين حاولوا خرق القوانين بتهريب اللحوم والسجق المصنَّع من لحم الخنزير فيما بعد! بدا الأمر وكأن الآيسلنديين أُصيبوا بجنون تناول هذا السجق بمجرد مغادرتهم البلاد. أما الآن، فيمكنك شراء السجق الدنماركي من أي سوبر ماركت، كما أصبح إحضار البيرة للبلاد أمرًا قانونيًا.

أوحت فكرة تهريب الأغذية فيما بعد إلى بعض المهربين بالبدء في الإتجار بالمخدرات، لذا تورط الكثير منهم مع الشرطة وأمن المطار، الذين راقبوا تحركات المشتبه فيهم بينما يغادرون ويعودون إلى البلاد. وعلى الرغم من تعدد أساليب التفتيش القديمة والحديثة، مثل الكلاب البوليسية والأشعة تحت الحمراء للدوائر التليفزيونية المراقبة وغيرها، دائمًا ما يتفوق المهربون على الجهات المسؤولة. لم يستطع فهم سبب شكوى الناس من استخدام الشرطة لأوامر استباقية للتحقيق في النشاط الإجرامي المحتمل، ومع ذلك رأى أن تلك الطريقة هي الحل الأمثل لهذه الظروف. ومع شكوك "براجي" وبقية مسؤولي الجمارك في تصرفات بعض المسافرين، لم يستطيعوا الإيقاع بأحد منهم لشدة حذرهم. فبدا أن تجارة المخدرات قادرة على التكيف مع كل جديد. شعر "براجي" بأن هؤلاء البغال الصغار ليسوا مصدر القلق، بل إنه يتم إرسالهم عن قصد كطعم لمسؤولي الجمارك، لتشتيتهم عن المهربين الحقيقيين بالشحنات الكبيرة، فكل المشتبهين بدوا أناسًا عاديين وليسوا صبيانًا لهؤلاء التجار الذين لا يمكن التضحية بهم.

أدخل "براجي" بطاقته في جهاز تسجيل الوقت عند وصوله ليبدأ دوامه، صوت تعرف الجهاز على بطاقته هو ما يشعره بالراحة. كان هذا الجهاز في مبنى المطار القديم وأحضروه معهم حين انتقلوا إلى المبنى الجديد، ويُعد هو الشيء الوحيد الذي ظل كما هو.

المطار هادئ، فلن تصل إلا ثلاث رحلات في المساء وطوال الليل؛ من أمستردام ولندن وكوبنهاجن، وهذا يعني أن كل شيء على ما يرام. ومع ذلك، فقد أدى انتشار وباء الإنفلونزا إلى قلة عدد الموظفين في المطار. وبالتالي، قرر "براجي" عدم إجراء أي عمليات تفتيش في تلك الليلة. لم تخبرهم المباحث بأي شيء مشكوك فيه، فبدا كدوام يوم ثلاثاء عادي، فلم يكن هناك ما يكفي حتى للقيام بمراقبة الأمتعة كلها، وفي الوقت نفسه لم يكن هناك ما يثير الشكوك. في طريقه، مر على صالة الأمتعة وتأكد أن هناك ضابطين يقفان، أرسل بعد ذلك فتاة صغيرة لتحضر له كوبًا من القهوة، لم يستطع تذكر اسمها، لكنها تعمل في المطار، ثم ذهب إلى مكانه بجوار النافذة لمتابعة المسافرين وهم يصلون إلى صالة الوصول. نظر كعادته إلى حشد المسافرين وهم يهرولون إلى صالة المطار كقطيع من الغنم، وبحكم عمله، لاحظ هذا التدافع بشكل عام، دون التركيز على شخص بعينه. انتظر ظهور أي علامة قد تكون دليل إدانة أحدهم، ربما يكون شخص مختلف وقلوق، أو يحاول دائمًا الانشقاق عن الجماعة.

انقسم هذا الحشد عند الوصول، فيتجه الثلثان إلى متاجر الأسواق الحرة والباقي يتجهون إلى العربات مباشرة. عندما بدأ المسافرون في استلام حقائبهم، حاول "براجي" تحديد عدد الحقائب بالنسبة إلى المسافرين، ولكن لم يكن بحوزة أي شخص الكثير من الأمتعة، باستثناء العائلات ذات الأطفال بالطبع، فلم يستطع إلقاء اللوم على العائلات لشراء الكثير من ملابس الأطفال الرخيصة وهم عائدون من الخارج، فقد كان اقتصاد الدولة بهذا الوقت في حالة من الانهيار، لدرجة أنه كان بحوزة إحدى العائلات ثماني حقائب تنم عن ثقلها، لكنه سمح لهم بالمرور مع أطفالهم النيام.

شعر بعدها أنه ارتكب خطأً وأخذ يفكر بالأمر مرارًا، فقد كان من المفترض أن يوقفهم أو أن يتحقق حتى من الأمتعة، لكنه عاد وبرر لنفسه أنه لم يتنبه لحدوث شيء، ولم يشعر بالريبة تجاه أحد، بل إن جميع الوجوه التي رآها كانت مألوفة.

امتلأت صالة الوصول بعد ذلك بالسائحين، من بينهم بعض الأشخاص الذين يسافرون بشكل متكرر على هذه الخطوط؛ مثل زوجة الرئيس كثيرة السفر دون داعٍ، وعازف الكمان المشهور الذي يسافر إلى لندن كل أسبوع، وتلك المرأة صغيرة الحجم ذات المعطف التي طالما لفتت انتباهه، اعتقد "براجي" أنها تعمل في الخارج لقيامها برحلات عدة هذا الشهر؛ فقد كانت أنيقة، وامتلكت شيئًا مميزًا لم يعرف ما هو! كانت أشبه بنجمة سينمائية، وفي كل مرة يراها، يتساءل إذا كان هذا هو السبب في أناقتها أو أن هناك أسبابًا أخرى. فاليوم كان عاديًا، ولم يحدث فيه شيء غير مألوف.

في نهاية اليوم، تنهد "براجي" برضا لوجوده في هذا المكان، فهو حيث ينتمي، ولديه كل نية للبقاء ما دام يستطيع. وعلى الرغم من الضجة التي يثيرها البعض بشأن التقاعد، لم ينوِ الذهاب إلى أي مكان آخر.

5

مكتبة
t.me/soramnqraa

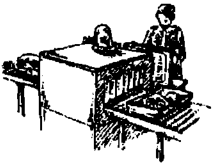

شعرت "سونيا" بضربات قلبها تزداد قوة مرة أخرى ما إن وطأت قدماها أرض "كفلافيك"، أحست أنه على وشك الانفجار، بعد أن ملأته السكينة في السماء.

ولطالما فكرت في المكان الذي تنتظرها فيه الشرطة لتلقي القبض عليها إن علموا بأمرها، تصورت أنه سيكون هنا؛ في ممر الوصول، مع أن الأوقع أن يكونوا في قسم الجمارك! فهي بمثابة البوابة الرئيسة لدخول البلاد.

لم يكن لديها أي فكرة من أين تأتيها تلك الأفكار التي حاصرتها كلما هبطت من أي طائرة، فهي تعمل وحدها، ولا أحد يعلم بتحركاتها، ولم يحدث أن بلَّغت أي فرد بميعاد وصولها بالبضائع، تلك كانت الشروط - إذا كان يمكن تسميتها بذلك - التي أصرت عليها منذ بداية تورطها في الأمر. لم تكن في حالة أو مكانة تسمح لها بإعطاء الأوامر أو الشروط، لكنها أخبرتهم أنها تحب أن تنجز الأعمال على طريقتها، وها قد مر أكثر من عام، والجميع راضٍ عن النتائج، فلم يحدث أن تأخرت البضائع عن أسبوع التسليم المحدد، أو حدث خطأ ما. ومن جانبهم، وثقوا بها تمامًا، ليس لمعرفتهم بها فقط، بل لمعرفتهم أيضًا تفاصيل كثيرة أهمها مكان ابنها "تيوماس".

غطت كاميرات المراقبة ممر الوصول بالكامل، فانتبهت ألا تصدر تصرفًا يثير الشكوك، كالذهاب إلى الحمام بعد نزولها مباشرة، أو الجلوس على الأرض لترتيب أمتعتها، أو النظر حولها والبحث عن مكان الكاميرات؛ وتلك أخطرهم. فمن المنطقي أن يكون الفرد متوترًا قليلًا قبل الإقلاع وليس عند الهبوط. والآن يجب عليها أن تنتبه لكل هذا دون أن يظهر عليها ما يثير الارتياب، فتوصلت إلى أن الحل الأمثل هو أن تسير بممر الوصول وكأن كل شيء على ما يرام، متظاهرة ببعض الإجهاد من الرحلة، وربما تثاءبت مرتين أو وقفت لضبط حذائها ويا حبذا لو قابلت صديقًا قديمًا وسلمت عليه.

مشت "سونيا" على الممر وكأنها شخص آخر، لم تشعر حتى بطول الطريق. مرت بلوحة إعلانات زجاجية فنظرت إلى انعكاسها فيها، لاحظت تنورتها الضيقة الداكنة، وقميصها الأبيض وعليه معطف من الصوف، انحنت "سونيا" بعدها لتساوي جواربها التي ضايقتها عند ارتداء حذائها مرة أخرى

بعد أن نزلت من الطائرة. ارتدت حذاءً ذا كعب عالٍ من الجلد الإيطالي، بدت فاتنة ولكن ليس لدرجة مبالغ فيها، إنه ذاك النوع الذي تفضله معظم سيدات الأعمال. اعتدلت بعد ذلك وواصلت سيرها، وأخذت تفكر بما ستقول إن أوقفها أحد ليسألها عن هويتها. اختلقت شيئًا عن امتلاكها شركة صغيرة تعمل في مجال البرمجيات لها العديد من الأنشطة داخل وخارج أيسلندا، ستقول أيضًا إن الشركة اعتادت تقديم الاستشارات ثم تطورت لخدمات صيانة الأجهزة، وكل هذه المعلومات مدونة على "الموقع" الخاص بتلك الشركة.

أحست وقتها بالكثير من المشاعر في الوقت نفسه، فلحظات تشعر بأن الكون يخضع لها، ولحظات يغمرها الأسى. أرادت التوقف أمام المرآة التي تقع في آخر الممر؛ ودت التعرف على هذه المرأة التي تدعي امتلاكها شركة وأعمال، ووكلت شخصًا ليزيف لها موقعًا، وهي في الحقيقة لم تنجح في إتمام أي شيء.

لكن في تلك الليلة، أحاطت "سونيا" هالة من الثقة، فأخذت تسرع خطواتها في نهاية الطريق كي لا تغيب عن نظرها المرأة الآيسلندية الشقراء، واطمأنت عندما رأتها تدخل متجر الأسواق الحرة، راحت تقف في مدخل سير الحقائب، لأن بعد قليل سيزدحم الناس حول هذا المكان حاملين عربات نقل الأمتعة، وسيحجبون الرؤية بينها وبين منطقة الجمارك التي تطل على صالة استلام الحقائب.

مر الكثير من الوقت حتى ظهرت "السامسونايت" المنتظرة وسط تدافع الناس لاستلام حقائبهم، وبمجرد أن وقعت عينا "سونيا" عليها، أمسكتها ووضعتها بجانب حقيبتها المتطابقة، فبدا أنها تحاول أن تحدد أيهما هي حقيبتها، أعادت بسرعة حقيبة سفرها مكان الأخرى على سير الأمتعة، ثم ذهبت إلى المتجر نفسه الذي ذهبت إليه المرأة صاحبة الحقيبة منذ قليل لشراء بعض الأشياء، ولتسير الخطة كما رسمتها. انتهى بها المطاف وهي تقف في صف واحد مع تلك المرأة التي اشترت كمًّا هائلًا من الحلوى، فقط يفصلهم بضعة أشخاص. بينما كانت

"سونيا" تدفع ثمن ما اشترت، أخذت المرأة وقتًا في ترتيب أشيائها وحملها، وراقبتها "سونيا" حتى خرجت متجهة إلى بوابة الجمارك. كان غريبًا أن تمشي بهذا الثبات على الرغم مما حملته من أغراض كثيرة. تبعتها "سونيا" هادئة وواثقة مما تحمله من أمتعة على الرغم من جهلها بما فيها.

ازدحمت صالة الوصول كعادة هذا الوقت من الليل، حيث يتوقف ركاب الرحلات التي تعبر المحيط الأطلنطي لمدة يومين للاستراحة في أيسلندا، وهذا ما تعجب له الكثيرون، فكيف يتوقعون قضاء إجازة في مثل هذا الشتاء القارس؟ لم تندهش "سونيا" لهذا، فقد خمنت أن السر وراء هذا هو أضواء الشمال الخلابة التي تضيء ليالي أيسلندا الصافية، فهي ذكريات لا تُنسى.

بعد وهلة، اختفت المرأة عن نظر "سونيا" ولم تجدها وسط الزحام، فأسرعت إلى خارج المبنى وتفقدت جراج السيارات. لم يبدُ أن المرأة قد تركت المكان بعد، وفي الحال ركضت "سونيا" بالكعب قدر ما استطاعت لباب الخروج يمين المبنى، ثم رأتها، وجدتها مع رجلٍ ما بدا أنه جاء لاصطحابها من المطار. صاحت "سونيا":

- عذرًا، ولكن أعتقد أن حقائبنا قد اختلطت!

صُدِمت المرأة لما قالته "سونيا" وحدقت بها وبالحقيبة التي يجرها لها الرجل.

وأجابت في حيرة تكشف عن عدم استيعاب:

- ماذا؟!

وضحت "سونيا" ضاحكة:

- أظن أنكِ بدلًا من استلام حقيبتكِ من صالة الأمتعة قمتِ باستلام حقيبتي بالخطأ.

أدركت المرأة ما حدث فأسرعت تقول:

- يا إلهي! أنا آسفة جدًا.

وأخذت يد الحقيبة من الرجل وهي تبرر لها كيف شُتت تفكيرها عندما أخذتها. مال الرجل الذي اتضح أنه حبيبها ليتأكد من الأسماء المثبتة على كل حقيبة.

فقالت "سونيا" لنفسها: "إنه يريد أن يتأكد مثلي".

لوحت لهما ببشاشة وهي تعود أدراجها للجراج حيث انتظرتها سيارة اعتلتها طبقة خفيفة من الرماد، الذي لا تزال أجواء جنوب أيسلندا محملة به، هذا بعد ثوران بركان "إيافياتلايكوتل" قبل بضعة أشهر.

6

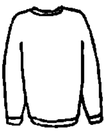

أمسى "تيوماس" هذه الليلة يبكي بشدة تحت غطائه، فكلما فكر بأمه، افتقدها كثيرًا. كان لا يستطيع الانتظار لأكثر من هذا، وإن تبقى يومان على رؤيتها. وحتى عندما جهز حقيبة ظهره، وضعها تحت فراشه ليدرك أنه لم يبقَ الكثير. قام أيضًا بإحضار جواز سفره من غرفة المعيشة وخبأه في مقلمته كما علمته أمه سابقًا، فكان هذا سرهما الصغير. لم يعرف لِمَ أرادت أمه أن يحضره معه؛ قالت إنها تطمئن أكثر عندما يكون بحوزته، وأرادته أن يشعر بالأمان ليس إلا. سمع فجأة صوت والده ينادي من أمام غرفته:

- تصبح على خير يا "تيوماس".

تمتم بشيء ما من مكانه بصوت حاول به ألا يكشف لوالده ما فيه، ثم دخل الأب وسحب الغطاء من على وجهه قائلًا:

- ماذا بك يا بني؟! لماذا تبكي؟

أجابه "تيوماس" وهو يمسح أنفه:

- لا شيء.

- هل هي مشكلة بالمدرسة؟

- لا.

- أهو بشأن فريق كرة القدم؟ أيضايقك أحدهم؟

- لا.

هز "تيوماس" رأسه ونظر ناحية الحائط فوق رأس والده منتظرًا أن يكف عن طرح الأسئلة، فليس عليه أن يسأل، فهو يعرف بالفعل، لا يريد إذن أن يسمع ما لن يزيده إلا ضيقًا، فلن يشكره، على سبيل المثال، إن قال له إن السبب هو أنه افتقد أمه ويريد أن يبقى معها طوال الوقت. وضع والده يده تحت الغطاء وربت على قدمه، بدا الأمر وكأن لم يكن هناك تواصل بينهما مطلقًا، أراد أن يُطمئنه بأن كل شيء سيكون على ما يرام في الصباح وأن عليه أن يخلد الآن إلى النوم. حاول الأب فعل ما بوسعه ليطمئنه، فعل ما يفعله الآباء الآخرون، لكن ما فعله من وضع يده على ساقه لا يعبر عن مدى قوة العلاقة بينهما.

7

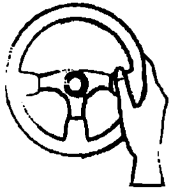

بعد وصولها "ريكيافيك"، أخذت "سونيا" الطريق الأطول للمنزل، فمرت بمصانع الألومنيوم وحقول الحمم القديمة التي تقع على طرف البلدة؛ أرادت أن تتأكد أن لا أحد يتعقبها من مطار "كفلافيك". وبعد مرورها بـ"هافنارفيوردر"، حيث

المنازل القديمة الملتصقة ذات الإطارات الخشبية، عادت إلى الطريق الرئيس بعد منعطف أخذها بالقرب من "إيكيا"، متجر أيسلندا المفضل، كان مزينًا بأضواء عيد الميلاد آنذاك. وما إن مرت بجانبه، سقطت كتلة من الثلج على سطح السيارة وجعلتها تهتز، فظننت أنها بداية لعاصفة ثلجية، لكن لم يحدث سوى أن توقفت السيول فجأة كما بدأت. ابتعدت "سونيا" مجددًا عن الطريق، وتوجهت إلى حديقة "هيذمورك" هذه المرة. قادت ببطء وسط ممراتها الضيقة، وسمعت صوت احتكاك أشجار البتولا بالسيارة، فتساءلت عن كم الضرر الذي لحق بها، وبعد أن مرت بالبلدة كلها في رحلتها الطويلة، وصلت "سونيا" أخيرًا إلى وجهتها؛ مكان شبه مهجور به مبنى قديم متهالك قد استأجرت فيه شقة لتسكن فيها. كانت تركن السيارة حين رأت "أجلا" تخرج من سيارتها في الوقت نفسه، فهي دائمًا ما تملك موهبة الظهور في التوقيت الخاطئ. تقابلا على أعتاب المنزل وقبّلتها "أجلا" وهي تقول:

- لقد اشتقت إليكِ.

استطاعت "سونيا" تمييز رائحة الخمر المنبعثة من أنفاسها، لكنها لم تندهش، فقد اعتادت "أجلا" الإسراف في شرب الخمر، بل لم ترَها "سونيا" إلا وهي تحت تأثيره، فسألتها وهم يصعدون السلم:

- هل قدتِ هذا الطريق وأنتِ ثملة؟

- شربت كأسًا بعد أن أنهيت عملي، ولم أتوقف بعدها عن التفكير بكِ.

أجابتها "سونيا" وهي تفتح الباب وتدخل، ووراءها "أجلا":

- تقصدين كؤوسًا؛ رائحتكِ تقول ذلك.

ما إن دخلت، خلعت "أجلا" معطفها ورمته على الأرض، وشدت "سونيا" من ملابسها لتحتضنها، حاولت "سونيا" صدها قائلةً:

- ليس الآن، أحتاج إلى ترتيب أمتعتي بعد الرحلة.

فقاطعتها "آجلا" وقالت:

- توقفي عن الكلام وقبِّليني.

استسلمت لها "سونيا"، وللحظة فكرت في كسر الروتين وإبقاء الحقيبة معها في الشقة طوال الليل لتستطيع قضاء الوقت مع "آجلا" الآن، وتتصرف في الحقيبة في الصباح. أحقًا تبالغ في قلقها وتخطيطها المستمر؟ فتلك المبالغة والحرص الزائدان هما ما يعززان شعورها بالأمان، ويقللان من فرص القبض عليها، كتغيير سياراتها بانتظام، وتغيير طريقة نقل البضائع، فكان لديها قاعدة تسير بها، وهي ألا تُبقي شيئًا في منزلها، وأن تستحم وتبدل ملابسها بعد تسليم الشحنة، وتعهدت بتنفيذ كل شيء للتأكد من نجاح الأمر. لم يكن لديها خيار أن تسمح بهفوة بسيطة لإفساد كل شيء، وإن كانت "أجلا" السبب، فقد حاولت السيطرة على نفسها تجاهها من قبل مما أدى إلى تأذي أصابعها.

فقالت "سونيا" وهي تدفعها بعيدًا:

- اسبقيني إلى السرير؛ أحتاج إلى أن أستحم أولًا.

وبمجرد أن رأت "أجلا" تغلق الباب خلفها، أخذت "سونيا" المفاتيح والحقيبة "السامسونايت" وفتحت باب الشقة بهدوء. نزلت على أطراف أصابعها فوق السلالم المفروشة بالسجاد إلى القبو، حيث غرف التخزين الخاصة بكل شقة. وعلى الرغم من أن لها مكانًا خاصًا بشقتها، ذهبت إلى الغرفة الخاصة بشقة في الدور الثالث يمتلكها زوجان يقضيان إجازة هذا العام بإسبانيا. استطاع أصغر مفتاح معها أن يفتحها، ثم دفعت الحقيبة داخل تلك الخزانة التي كادت أن تكون ممتلئة، وأغلقتها مجددًا. كان ذلك احتياطًا آخر ضمن خططها لتقليل المخاطر، فحتى لو فاجأتها الشرطة، لن تجد شيئًا في شقتها، أو بغرفة التخزين الخاصة بها. وما سهَّل عليها الأمر أيضًا أن سكان الدور الثالث قاموا بتأجير الشقة دون غرفة التخزين، فغيرت القفل الخاص بها، وبشكل غير مباشر، أصبح لها مكان تخبِّئ به ما تريد دون أن تكون موضع شبهة.

عادت "سونيا" إلى شقتها وأغلقت الباب وراءها بهدوء، وبعد أن استحمت سريعًا ووصلت إلى السرير، وجدت "أجلا" ملقاة على جنبها وقد خلدت إلى النوم بالفعل. أحست "سونيا" بدفء جسد "أجلا" وهي تنام بجوارها ثم أغمضت عينيها بعد أن وضعت رأسها بين خصلات شعرها وهي تشمها، فماذا ستريد بعد ذلك؟

8

استيقظت "سونيا" فجأة في الصباح التالي لتجد "أجلا" تحاول التسلل خارج الفراش دون إيقاظها، لن تسمح لها بفعل ذلك مجددًا. ففي كل ليلة يتقابلان فيها، تكون "أجلا" في حالة سكر ومحملة بالمشاعر، وبمجرد أن يحل الصباح تتسلل إلى الخارج دون علمها، فقررت أن توقفها هذه المرة؛ أمسكت بذراعها وشدتها نحوها قائلة:

- ليس هذه المرة، إلى أين أنتِ ذاهبة؟

حاولت "سونيا" تهدئتها باللعب في شعرها، وكالعادة علقت أصابعها بتشابكاته؛ لم تملك "أجلا" شعرًا ناعمًا كشعرها، قد تكون الصبغة هي السبب، لم تعرف "سونيا" إلى الآن إن كانت "أجلا" شقراء بالفعل أو لون شعرها هذا بفعل الصبغات، فقد بدا دائمًا متناسقًا تمامًا، حتى جذوره لم يكن فيها أي خطأ، وعند سؤالها، تنكر "أجلا" الأمر كل مرة. لم ترد "سونيا" مجادلتها في شيء كهذا، فدفع هذا "أجلا" لإنهاء هذا الأمر باعترافها أنها قد غيرت لونه عما كان في البداية، تمنت لو تصبح

"أجلا" أكثر انفتاحًا في الحديث معها في أمور أهم من لون شعرها، أن تتيح لها فرصة معرفتها جيدًا دون أي حاجز بينهما، وأن تطلعها على ما هو دفين وما تخفي من مشاعر، فلا بد من أنها تحمل لها بعض الحب، حتى وإن لم تظهره، فإن كانت لا تحبها لما كانت ستستمر معها في هذه العلاقة، وتُحضر لها الهدايا وتتصل بها للاطمئنان عليها ليلًا وقت السفر. في الوقت نفسه، أشارت العديد من الأشياء بعدم جدية "أجلا" في العلاقة، كنظرات الخزي التي تعلو وجهها كل صباح تستيقظ فيه بجانبها، ومرور أيام دون أن تعلم "سونيا" عنها شيئًا، والسخرية التي ترد بها في كل مرة تقول فيها بأنها قد تكون مثلية أيضًا. لم تكن "سونيا" راضية عما آلت إليه الأمور، ولكن منذ أن وقعت في الفخ، لم يكن لديها أي خيار. اضطرت تغيير نمط حياتها بالكامل، وما ساعدها في البداية هو عدم اهتمام "أجلا" بدوام هذه العلاقة أو حتى الالتزام بها. فبالنسبة إلى "سونيا"، فكرة عدم الاهتمام بأي شخص أو أي شيء إلا بابنها كانت تشعرها بالارتياح، وقبل أن تضيف "أجلا" عليها المزيد من التعقيدات والمشكلات، التي كانت حياتها مليئة بها بالفعل وخصوصًا بعد ما حدث في الفخ.

أحبت دائمًا أن تكون بالأسفل، أن تضمها "أجلا" في الفراش، فقد كانت أكبر وأضخم، فاستلقت "سونيا" وسحبت "أجلا" فوقها، وقبل أي شيء أسرعت "أجلا" قائلة:

- مهلًا.

مدت يدها لتغلق ستائر النافذة التي لم تتِح إلا بدخول شعاع شمس خافت. لم تحب أن تفعل هذا في النور، لطالما فضلت الظلام، فحين أشعلت "سونيا" شمعة ذات مرة على طاولة بالغرفة نفسها، لاحظت أنها تتجنب النظر في عينيها، فتقبلت بعد ذلك حاجتها للظلام، فكانت الظلمة بالنسبة إلى "أجلا" مُسكِّنًا لها من خوفها، ومأوى تتوارى به من العار الذي طالما لحق بها وعذبها.

9

ساد هدوء غير معتاد بالمنطقة الغربية من المدينة. استمتع "براجي" وحيدًا بتمشية ذات صباحٍ بارد، وتمنى لو كانت "ڤالديس" معه لتشاركه هذا الشعور. بدت منازل الحي بجدرانها الرمادية وكأنها لوحة تتألق بأضواء السيارات المسرعة الآتية من الجهة المقابلة وإطاراتها التي تترك أثرًا على الطريق. كان معظم الناس في أشغالهم حتى في ذلك الوقت من الصباح الباكر. على الرغم من أن الشمس لن تنشر خيوطها إلا بمنتصف اليوم، فكان صباح هذا الوقت من العام يتسم بالكآبة. قطع هو و"ڤالديس" شوطًا طويلًا معًا في آخر بضع سنين من حياتهم، حتى بعدما ضلت هي الطريق وفقدت بصرها، كان عينيها التي رأت بهما، فيصف لها كل ما هو جميل في الطريق، كقطعة فنية على حائط ما، أو قطة تختبئ تحت سيارة، وحتى أوراق الأشجار التي افترشت الأرض في أيام الخريف العاصفة.

اليوم سيكون "براجي" قادرًا على رؤيتها مرتين؛ فلن يعرف أحد أن مجيئه أول مرة قبل الميعاد المحدد كان مقصودًا، ليأتي لرؤيتها مجددًا، حيث تكون المناوبة قد تغيرت، فلا أحد سينظر إليه بعطف ويخبره أنه ليس ملزمًا بالحضور بين الحين والآخر، وهو يعرف ذلك، ولكنه فضّل أن يكون معها أو في عمله، عن الجلوس بالمنزل وحيدًا.

عندما وصل، وجدها جالسة على طاولة الإفطار، جلس إلى جانبها وهو يصنع لنفسه كوبًا من القهوة ثم قال:

- مرحبًا يا عزيزتي.

تمتمت وهي تنظر بجدية:

- مرحبًا.

كانت محادثة عادية بين زوجين تقليديين؛ عادية لدرجة الغرابة، فبالنسبة إلى زوجين سابقين بينهما عمر طويل، لم تكن تلك الطريقة التي اعتادوها قبل أن ينهي مرضها الأمر. فلم يحدث من قبل أن قابلته دون ابتسامة ترحيب، أو لقب لطيف مثل "عزيزي" أو "حبيبي" طوال الخمسين سنة. أمسك "براجي" طبق الحساء من على الطاولة أمامها وأطعمها؛ ملعقة تلو الأخرى. ودَّ لو شعرت بما لا يزال يحمله لها في قلبه، وتمنى لو بادلته الشعور نفسه؛ لو رقَّ قلبها. نظرت إليه نظرة امتنان، على الرغم من أنها لم تعد تتعرف عليه، وحين أنهت وجبتها، لم ينتظر أن يسألها إن أرادت المزيد، فلم تكن حتى تعلم، كانت تأكل ما يوضع لها في الطبق بغض النظر عن الكم، وهو يعلم بهذه الأشياء. مسح لها فمها برقة ثم أزال المنشفة من عليها، وأغضبه ما رأى؛ كانت ترتدي مريلة أطفال مزينة بأفيال ضاحكة صغيرة، وعلى الرغم من علمه بأنها لحماية ملابسها ليس أكثر، افترض أن هناك طرقًا أخرى أفضل من إعطاء مريلة أطفال لسيدة مسنة. كان هناك الكثير مما أغضبه حول هذه المؤسسة، وبخاصة منذ أن اكتشف الكدمة، لكنه لم يكن في وضع يسمح له بإظهار غضبه، فكان خياره الوحيد هو أن يكون ممتنًا لأنها كانت آمنة في مكان آمن يلبي احتياجها، فلم يكن على نظام الرعاية الصحية أي لوم لشعوره بالافتقاد لها. ساعدها لتقف ثم قال لها:

- لنتمشَ قليلًا.

سمحت له بتوجيهها دون أي اعتراضات، ودون توقعات أو خوف، كانت منصاعة تمامًا، فسهل عليه التعامل معها بسهولة الآن. وبتوقف العديد من حواسها، شعرت بارتياح أكبر بعض الشيء، على الرغم من أن ذلك يعني أنها لم تعد تعرفه، فلم تعد تبكي حين يتركها، وتوقف شعورها المستمر بالإحباط بسبب ضعفها، وكذلك توقفت نوبات الغضب العرضية.

وضع "براجي" معطفه على كتفيها ونزلوا بالمصعد إلى الطابق الأرضي. لم يعد يأخذها بعيدًا؛ يخشى أن يتملك منها الإعياء فجأة، فقط تمشوا بالحديقة ذهابًا وإيابًا، ثلاث خطوات صغيرة منها أمام خطوة منه. لم يشعر بالوحدة في الوقت الذي يقضيه معها، حتى وإن ساد بينهما الصمت؛ لم يحتاجا إلى قول شيء، فقد قيل كل شيء، أما عن الشيء الوحيد الذي له معنى، هو لمسة دفء من يديها على ذراعه، كان هذا كل ما تبقى، وما يكفيه طوال حياته.

10

فتشت "أجلا" بسرعة في حقيبة يدها عن شيء تخفي به الاحمرار الظاهر على وجهها، بعد ما حدث بينها وبين "سونيا" منذ قليل، هذا بالإضافة إلى الزيادة في ضربات قلبها المصاحبة لذكرى ما حدث من قبل، المشهد الذي يلاحقها كلما فعلتا شيئًا معًا. اعتقدت أن الأمر قد انتهى، بما أنه لا يخصها، من المفترض أن يُمحى من ذاكرتها تمامًا، ولكن ما حدث عكس ذلك، فمنذ أن تعرفت على "سونيا" وهذه الواقعة لا تغيب عنها، بل تسكن عقلها كضيف غير مرغوب فيه.

في البداية، لم يكن لديها أي إحساس بالذنب، ففي كل مرة كانت تفكر في "سونيا"، يتملكها شعور غريب بالإثارة، يتمثل في تقلصات بمعدتها. وقد جرى الدم في عروقها بقوة عندما التقيا ذات مرة، غلبتها الرغبة والحماس وفقدت التحكم في نفسها وتصرفاتها، ونقلت هذا الشعور إلى "سونيا" هي الأخرى،

فانتهى الأمر بكلتيهما في أحضان بعضهما في وضعٍ مخزٍ، ذلك حين دخل عليهما "آدم" وفي يده "تيوماس" الصغير؛ شعرت "أجلا" من وقتها أن تلك العلاقة قد دُنِّست، لم تنعم من بعدها بالراحة أو المتعة، صار يطاردها المشهد بأكمله بما فيه من تساؤلات على وجه الطفل، واشمئزاز الزوج وغضبه، ونظرات الارتباك بعينيِّ "سونيا"، التي تأكدت أنه منذ هذه اللحظة سيتغير كل شيء.

قاطع صوتُ "سونيا" من المطبخ أفكارَ "أجلا" وهي تقول:

- هل تريدين بعض التوست؟

تنحنحت "أجلا" وهزت رأسها قائلة:

- لا شكرًا.

- حسنًا، ولكن بالتأكيد تودين كوبًا من القهوة!

- لا، سأشربها لاحقًا.

- بل الآن؛ أعلم أنكِ لستِ على عجلة من أمرك.

دخلت "أجلا" إلى المطبخ، وللحظة تقابلت عيناها مع عينيِّ "سونيا" فتراقصت دقات قلبها، ككل مرة يحدث هذا. لكن هذه المرة صاحب تلك الدقات ألم في معدتها، كان وخز شعورها بالذنب الذي أفسد عليها كل شيء. أما بالنسبة إلى "سونيا" فكان الأمر مُسَلَّمًا به، وكأنها قد تأقلمت على تلك الحياة الجديدة، فمنذ لحظات، كانتا في علاقة حميمية، والآن تتناول فطورها وهي تقرأ الجريدة!

قالت "سونيا":

- إنه وغد بكل تأكيد.

مشيرة بإصبعها إلى صفحة إعلان كاملة، صنعها داعمو النائب الشاب "هوني ثور جوينارسن" الذي اكتسح البرلمان بفضل والده الذي كان عضوًا فيه منذ عقود.

- فعلًا.

علَّقت "أجلا"، ووجهها ما زال أحمر اللون.

- إنه صديق "آدم"، زوجي السابق، لذا فأنا أعرف أي نوع من الرجال هو.

لا شيء كان سيزيد مضايقة "أجلا" في ذلك الوقت غير ذكر "آدم"، وتسمية "سونيا" له بـ"زوجها السابق"، كما لو كانت لا تعرف مَن هو. في الواقع عرفته جيدًا حتى من قبل أن يضبطهما معًا بالفراش، فقد عملا معًا في البنك لعدة سنوات، والآن تشاركا المصير نفسه بعد الفضيحة المصرفية وعرضهما على النائب العام للتحقيق معهما، فـ"آدم" هو من عرَّفها على "سونيا".

11

كانت "سونيا" قد حولت تليفونها المحمول من نظام الفاتورة إلى نظام الدفع المسبق، حرصًا منها على إخفاء الأمر. دائمًا ما اختار هو المكان، وترك لها تحديد الوقت. اقتَرح هذه المرة منطقة نائية بـ"هايذمورك"، وهي منطقة كثيفة الأشجار ممتدة من الحديقة الوطنية التي تقع حول بحيرة "إليدافاتن" على حافة المدينة. هذا المكان مألوف، لأنهم استخدموه من قبل، فلم تتعب "سونيا" في البحث، فقد علمت أن التسليم سيكون في يوم وسط الأسبوع، ومنطقة كهذه بوقت كهذا لن يوجد بها أحد، إلا في العطلات الرسمية فقط، حين يأخذ الناس كلابهم للتمشية.

حددت "سونيا" وقتًا بحيث يتسنى لها تخفيف الكوكايين ثم العثور على مكان وسط الشجيرات الصغيرة تخبئ فيه الحقيبة:

- الثانية ظهرًا.

أجابها بصوته الرخيم الذي تحبه:

- أراكِ هناك إذن عزيزتي.

ودت لو استطاعت أن تأخذ إجازة لمدة يوم، ولكنها تعرف أنها لن تغمض لها عين حتى ميعاد التسليم، ولحين إتمام الأمر لن تحظى بأي قسط من الراحة. نهضت بعد ذلك وارتدت ما كان أمامها من جينز و"تيشيرت"، ثم ربطت شعرها عقدة؛ كان من الصعب تمشيطه بسبب تشابكاته. فقد نامت به مبللًا، وما كان بينها وبين "أجلا" صباحًا زاده تعقيدًا. ولما تذكرت ما حدث اعتلت وجهها ابتسامة، مع وعد في قرارة نفسها بأن تستدرج "أجلا" إلى الفراش وهي واعية غير مخمورة في الفترة القادمة، فهي تذكرها ببدايتهما معًا. أخذت معطفها على يدها وأغلقت باب شقتها، وبمجرد أن أدارت وجهها، رأت جارتها في الشقة المقابلة تقف بثياب النوم، ومنشفة حول رأسها كما لو كانت خرجت للتو من الحمام. اعتقدت "سونيا" أنها جارة لطيفة، على الرغم من محاولاتها الدائمة لتأكيد نلك، ثم قالت بنبرة متملقة تتبعها دائمًا مشكلة بـ"اللاب توب" الخاص بها:

- آسفة لمضايقتكِ مجددًا.

- هل هناك مشكلة بـ"اللاب توب" مرة أخرى؟

سألتها "سونيا" بابتسامة مهذبة، آملة ألا تحكي السيدة معاناتها مع الأجهزة الإلكترونية اليوم أيضًا.

أجابتها:

- لقد أصبح هذا الشيء معقدًا جدًّا!

- معقدًا؟!

فكرت "سونيا" كيف لهذا الوصف الغريب أن ينطبق على مجرد جهاز من شأنه تسهيل أمور الحياة.

- أجل، فمع كل الأزرار التي أضغطها لا يستجيب، أنا حتى لا أستطيع غلقه!

- دعيني ألقي نظرة.

عرفت "سونيا" بعد آخر محاولة باءت بالفشل أنه لا جدوى من إقناعها بأنها ليس لها دخل بإصلاح الأجهزة الإلكترونية، فكان من الأسرع أخذ "اللاب توب" والضغط على بعض أزراره قليلًا حتى يعمل، ثم إرجاعه مرة أخرى. لا يحتاج الخلل عادةً أكثر من إعادة تشغيل، بينما تتصور الجارة أنها أمضت ساعة أو اثنتين في القيام ببعض السحر على الجهاز المعطل. لم تملك "سونيا" أدنى فكرة كيف عثرت المرأة على موقعها الوهمي على الإنترنت، فقد حرصت على إخفائه من كل محركات البحث، ومع ذلك وثقت تلك السيدة في أن ما تعرفه "سونيا" شيء لا يستحق المعرفة.

صاحت السيدة عندما عادت بالجهاز مرة أخرى:

- أملاك أنتِ أم ماذا؟! أتمنى لو كان جميع العاملين في تصليح الأجهزة متعاونين مثلك.

أخذت "سونيا" "اللاب توب" ودخلت شقتها مجددًا وأغلقت الباب خلفها بسرعة بعدما أدركت أن جارتها ستنتهز فرصة الدخول إلى شقتها. في ظروف أخرى، تمنت "سونيا" لو كانت امرأة ودودة تدعو جيرانها للجلوس وشرب القهوة، وبخاصة لو جارة لطيفة كهذه، لكن ليس الآن، فهناك العديد من الأشياء التي احتاجت إلى أن تُرتب أولًا قبل أن تُسلِّمها إلى مَالكها.

12

فُتحت أبواب المصعد، خرجت "أجلا" مسرعة تتجه إلى مكتبها مباشرةً وأغلقت الباب خلفها، بدت كمشتَبه به في جريمة قتل. كانت "سونيا" على حق عندما اعتقدت أن "أجلا" تسرف في الشرب هذه الفترة، ربما أكثر مما ينبغي، لكن ما لم تعلمه أنه دون شراب ما استطاعت "أجلا" النوم، فمنذ الفضيحة المصرفية وهي تشعر بأنها مُعلَّقة في الهواء تنتظر شيئًا حاسمًا لا تعرف ما هو ليضع نهاية لما يحدث.

ما زالت تحتفظ بوظيفتها، انتقلت إلى البنك الجديد الذي رُمِّمَ على بقايا القديم، لكن في الحقيقة لم يعد لها قيمة، فلم تعمل، ولم يعد يثق بها أحد، فقط تُوقِّع بعض الأوراق، وتسلم بعض القروض للمشروعات الصغيرة، كما لو كانت مجرد همزة وصل، بخلاف ذلك لم تعد تُقَدَّر أو يُطلب منها أي شيء لتفعله، سواءً في مجال عملها أم على مستوى مهاراتها، فانطفأت.

انتظر الجميع قرار النائب العام الذي سيُحقق فيما حدث لحسم الأمر، وإلى أن يتوصل إلى شيء فإن لجنة القرار التي تولت إدارة البنك في تلك الظروف ستبقيها بعيدة عن أي عمل جاد. في هذه الأثناء لم تُوجَّه لها أي كلمة حول هذا كله، لكنها استشعرت مزيجًا من خيبة الأمل والكراهية في أعين زملائها، كما لو كانت شريكةً لكبار المسؤولين الآخرين الذين تسببوا في البؤس الذي تضطر كثير من الأسر

الآيسلندية أن تعيشه الآن. طبيعتها العنيدة هي فقط من جعلتها تواصل المجيء إلى البنك كل يوم، بدلًا من تسليم استقالتها، لتخضع لمثل هذه النظرات من زملائها.

علقت "أجلا" معطفها، لاحظت كم كان مجعدًا، ثم تساءلت إذا لاحظ موظفو الاستقبال أنها ترتدي ملابس أمس. جلست على مكتبها وفتحت الكمبيوتر لتتفحص رسائل بريدها الإلكتروني. بعد أن حذفت رسائل الإعلانات المعتادة، والأخرى غير المهمة، لم يتبقَ سوى ثلاث رسائل، وهو عددٌ ضئيلٌ جدًّا، ولكن لم تتضايق، فقد اعتادت قبل ما حدث أن تكون في سباق مستمر لمواكبة رسائلها، حتى إنها حظيت بسكرتيرة لتتابع لها كل شيء في تلك السنوات القليلة الماضية. جلست قليلًا، ثم فتحت درج مكتبها الأخير وسحبت زجاجتها الـ"ييجر مايستر"، فكان الشراب المناسب للوقت المناسب. احتفظت بها لأوقات مماثلة. نزعت الغطاء ثم أخذت تشرب بشراهة، شعرت بمرارة تسببت في ألم كالحريق في الطريق إلى معدتها، ولكن دفء تلك النيران طغى على شعورها بالألم، فبمجرد أن وصل الشراب إلى معدتها، كانت جاهزة للخروج ومواجهة نظرات زملائها.

ذهبت إلى الحمام لتضع أحمر الشفاه، في الحقيقة لم يشكل هذا فرقًا كبيرًا، فهي تعلم بأنها ليست في أفضل حال، لا نفسيًا ولا بدنيًا، فقد لقنتها السنوات القليلة الماضية دروسًا عدة، وكان للشرب تأثير آخر، على الرغم من أنه كان ضروريًا لتصبح أهدى، أو لتنعم ببعض النوم. كانت أجواء البنك لا تطاق بالنسبة إلى "أجلا" في ذلك الوقت، لكثرة الأحاديث وقلق الجميع بشأن المكان الذي سيجري النائب العام فيه التحقيق، هذا بالإضافة إلى "سونيا" التي كثيرًا ما تدفعها للجنون.

وقف رجلان من أعضاء اللجنة بجانب ماكينة إعداد القهوة؛ "جامي" و"بالي". عندما خرجت من الحمام، وجدت أنهما كانا متشابهين لدرجة أن "أجلا" ظلت فترة طويلة حتى استطاعت أن تفرق بينهما، فهي بالكاد تصدق أنهما ليسا أخَوَين، أو حتى قريبين، فهما طوال الوقت يلبسان الملابس نفسها،

حتى اليوم، ارتديا كنزات بألوان باستيل متماثلة فوق "التيشيرت" نفسه مفتوح الرقبة. كان هذا واحدًا من التغييرات غير المهمة التي تسببت في أزمة. من قبل، كان الرجال يرتدون ربطات عنق، أما الآن أصبحت جميع القمصان مفتوحة. وضع "جامي" كوبًا ورقيًا أسفل الماكينة وضغط على زر "اللاتيه"، كان "اللاتيه" بالماكينة سيئًا لدرجة أنه يعبر عن تدهور حالة البنك، فهو عبارة عن ماء دافئ عليه بعض القهوة الفورية والحليب المجفف، شيء غير قابل للشرب. من قبل، كان للشركة بالطابق العلوي كافيتيريا خاصة بها، حيث يقوم النادل برسم القلوب وأوراق الشجر على أكواب القهوة بالكريمة المزينة.

سألها "بالي" وقد وضع نصب عينيها جريدة "فريتبلاذيذ":

- أسمعتِ عما حدث لـ"يوهان"؟

فوجئت بصورة الرئيس التنفيذي السابق للبنك على الصفحة، وكُتب فوقها: "رسميًا، "يوهان يوهانسون" مشتبه به ضمن تحقيقات النائب العام". شعرت في ذلك الوقت بأنها تقف في المنتصف، وأن الدائرة تُغلق حولها شيئًا فشيئًا.

13

وضعت "سونيا" الطرد على طاولة المطبخ وفتحته بحرص، وجدت شيئًا كالكوكايين ملفوفًا بثلاث لفائف بلاستيكية مربوطين بإحكام. استخدمت السكين في قطع البلاستيك ثم أفرغت كل الكوكايين في علبة من علب المطبخ البلاستيكية الخاصة بها. حرصت أن تنقل كل الكمية، حتى إنها استخدمت فرشاة رسم جافة

للتأكد من أنها لم تترك أي غبار. حين وزنت العلبة، لاحظت أنها تزن كيلو و120 جرامًا، وكان وزن العلبة 180 جرامًا، فقررت أن تحتفظ بخمسين جرامًا لنفسها. وضعتهم بملعقة في كيس بلاستيكي ثم حفظتهم بالفريزر، حيث تخزنهم لحين تنقلهم بأمان إلى صندوق الودائع بالبنك. لتعوض الكمية المفقودة، قامت بخلط بعض من مسحوق "الباكينج باودر" معه حتى وصل الوزن لكيلو تقريبًا. حرصت ألا تستنشق منه شيئًا حتى لا تصاب بنوبة عطس.

والغريب أن تهريبها للكوكايين أفقدها متعة تعاطيه. كانت تفعل ذلك بين الحين والآخر بجانب كوب من النبيذ الأبيض مع "أجلا"، لكن أصبح ذلك نادرًا، فقد مر أكثر من عام منذ أن تناولت آخر جرعة، فإنها تحاول السيطرة على نفسها منذ وقوعها في الفخ لتبقى في وعيها، لا تحت تأثير شيء يؤثر على إدراكها وحكمها على الأشياء. ليس من الذكاء أن تتعاطى شيئًا تهربه، فجرعة الكوكايين تولِّد عندها شعورًا غريبًا؛ تشعر وكأنها فوق كل البشر، كأنها لا تخطئ ولا تُقهر، وذلك لا يلائم شخصيتها الحذرة، بل ولن يساعدها في رحلاتها، فقد تم الإيقاع بعدد من المهربين المحترفين بهذه الطريقة.

أغلقت العلبة، ثم أحكمت غلقها عدة مرات بشريط لصق عريض، وأعادتها مرة أخرى إلى حقيبتها "السامسونايت". ملأتها بعد ذلك بكل الصحف التي تراكمت في صندوق بريدها أثناء سفرها.

وصلت "هايذمورك" تمامًا بعد الساعة الثانية عشرة. ودت لو أنها وصلت مبكرًا قليلًا لتستكشف الغابة من حولها للتأكد من عدم وجود أحد، وعلى الرغم من تساقط معظم أوراق الأشجار من حولها، كان لا يزال هناك القليل من الأشجار الخضراء، فأشجار البتولا سميكة بما يكفي لحجبها عن أعين المارَّة من هذا الطريق. لم يتم اختيار هذه المنطقة لقلة الأماكن النائية في أيسلندا، بل لأن الذهاب بعيدًا عن المدينة للبحث عن أماكن مهجورة يتطلب الذهاب بعربة دفع رباعي.

ركنت سيارتها على بعد كيلو من مكان التسليم، أخرجت الحقيبة واتجهت نحو طريق أمامها بلا أشجار، مشت فيه قليلًا حتى أصبحت قريبة من ممر ضيق متسخ أدى بها إلى داخل الغابة، أخذت تتبع ظلال الأشجار على طول الطريق حتى وصلت إلى أرض واسعة مليئة بشجيرات صغيرة عدا مساحة فارغة، كأن أحدًا قد اقتلع منها شجيرة لتمييز تلك البقعة. عرفت أن هذا هو مكان الحقيبة، فوضعتها، ثم أخرجت من جيبها شريطًا أحمر وربطته في جذع الشجرة التي تقع في مكان الاختباء. مشت بعدها بضع خطوات باتجاه الشجيرات وهي تعد خطواتها. عدت اثنتين وثلاثين خطوة طويلة، ثم عادت أدراجها عبر الطريق الذي جاءت منه، وركبت سيارتها وذهبت إلى الساحة وانتظرت. كان الانتظار أصعب جزء بالنسبة إليها، فلم يحدث من قبل أنها وصلت في الميعاد المحدد، دائمًا ما كانت تأتي مبكرًا لأن ذلك يعطيها شعورًا بالأمان. حين تصل أولًا، تشعر وكأنها تمسك بزمام الأمور. لم تكن المرة الأولى التي تشعر فيها بذلك، حتى إنها نسيت كم مرة قامت بهذا خلال السنة الماضية، لكن على الرغم من ذلك، ظل الانتظار هو الجزء الأصعب. لا تدري ما الذي لم تعتده بعد في الأمر، لكنها عادت تفكر أن الأصعب هو الرجل الذي تقابله وقت التسليم؛ "ريبك هارثور"، لذلك اقترحت على "ثورجير"، المحامي المسؤول عن الأمور المادية الخاصة بهم، مرات عديدة أن يتم التسليم مع شخص آخر، أو حتى وضع البضاعة في مكان ما، ويأتي هو لاحقًا لاستلامها. لكن لسبب ما دائمًا ما ينتهي بها الأمر بمقابلة "ريبك هارثور". تساءلت إذا كانت هذه طريقتهم في تذكيرها بمنزلتها، ولفت انتباهها أنه ليس من حقها التدخل بقرارات كهذه. أصابها "ريبك هارثور" بالذعر كلما رأته، ولعب هو ذلك الدور بإتقان، فبعد أول لقاء، كانت خائفة وآلمتها معدتها حتى تقيأت، أما الآن أصبحت أكثر تماسكًا عن ذي قبل، تخفي كل شيء بداخلها، فلا تدعه يشعر بخوفها كي لا يتمكن منها.

ظهرت في الساعة الثانية إلا أربع دقائق سيارة داخل الساحة. كان منضبطًا، وهي كلمة غريبة بالنسبة إلى مجرم! أخذت "سونيا" نفسًا عميقًا ثم خرجت من سيارتها ومشت بضع خطوات نحو "ريك هارثور" ومساعدَيه. كان يأتي بفتيين مختلفين في كل مرة، لكنهما دائمًا متشابهان في الهيئة، فجميعهم شباب مفتول العضلات يبدون متوترين ويرتدون ملابس أنيقة جدًّا بالنسبة إلى عمرهم. أخذت عينا "ريك هارثور" تتفحص "سونيا" بأكملها، من أعلى رأسها إلى أسفل قدميها، وكأنه حيوان مفترس بانتظار لحظة مناسبة لينقض على الفريسة التي أمامه.

ثم قال لها:

- كيف حال الحُلوة؟

أجابت "سونيا" بحدة:

- مساء الخير.

انتبهت ألا تحيد نظرها عنه، أن تنظر إليه في عينيه مُباشرة ولا تُظهر أي ضعف أو خوف. لم تنظر حتى إلى الجندي اللعبة بجانبه. وكأنهما لم يكونا موجودَين. أجابها قائلًا، وهو يلعق شفتيه حتى لمعتا:

- هل أحضرتِ لنا الحلوى؟

كان أداؤه مبالغًا فيه إلى حد السخرية، ولو لم تكن خائفة، لكانت انتابتها نوبة من الضحك، فقد كان مثالًا حيًّا لصورة رجل العصابات التقليدي، لدرجة أنها عندما رأته في البداية، تساءلت إذا كان دوره في لعبتهم هو إخافتها فقط، فكان رأسه محلوقًا بدقة، ذا عنق سميك ومفاصل موشومة، وعينين داكنتين، يسهل تمييز البياض داخلهما فقط، وكان له وجه محفورٌ بالندوب. انتفخ جسمه بالعضلات، لديه ساقان ممتلئتان، فلم يكن أمامه سوى الوقوف بساقيه متباعدتين.

ظل وجه "سونيا" متجهمًا. تنهدت بتأفف لتوضح ما تشعر به من غضب واستياء، ثم قالت:

- ثلاثون خطوة من هذا الطريق، وهناك شريط أحمر على الشجرة.

- أما زلنا نمارس ألعاب العائلات السخيفة تلك؟ ألا يمكنكِ أن تكتفي بـ"خذ ها هي"، وتسلمي لي الطرد اللعين؟

قالت"سونيا":

- لم تخطر ببالي حتى تلك الفكرة.

- وماذا عن إعطائي مكافأة صغيرة؟ كثير من الفتيات يقمن بهذا لأجلي.

ومن دون قصد، سقطت عيناها إلى ما كان ممسكًا به بيديه، وفهمت ما يقصده.

أجابت "سونيا":

- لا تفكر حتى بالأمر.

ابتسم بخبث على الفور. شعرت بالعرق البارد يتدفق إلى أسفل ظهرها. استغرق الأمر لديها فترة لتعرف أن العرق البارد لم يكن مجرد خرافة، فقد ارتبط عندها بالخوف نتيجة للفخ التي وقعت فيه.

قال "ريكهارثور":

- أحضر الحقيبة يا فتى.

اختفى الصبي داخل الأشجار، ثم عاد بعد لحظات حاملًا الحقيبة "السامسونايت".

قالت وهي ما زالت تحدق بوجهه ولم تطرف بعينيها:

- اتصل بـ"ثورجير".

أجابها وهو يحرك لسانه على شفتيه مرة أخرى:

- بعدما أتحقق من البضاعة أولًا.

أجابت "سونيا" بتهكم:

- رائع.

وأضافت:

- احشر بها أنفك كما تريد بمجرد أن تحصل عليها، والآن اتصل بـ"ثورجير".

أخرج "ريكهارثور" تليفونه المحمول من جيبه، وقام باختيار رقم ببطء ثم وضعه على أذنه.

- أجل، استلمت منها، جيد.

استدارت "سونيا" وحاولت اتخاذ خطوات محددة إلى سيارتها حتى دخلتها وذهبت بعيدًا. وبعد مرور عشرين دقيقة، وصلت منطقة "سكايفان" للتسوق، كان قد بدأ معدل ضربات قلبها في الانتظام.

14

مشى "براجي" بإحدى عربات الشراء الكبيرة في ممرات متجر "ميلا" الضيقة. اعتاد الذهاب إلى هناك مرة كل أسبوع لشراء ما يحتاج، كانت الأشياء نفسها كل مرة، فمن وقتما اشتد مرض "ڤالديس"، علم أنه سيتعين عليه تعلم الطهو كي لا يتضور جوعًا، لذا تعلم إعداد ست وصفات، فكان طبق يوم الإثنين هو سمك الحدوق والبطاطس، والثلاثاء قطع لحم الضأن مع قطع الخبز، والأربعاء يكافئ نفسه برأس خروف مشوي اشتراه جاهزًا، أما يوم الخميس فاكتفى بقلي بعض سمك السلمون، ويوم الجمعة يعد بعض التوست على

الطريقة الفرنسية بالزبد مع الشاي، وكان السبت يوم الخروف المشوي، والمتبقي منه ليوم الأحد. اعتاد "براجي" الطهو في المساء قبل الذهاب إلى عمله مباشرة، وحين كان الدوام نهارًا، إما يأخذ المتبقي من الطعام معه، أو يشتري لنفسه شيئًا للغداء، فقائمة الطعام بالمطار لم تكن مغرية. حاول شراء كل ما ينقصه في ذلك اليوم المخصص للتسوق، بعيدًا عن الأسماك أو الحليب، حيث يشتري منهم حسب حاجته فقط.

كان المغري حقًّا بالنسبة إليه هي رؤوس الماعز التي رآها تلمع في الوعاء، منتظرة مَن يأكلها، فشعر وقتها بلعابه يكاد أن يسيل، وأخذ بعدها كرتونة من اللفت الأصفر، ووضعها في العربة مع بقية الأشياء التي كانت على قائمة المشتريات. دائمًا ما ينتابه شعور مريح حول التسوق في هذا المتجر الصغير، فقد عرف موظفيه، غير أن هذا المكان يعد أحد المتاجر القليلة الباقية في المدينة الذي يذكِّره بمتاجر البقالة القديمة، فبائعو اللحوم والأسماك يقومون بإعطائه الوزن الذي يطلبه بالضبط، فلم يكن مضطرًا إلى أخذ أجزاء من الثلاجة معَدَّة ومغلفة من قبل في علب من البلاستيك كما هو الحال في محلات السوبر ماركت الحديثة. وفوق هذا، كان لدى المتجر طعامٌ يتوافق مع فصول السنة، ففي ذلك الوقت كان يمتلئ بالكبد الساخن والسجق، وسرعان ما ملأت رائحة الخروف المدخن المكان، أما في الربيع وجد هناك سمك القد وشرائح الحدوق، وهناك بيض الجلموت في شهر مايو، وهو نوع من البيض يتأثر لونه بالمناخ المحلي.

كان "براجي" متمسكًا بشدة بالأكلات التقليدية التي اعتادها، فهي المفضلة عنده وعند "ڤالديس". على عكس المكرونة والبيتزا وتلك الأطعمة التي كان جيل الشباب مولعًا بها، لم يستسغ لها طعمًا أبدًا، بل لم يعتقد أنه كان من الجيد للآيسلنديين أن يتعايشوا بنظام غذائي أساسه القمح.

وقف شخصان أمامه في الصف الذي انتظر فيه، فأخذ يتصفح مجلة ملقاة، لم ينتبه إلى ما كان في صفحاتها بقدر ما بهره تصميمها، فدُهش كثيرًا وأخذ يفكر أنه كيف لمثل هذا البلد الصغير أن يكون لديه سوق كامل مليء بالمجلات الباهرة والمتشابهة في الوقت ذاته بالنسبة إليه. وحين جاء دوره عند "الكاشير"، وضع مشترياته بحرص في كيس واحد، ووضع الطعام الساخن في حقيبة أصغر. مشى خطوات قليلة من باب المتجر عندما استوقفته فكرة غريبة لم يعرف مصدرها، قد تكون نتيجة تكوين عقله صورة كاملة من لقطات متفرقة، فاستدار وعاد إلى المتجر ليشتري المجلة. بعد خروجه، جلس على مقعد في الخارج ووضع أكياسه بجانبه، ونظر بصفحاتها مرة أخرى، فقرأ أعلى الصفحة: "الجدية والرفاهية موضة هذا الشتاء".

لم يكن المقال هو ما جذب انتباهه، بل الصور الفوتوغرافية! صور رائعة لمختلف النساء الأنيقات، كما هو الحال في مثل هذه المجلات. طبقًا للمقال، ارتدت أولئك النساء أزياء تسمح لهم بالخروج والسهر ليلًا بعد قضاء اليوم في العمل، بافتراض أنه كان عملًا مكتبيًا كالشائع وقتها. فهذه الملابس لن تكون لائقة لطبيعة عمل أخرى. نظر "براجي" إلى الصور بدقة، وتبلورت الفكرة في ذهنه تدريجيًا. جاء في عقله صورة السيدة الجميلة ذات المعطف، التي غالبًا ما يراها بالمطار، وخمن أنها قد تكون ممثلة أو ما شابه، بدا لو أنها تتبع تعليمات المجلة بالحرف. فكانت ترتدي البناطيل نفسها، ونوع الأحذية نفسه، حتى إنها تبدل في معاطفها ما بين الأزرق أو الرمادي. قد يكون هناك أيضًا وشاح كشمير اللون على ذراعها. أن يكون هذا نمط امرأة في تنسيق وارتداء ملابسها فهذا طبيعي، لكن الغريب هو أن المرأة التي رآها في المطار لم تحِد عن سيناريو المقال في أدق التفاصيل! فلم يرَ مثل هيئتها أو تفاصيلها في أي ركاب آخرين. قد يحمل بعضهم أوشحة قديمة، أو سترات بالية لكن مريحة، وأحذية تناسب قدمين تعبتا من المشي في ممرات المطار الطويلة، ولكنها دائمًا ما تظهر كما لو أنها جاهزة

لجلسة تصوير، أو كما ذكرت المقالة، مهيأة للخروج إلى الأضواء الساطعة. والحقيقة أنه لم يكن هناك مَن هو دائمًا بهذا الكمال، إلا بغرض التمويه، فقد تكون تلك شخصية معينة أرادت إظهارها، وإن كان الأمر حقًّا هكذا، فقد نجحت نجاحًا كبيرًا.

15

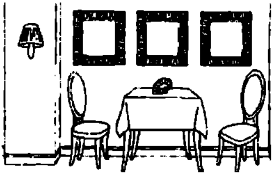

أصبح "يوهان" شخصًا آخر، كانت رؤيته في تلك الحالة بمثابة صدمة، فهو لطالما كان رجلًا صلبًا وحاد الطباع، لكن يبدو أن ما حدث قد كسر ما تبقى له من صلابة أو كبرياء، فتغير طبعه وزاد وزنه، وفقد أيضًا معظم شعره، فلم يتبقَ له إلا بعض الشعيرات في رأسه، وحتى سوالفه لم تكن متساوية. كان لا يزال ممن يرتدون ربطة عنق مع القميص حتى ذلك الوقت، وعندما عانقته "أجلا"، ميزت رائحة معجون الحلاقة الذي دائمًا ما استخدمه.

سحبت كرسيًّا لتجلس أمامه وهي تقول:

- الوضع سيئ!

اقترح أن يتناولا الغداء معًا في مطعم هادئ في وسط المدينة. اختار طاولة في زاوية مخبأة خلف نبتة كبيرة، فبعد أن كان الرجل الذي ينتهز كل فرصة للظهور في الأضواء، أصبح الآن يتجنب الظهور أمام الناس لكونه أكثر الوجوه المتعارف عليها وراء الفضيحة المصرفية التي حدثت. عدَّت "أجلا" نفسها محظوظة أنها لم تكن في

الموقف نفسه، فمقارنة بشخص يبصق عليه الناس في الطريق، كانت نظرات الاتهام والطريقة التي عاملها بها زملاؤها في البنك وكأنها منبوذة شيئًا هينًا.

أجاب "يوهان":

- نعم.

وأضاف:

- بل إنه ألم لا يُطاق، خصوصًا للأطفال، رؤيتهم لكل هذه الأخبار عني على الصفحات الأولى للجرائد. لم يبقَ هناك ما هو أسوأ بالنسبة إليَّ، على الأقل يمكنني الآن أن أرفض الإجابة عن الأسئلة.

- حين أُجريت مقابلة معي، قيل إنه لا يمكنني أن أرفض الإجابة ما لم تكن قد وُجهت إليَّ تهم رسمية.

ثم تنهد وهو يرفع كأسًا بها بعض الماء ليشرب وقال:

- لكل وظيفة امتيازاتها.

لاحظت "أجلا" ما بيده، فسألته ملَوحةً للنادل:

- ألن تشرب معي اليوم؟

ابتسم "يوهان" معتذرًا:

- لا؛ لن تتحمل حالتي الصحية شرابًا آخر.

قالت "أجلا":

- على عكسي إذن.

وطلبت بيرة كبيرة ومشروب آخر، وللغداء طلبا سمك اليوم، كان القد المقلي مع الجمبري والبطاطس. بينما كانا يأكلان، سألت "أجلا" عن أطفاله، وتساءل هو عما كان يحدث في البنك، وعندما جاء النادل لأخذ أطباقهم الفارغة، صمت "يوهان" حتى ذهب.

ثم قال بصوت منخفض:

- أظن أنه يجب أن تكون ردودنا مشابهة.

أومأت "أجلا" بالموافقة، ثم قالت:

- معك حق، ولكن أعتقد أنه لا ينبغي أن تكون القصص مثالية للدرجة، فالمثالية الزائدة مشبوهة.

فعلق "يوهان":

- ليس في مصلحتنا أن نتعارض مع بعضنا بعضًا ومصالحنا مشتركة.

بدا الأمر كما لو أن "يوهان" أراد أن يختبرها، فقالت "أجلا" بصوتها اللطيف وابتسامة آملةً منها أن تبدو حادة كما أرادت:

- لقد أتممت ما كان مفروضًا عليَّ، دون تعديلات، ولست مسؤولة عن النتيجة.

تمتم "يوهان" بنبرة اعتذار:

- طبعًا، بكل تأكيد، لا يمكن للمرء أن يكون بهذا الحذر الشديد عمومًا.

- بالضبط.

أشارت "أجلا" لحاجتها إلى المزيد من البيرة، فلم ترد أن ينتهي اللقاء بهذه الحدة.

ثم قال:

- فقط سيكون جيدًا لو قمتِ بإعلامي بما حدث، يعني كيفية دوران المال، فأنا لم أدقق كثيرًا في الاعتمادات الخارجية، وأنا الآن في وضع سيئ لأنني لا أعرف شيئًا.

أجابت "أجلا":

- صدقني يا صديقي، عدم معرفتك بالأمر سيئ، لكن الأسوأ حين تعرف. وأفضل دفاع بالنسبة إليك هو عدم معرفتك بأي شيء. في حين أن كل واحد منا لديه جزء من اللغز فقط، لن يتمكن من رؤية الصورة كاملة، والحقيقة أنه لا توجد صورة لتُرى.

- لكن لتجنب الشكوك، يجب أن أعرف ما حدث لأتجنب الحديث عن الأمر.

قالت "أجلا":

- لا يوجد شيء تحتاج أن تتجنب ذكره. أعلم جيدًا ما أف..

وسكتت لحظة ثم صححت:

-.. ما كنت أفعله، بل كنت جيدة فيما فعلت، وأقول لك مستحيل أن يتتبعها أحد، وما دام الإيداع عاديًّا، على حد علمي، فلا يمكنك أن تعرف عن طريق أي اعتمادات خارجية غادرت النقود البلاد. وما دمنا لا نعرف كيف عادت النقود مرة أخرى، فلا يوجد ما يدعو للقلق.

تنهد "يوهان" قائلًا:

- أنتِ على حق تمامًا، أنا فقط أشعر بتوتر شديد هذه الأيام، وحالتي الصحية في تراجع مستمر.

قالت "أجلا" وهي تنظر إلى النادل:

- أظن أنك فقط بحاجة إلى كأس خمر قوي.

16

ابتسمت "سونيا" بمرارة وهي تصعد إلى مكتب المحاماة الخاص بـ"ثورجير"، كان يقع في "لوميولي" شرق "ريكيافيك" في مبنى بطراز معماري مخالف ككثير من أبنية سبعينيات القرن العشرين في هذه المنطقة والتي لم تصان بشكل جيد.

كان السلم مكسرًا وطلاؤه متصدعًا، وكأنما تم طلاؤه عدة مرات طوال السنوات الماضية. وكان هواء المبنى محملًا بنفحة عطنة خفيفة، مما جعل "سونيا" تشعر بأنه ملائم للموقف تمامًا. ذكرتها تلك الأجواء بأول مرة أتت فيها إلى هذا المكان، وكم كانت بريئة، مفعمة بالأمل. اعتقدت حقًا أن "ثورجير" أراد مساعدتها وحسب. عزمت من وقتها على تعليم "تيوماس" الدرس الذي عاشته، وهو إن حدث وكنت في مأزق وأتى إليك شخص يمد يد المساعدة، فمن الأفضل أن تتخلص منه. ودت أن يعتمد على نفسه، وأن يتصرف في مشكلاته الخاصة، وقبل كل شيء، ألا يقحم نفسه بمأزق يحتاج فيه إلى مساعدة.

أتت أول مرة إلى هذا المكان بعد بضعة أسابيع من انفصالها عن "آدم". بدأ الأمر عندما وجدت "ثورجير" يتصل بها، لم تدرك بعد مَن كان أو ماذا أراد، فكانت معرفتهم سطحية. درس "ثورجير" و"آدم" القانون معًا، والتقت به مرة أو مرتين في تجمعاتهم. أدركت الآن أن هذا الاتصال الأول كان من المفترض أن يثير شكوكها، لكنها لم تفهم هذا؛ إنه عادة لا يتصل المحامون لتقديم المساعدة. لا تزال تذكر ما قال: "سمعت أن "آدم" يستغل ما حدث بينكما بطريقة سيئة، دعيني أساعدكِ في الأمر". لم تستطع "سونيا" الحكم على مدى كفاءة "ثورجير" أو بشاعته كمحامي طلاق.

كان له صوت رخيمٌ ولهجة هادئة. ودون تفكير، وضعت مصيرها بين يديه. وكانت هذه نبذة عن الطريقة التي عاشت بها، فتعودت أن تذهب مع الريح وهي مستسلمة، أينما حلت حملتها معها. وجدت أنه من العدل أن يتم تنفيذ ما أراد "آدم"، وهو أن يحتفظ بالسيارة وببيت "أكرانيس"، وترحل هي عن البيت. كانت ديونه وديونها مجتمعة مساوية تقريبًا لمدخراتهما، فأخذ كليهما. فقد كانت الطرف المذنب؛ هي مَن أفسدت كل شيء. رضيت بالخروج صفر اليدين، لا مدينة ولا دائنة بشيء، فقط ما آلمها هو ترك "تيوماس" مع أبيه.

لم تكن حتى قادرة على توفير منزل لائق لابنها، فنصحها "ثورجير" بالموافقة لـ"آدم" على حضانة "تيوماس" أول عامين فقط، فيأخذ الوقت ليهدأ وتعود هي لبناء نفسها مرة أخرى، والتوصل فيما بعد لاتفاق بشأن حضانة مشتركة. في هذه المرحلة، كونت معرفة حول تواصل الآباء المنفصلين مع أولادهم. عرفت أنها سترى "تيوماس" نهاية كل أسبوع ووقت عيد الميلاد وفي عطلات الصيف.

لم تضايقها نصيحة "ثورجير" إطلاقًا، فحين أعادت التفكير بالأمر، وجدت أنه ربما يكون على حق، فهي في ذلك الوقت لم تجد ما تتكئ عليه؛ لا شيء ولا أحد، غير أن فرصتها في الكسب والعيش بعمل خاص بها قلت تدريجيًّا. ومنذ اللحظة التي بدأت فيها الأمور تسوء مع "آدم"، كانت "أجلا" قد أبعدت نفسها عن الصورة، وبقيت "سونيا" عاجزة عن التفكير أو التصرف من الخوف. في الحقيقة، لم تتأثر بتهديدات "آدم" بفضحها كيف اكتشف هو والطفل حقيقتها، فلم تشعر أنها انتهكت أي قوانين، لكنه كان لا يزال تهديدًا قويًّا لم تجرؤ على تجاهله.

استأجرت بعد فترة أرخص شقة وجدتها، وعثرت على وظيفة سكرتيرة عند تاجر جملة، وعلى الرغم من هذا، لم يكن راتبها كافيًا لدفع الإيجار وإعالة الطفل، لكن انتهت هذه المشكلة بأخرى أكبر، عندما تم التخلي عنها بمجرد انتهاء فترة التدريب. انتهى بها الأمر منهارة في مكتب "ثورجير" بعد كل ما حدث، عاجزة حتى عن دفع أتعابه، فأشار لها أن لديه فكرة. تذكرت أنه في ذلك الوقت انتابتها لحظة شك، لكن شعورها بالامتنان كان أقوى، فتلاشى الشك كالغبار على الفور. في الواقع بعد أن اتضح لها الأمر وأدركت كل شيء، كانت تحمل داخلها له أكثر من الامتنان بكثير.

اقترح عليها "ثورجير" أن تسافر إلى الدنمارك نيابة عن أحد معارفه لأداء مصلحة له. كان الرجل عالقًا ومعه مبلغ كبير من العملة الأجنبية التي لم يتمكن

من الخروج بها من البلاد بسبب قيود تحويل العملات التي فُرِضت بعد الانهيار المالي، وفي المقابل سيتكفل بكل ما تحتاجه حتى تجد عملًا وتستقر. تظاهرت "سونيا" بحاجتها إلى بضع ساعات لتفكر في هذا العرض قبل أن تعاود الاتصال به مرة أخرى. في حين أنها قررت أن توافق قبل أن تغادر مكتبه، فقط لم ترد أن تبدو متحمسة لهذا الحد. تمنت لو لم تكن بهذه السذاجة، لو عرفت قبلًا أن هذه الطريقة كانت بدايةً لطريق لا ينتهي، وأن هذه هي بداية الفخ.

17

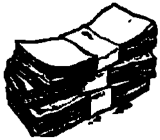

جلست "سونيا" تملأ استمارة الدفع الإلكتروني الخاصة بنصف أجرها عن الشحنة وناولتها لـ"ثورجير" الذي تسلمها وأومأ برأسه. التف بكرسيه بعدها ليفتح الخزنة خلفه. لطالما بهرتها سرعة حركته وهيئته الرياضية على الرغم من كبر سنه، فقد كان أحد هؤلاء الذين توقفوا عن التقدم في السن منذ زمن، ولولا تجاعيد وجهه لبدا في منتصف العشرينيات من العمر. ثم قال:

- والباقي نقدًا، أليس كذلك؟

- أما زلت تسأل؟ كل شيء كالمعتاد، إلا إذا أردت أن تزيده.

التفت لها "ثورجير" بابتسامة وأعطاها رزمة من خمسة آلاف كرونة، لم تحتج إلى عدهم، فهي تعلم أنها كاملة، فهو عادل معها فيما يتعلق بالأمور المادية. انتهت المقابلة وكادت أن تقوم للمغادرة حين أشار لها بالبقاء وقال:

- مهلًا يا صديقتي.

تعجبت "سونيا" من الكلمة لدرجة التهكم. فهما أبعد ما يكون عن كونهما صديقين! وما حدث سابقًا هو أكبر دليل على هذا، عندما أرسلها إلى الدنمارك نيابة عن الرجل ذي حقيبة النقود، كان من المفترض أن تسلمها لرجال بعينهم بزيٍّ معين، ولما نفَّذت الخطة، تبين أنهم أشخاص آخرون، أو كما ادَّعى "ثورجير"، فهي واثقة أن الأمر برمته هو من ترتيبه للإيقاع بها والزج بها في الفخ. وما حدث من ثورة "ثورجير" عليها وتهديدات "ريك هارثور" لها، كل ذلك تم التخطيط له مسبقًا، ثم استخدموه ضدها بعد ذلك كاقتراح بأن تعمل لحسابهم مقابل سداد ديونها عن طريق تهريب الكوكايين.

- أنا لست صديقتك.

قالت "سونيا" بجِدَّة، وأكملت:

- ماذا تريد؟

نظر "ثورجير" إليها بابتسامة واسعة، بدا وكأنه يستحضر شيئًا ما، ورأت ذلك في عينيه بوضوح، ثم قال:

- أعتقد أنه حان وقت ارتقائك للمستوى الأكبر؛ ستزيد الشحنة هذه المرة.

سألته "سونيا"، وضربات قلبها تتسارع بلهفة داخلية:

- ما حجمها؟

- اثنان أو ثلاثة كيلوجرامات.

فأجابت بقلق:

- ماذا قلت؟! كيف سأُدخل ثلاثة كيلوجرامات إلى البلاد؟

عادت إليه ابتسامته مرة أخرى، وأجابها كما لو كانوا يتحدثون عن الطقس أو ما شابه:

- أنتِ بارعةٌ في ذلك الأمر، سأترك لكِ الخيال لفعله، أطلقي العنان لنفسك وستجدين شيئًا ما.

لم تقل "سونيا" شيئًا، فقد توقعت أن يأتي هذا العرض عاجلًا أم آجلًا، بل إنها كانت تشعر بأنها تتم تجربتها، لمعرفة ما إذا كانت ستنجح في تهريب شحنة الكيلو الواحد قبل إعطائها شحنة أكبر. وأضاف:

- وأظن أنه ليس عليَّ إخبارك أن مقدار المكافأة سيتناسب مع حجم الشحنة، على أن يتم هذا الأمر الأسبوع المقبل.

قالت "سونيا" وهي تستعد للمغادرة:

- فقط أرسل لي التفاصيل.

فلن يضرها الحصول على المزيد من المال والمخدرات، بل سيقربها من غايتها؛ أي من اليوم الذي ستتحرر فيه من هذا الفخ.

18

ركبت "سونيا" سيارتها وتوقفت عند أول متجر مرت به. تسارعت ضربات قلبها من التوتر كما لو أن شيئًا قد حدث في مكتب "ثورجير"، حاولت جاهدةً أن تتحكم في نفسها وهي تمسك بمقبض عربة التسوق وتسترجع ما قاله "ثورجير"، بينما تتجول في المتجر، وترمي الأشياء في عربة التسوق. لم يتوقف عقلها عن التفكير

لإيجاد حل، فلعل نقل تلك الكمية يتطلب منها تغيير كامل لخططها، وعادت تفكر أنه ربما لا تشكل فرقًا، ويمكنها فقط تعديل بعض الترتيبات لتناسب ثلاثة كيلوجرامات. علمت أن الكميات الكبيرة تدخل عادةً عن طريق البحر، لكنها لم يكن لديها وقت لتنظيم أي شيء له علاقة بالسفن وبضائعها، فالتسليم يجب أن يتم الأسبوع المقبل، وعلى أي حال، لم تكن تعرف عن العبَّارات إلا أنها لا تسير في الشتاء القارس، وبصرف النظر عن ذلك أيضًا، لم تكن على اتصال بأي أحد قد يساعدها ممن يعملون في المجال، فعزمت على أن تجد حلًّا بنفسها، كما تفعل دائمًا.

أضافت "سونيا" الموز واللبن الرايب في العربة من أجل إفطار "تيوماس"، ووضعت معهما بيتزا مجمدة ليأكلاها في ليلة الغد، ولم تنسَ نفسها، فاشترت القهوة أيضًا. لم تكن لديها فكرة عما يجب تناوله عشاء يوم السبت؛ ربما يمكنها و"تيوماس" الخروج إلى مكانٍ ما. تعلم أنه يحب السمك، ففكرت في الذهاب إلى حلقة "ساجريفين" للأسماك بجوار الميناء لتناول طبق من السمك المشوي وحساء الجمبري الكريمي، سيستمتع به بالتأكيد، فهو دائمًا ما يفضل ميناء "ريكيافيك" عن "أكرانيس" حيث يعيش، ويقع على الناحية الأخرى من الميناء، فإنه أكثر حيوية.

مر وقت طويل منذ أن خرجا معًا إلى وسط المدينة. تجد دائمًا أنه يستمتع بكل اقتراحاتها، فهو طفل مطيع بشكل استثنائي، وزاد ذلك منذ أن حدث الانفصال، فعندما يكون معها، لا يطلب منها شيئًا كباقي الأطفال. علمت "سونيا" أن والده لا يجعله محتاجًا إلى شيء، ولكنها اعتقدت أنه لا يطلب منها لألا يرهقها ماديًّا. كلما فكرت في ابنها، شعرت بالألم مما جعلها توجه عقلها إلى التفكير بشيء آخر. فكان تفكيرها في طريقة تهريب حقيبة مليئة بالكوكايين إلى البلاد أسهل من تخيل أثر الانفصال على "تيوماس". اختفى ألم بطنها بمجرد وصولها إلى الكاشير، وانتظمت ضربات قلبها وهدأت مرة أخرى، والغريب أن

على الرغم من صعوبة وخطورة الأمر، فإنها شعرت بأمان في أنها تحمل كمية أكبر، فعلى الرغم مما ستواجهه من مخاطر في حملها ونقلها، تأكدت من أنها لن تُستخدَم كطعم، فالطعم تكون كمياته صغيرة، ووجود شحنة كبيرة كهذه تعني وجود خطر أكبر على الجميع وليس عليها وحدها.

19

كان يوم الخميس و"تيوماس" مترقب بلهفة، فغدًا ستأتي أمه بعد الغداء لاصطحابه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معًا. لم يرد منها أي شيء أكثر من كونهما معًا، ولم يتوقع منها أن تخرجه مثلًا. اعتادا قضاء الوقت كله في البيت، وإذا خرجا أحيانًا، تمشيا في المنطقة معًا إلى تل "أوسكيوليذ"، والتي أطلق عليها "تيوماس" اسم "الغابة" بسبب شجر البتولا الذي يغطي المنحدرات المطلة على القبة الزجاجية لمبنى اللؤلؤة المقابل. وأحيانًا أخرى يتجولان بالسيارة، وفي طريقهما يعدان السيارات الصفراء التي تمر بجانبهما. فكان متحمسًا ومترقبًا لقضاء عطلة مثالية كالعادة مع والدته. رأى أن أي شيء تقوم به هو الأفضل، كتشغيلها بعض الموسيقى مساء الجمعة ليرقصا معًا، فقد احتاج إلى تلك الحركة والصخب لتفريغ التوتر الذي قضاه في انتظارها، ثم تعد الفشار ليشاهدا فيلمًا معًا. عند أبيه، يُسمح له بمشاهدة أي فيلم يريده، لكن أمه اعتادت أن تختار له أفلامًا تعليمية تعتقد أنها ستفيده. على الرغم من أن مشاهدة تلك الأفلام لم تكن ممتعة له، كان يجد المتعة في الجلوس مع أمه على الأريكة وأكل الفشار معًا. والأمر ذاته بالنسبة لوجبة الإفطار، اعتاد والده

إحضار حبوب الإفطار التي يحبها؛ نوع "تشيريوس" أو "لاكي تشارمز" مع نوعه المفضل من اللبن الرايب، وحاول تحضيرها كما يحب، لكن مهما حاول "تيوماس" إخباره بكيفية القيام بذلك، لم يستطع ضبط المزيج، وعمومًا، لم يستطع أحد تحضيرها كوالدته، فهي تصب اللبن أولًا، وتضع كمية مناسبة من السكر البني ثم تقطع موزة على المزيج. كانت لمساتها تجعل كل شيء مثاليًا، فشرائح الموز ليست سميكة لدرجة أن تغلب نكهتها على اللبن، وليست رقيقة لدرجة أن تتحلل فيه، فكان هذا تأثير والدته في حياته.

أما الآن، فينتظر ليلة ثم يوم آخر يقضيه في المدرسة قبل أن تأتي أمه لاصطحابه في سيارتها تسأله عن المدرسة وكرة القدم، ويظل هو جالسًا بخجل طوال طريق النفق الذي يربط بلدة "أكرانيس" بالعاصمة، وعند دخولهما باب شقتها وإغلاقه وراءهما، تبدأ دموع الفرح في الانهمار، حين يحولان غرفة المعيشة إلى حلبة رقص.

20

طرقت "سونيا" باب جارتها في الشقة المقابلة، آملةً ألا تجد أحدًا بالداخل، فتقوم إذن بتعليق حقيبة "اللاب توب" على مقبض الباب. كل ما فعلته هو إعادة تشغيله، ومن ثم عاد للعمل كالسابق، لو لم يعمل كانت ستضطر أن تدفع لتصليحه، فلن تفشي سرها بجهلها في تصليح الأجهزة.

صاحت جارتها وهي تفتح الباب:

- أشكركِ يا عزيزتي.

أجابتها "سونيا":

- من المفترض أن يكون قد تحسن الآن، لكن ربما تحتاجين التفكير باستبدال شيء أحدث به.

- فكرت في هذا بالفعل بعد ما قلتِه في ذلك اليوم، لكن لا يمكنني تخيل مدى سرعة تلف هذه الأشياء.

قالت "سونيا":

- أمتلك الجهاز منذ ثلاث سنوات، وعادةً لا تدوم الأجهزة أكثر من ذلك.

لم تتفوه "سونيا" بحكمة أو ما شابه، ونظرت إليها جارتها كما لو كانت عالمة صواريخ. ثم أردفت:

- اعتقدت أن هذا سوف يدوم معي!

أجابت "سونيا"، وهي تحاول أن تبدو محترفة:

- أجهزة الكمبيوتر عبارة عن أدوات، وهي تبلى تمامًا كأي أداة أخرى.

- لم أفكر في الأمر على هذا النحو من قبل، لكنكِ بالطبع على حق، بل أعتقد أنه سيتلف أكثر من بقية الأجهزة الأخرى، مثل الراديو أو أي شيء آخر.

أجابت "سونيا" وقد دارت للخلف إلى شقتها:

- أجل بالطبع، فالراديو ينتج الأصوات فقط، لكن على الكمبيوتر أن..

وبحثت عن كلمة مناسبة ثم قالت:

- .. يفكر، يجب أن يفكر الكمبيوتر.

قالت جارتها وقد تملكها رضا بعد أن فهمت:

- لقد شرحتِ لي الأمر بسلاسة، أو كما يقال، بلغة الأشخاص العاديين. أتمنى لو كان هناك المزيد من الأشخاص مثلكِ في ذلك المجال.

ابتسمت "سونيا" وأومأت برأسها لتحييها وتعود لشقتها، وبينما كانت تغلق بابها، سمعت جارتها تذكر شيئًا عن الحشرات. سألتها "سونيا" وهي تفتح الباب مرة أخرى:

- ماذا قلتِ؟

- كنت أخبر رئيس اتحاد المُلّاك أننا بحاجة إلى استخدام المبيدات الحشرية في حال ظهور حشرة "السمك الفضي" مرة أخرى، فقد مر عام منذ أن وجدناها في القبو، ونحن لا نريد غزوًا آخر.

حدقت "سونيا" وسألت جارتها باستعجاب، التي حدقت بها هي الأخرى منتظرة إجابة:

- مبيد حشري؟

- هذا صحيح، نحتاج أن نضع المبيدات لحشرة "السمك الفضي"، ألا توافقينني الرأي؟ أعلم أن الشباب مثلكم لا تزعجهم الحشرات مثلما تزعج كبار السن أمثالي، فقد سافرتِ كثيرًا، ومع الاحتباس الحراري وكل الحشرات الجديدة التي تأتي إلى هنا، ربما لا تضايقكِ حشرة كتلك. لكنني لا أتحمل رؤية تلك الكائنات الزاحفة، وخاصة تلك التي تختبئ في الظلام. إذن، هل أقول له إنكِ موافقة؟

أجابت "سونيا" بابتسامة اعتذارية:

- أجل، بالطبع!

أغلقت الباب وعقلها بالفعل في مكان آخر، فقد عرفت الآن كيف ستجلب الشحنة إلى البلاد.

21

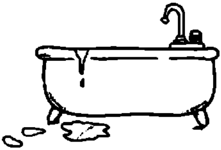

بدا الأمر وكأن الحزن يسكن الشقق الفارغة لفترة طويلة، فيركد هواؤها، وتقع ستائرها، ويتراكم الغبار فوق كل شيء. كان هذا الحزن هو ما واجهته "أجلا" عادةً حين تعود للمنزل، لذا تجنبت الجلوس بغرفة المعيشة، بأثاثها الإسكندنافي البسيط الذي اختارته دون إكتراث من كتالوج دنماركي. توجهت مباشرة إلى غرفة النوم، التي دهنتها بنفسها باللون الرمادي الداكن لعكس حرارة شمس الصيف التي لا تحتَمل حين تتسلل من الستائر كل أبريل. تجلس عادةً على سريرها لتناول وجبتها الجاهزة أمام التليفزيون، والتي تكون إما "النودلز" أو حساء اللحم. كانت قد اعتادت الأمر وألفت وحدتها بعد عشر سنوات. أحبت أن تعود وتجد الأشياء تمامًا كما تركتها. وبخلاف أيام الجمعة، حين تأتي فتاة التنظيف، لم يأتِ أحد إلى شقتها، حتى "سونيا" لم تكن تأتي معها إلا في المناسبات. وعلى الرغم من مرور عشر سنوات على طلاقها، ما زالت تجد المتعة في رمي ملابسها الداخلية على الأرض، وبعثرة مستحضرات التجميل في الحمام، وترك السرير غير مرتب، فهي تعلم أنه لم يكن هناك أحد لانتقاد تصرفاتها بالمنزل.

كانت "أجلا" تأكل طعامها بينما يمتلئ حوض الاستحمام، متشوقة أن تغمر نفسها في الماء الساخن حتى تلهث، وأن تحتويها المياه بالكامل. وبينما هي مستمتعة بعزلتها، أخذت تفكر، بعدما أغلقت الصنابير وغمرت رأسها في الماء، أن الوحدة شيء آخر؛ شيء أقرب للسعي وراء الحزن، أو الرغبة في شيء كانت على وشك اكتشافه،

لكنها لم تنجح أبدًا في العثور عليه. أطلقت العنان لعقلها وتركت أفكارها تسبح بين اليقظة والنوم في الماء الساخن، واتجه تفكيرها تلقائيًا نحو "سونيا"؛ المرأة التي جذبتها بطريقة ليس لها تفسير. ما تشعر به تجاهها إحساس لم تختبره من قبل، فكان أشبه بالسحر الذي منعها من العيش في سلام، وكانت لتضحي بأي شيء لتتحرر منه، لم يكن لديها الكثير لتضحي به في حياتها بأي حال، باستثناء "سونيا" نفسها، كانت هي الشيء الوحيد الذي أشعل بداخلها أي رغبة أو حماس، ومع ذلك شعرت بالخزي لما أرادته من هذه المرأة، فلا يمكن أن يكون هذا صحيًا، لا بد وأنها فقدت السيطرة على هرموناتها، أو أن سن اليأس يقترب. حاولت مرارًا قطع كل اتصالاتها بـ"سونيا"، لكنها لم تستطع فعل ذلك أبدًا، لأنها أدمنتها، أدمنت ابتسامتها، همساتها في أذنها، علاقتهما الحميمية، وحتى لهفتها لحظة الذروة.

قاطع جرس الباب تدفق أفكارها، فاعتدلت "أجلا" في جلستها بسرعة وقررت الانتظار، فقد يكون شخصًا يتجول بأشياء مجففة أو تذاكر اليانصيب، لا شيء يستحق الخروج من الحمام، ولكن عندما رن الجرس مرة أخرى، لفت حولها رداء الاستحمام وتوجهت إلى الباب.

كان "يوهان" واقفًا في الخارج مع ثلاثة رجال آخرين، تعرفت على اثنين منهم، فكانوا محاميَيه، عملت مع واحد منهم، لكن الثالث كان غريبًا.

قالت وهي تحكم ربطة الثوب حولها:

- كان يمكنك اختيار لحظة أفضل للمجيء.

أجابها قائلًا وهو يدخل:

- لن نبقى طويلًا.

وتبعه الثلاثة الآخرون.

تقدمتهم "أجلا" وجلست على أحد كراسي غرفة المعيشة، ثم أشارت إلى الأريكة تدعوهم للجلوس، فهز "يوهان" رأسه وبدأ كلامه قائلًا:

- فقط للتأكيد على ما ناقشناه اليوم..

فقاطعته "أجلا" قائلة:

- هل ما تحدثنا عنه يستدعي التأكيد؟ ومَن الذي يستمع؟

ووقعت عيناها إلى الرجل الثالث الذي لم يعرِّف نفسه.

رد "يوهان":

- أعتذر، إنه "جذمندر"، محامي "آدم".

ارتفعت يد "أجلا" تلقائيًّا على صدرها وحاولت شد الرداء ليغطيها بشكل أفضل، وبينما تقف بشعر مبلل ورداء استحمام أمام محامي "آدم"، شعرت فجأة بالعجز.

ثم قالت:

- أؤكد ما قلته اليوم، لم يتغير شيء من وجهة نظري.

ابتسم "يوهان" بحرج ونظر إلى المحاميَين الآخرين، ثم قال أكبرهما:

- يمكننا القول إن هناك ثلاثة روابط لهذه السلسلة، ولا نحتاج التأكيد على مدى أهمية أن يظل كل رابط.. قويًّا.

وقفت "أجلا" وصاحت في "يوهان":

- لقد قمت أنت و"آدم" بالتآمر معًا، وهذا واضح، ونظرًا لوجود محاميه هنا، أفترض أنه على علم بما يجري، لكن ماذا بحق الجحيم يجعلك تظن أنني الطرف الضعيف؟

ظل المحامون ثابتين كما لو أنهم تماثيل خزف مرصوصة. كان "يوهان" يعض على شفتيه بينما قطرات العرق تظهر على جبينه. استوعبت "أجلا" ما يجري. كان واضحًا أنه إذا وصل الأمر أقصاه، فستكون من المفترض أن تتطوع هي لتحمُّل المسؤولية.

22

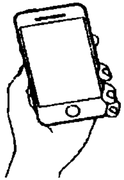

انشغلت "سونيا" بالبحث عن أنواع مختلفة من السموم على الإنترنت. رن تليفونها المحمول، فأجابت دون أن تنظر إلى اسم المتصل، وبمجرد سماع صوت "ليبي"، ندمت على الفور أنها لم تكن حاضرة الذهن. كانت "ليبي" واحدة من أصدقائها القدامى منذ كانت في "أكوريري" بشمال أيسلندا؛ أولئك من أطلقوا على أنفسهم اسم "نادي الموضة"، أما في الحقيقة كانت تجمعاتهن فيها من الاستمتاع أكثر كثيرًا من مجرد الحديث عن الحياكة.

قالت "ليبي" بصوت مبهج:

- هاي-يي!

كانت "ليبي" الوحيدة على هذا الكوكب التي تستطيع مد هذه الكلمة الصغيرة إلى مقطعين.

- وأخيرًا استطعت الوصول إليكِ، هل أنتِ منشغلة؟

أجابت "سونيا":

- أجل، يمكنكِ قول هذا.

- لقد قابلت والدتكِ في مركز "جليرارتورج" للتسوق منذ فترة وأخبرتني أنكِ تعملين في شركة ما خاصة بالكمبيوتر.

جزت "سونيا" على أسنانها حين تخيلت أمها تقف مع "ليبي" في وسط مركز "جليرارتورج" تناقشان شئونها الخاصة، وقالت:

- حسنًا، أجل، لكنها شركتي الخاصة، وما زالت صغيرة، لذا فأنا أعمل فيها بمفردي.

أجابت "ليبي" وهي تمد كلمة قصيرة أخرى من مقطع واحد:

- أه-ها، قالت والدتكِ إنك تسافرين كثيرًا.

- هذا صحيح، إلى حد ما.

أجابت "سونيا" وهي تحاول جاهدة التفكير في شيء لتحويل المحادثة في اتجاه آخر، ثم سألتها "ليبي" ضاحكة:

- مَن كان يظن أنه سينتهي بكِ الأمر صاحبة شركة كمبيوتر؟

- وماذا عنكِ؟ أهناك جديد؟

- لا شيء سوى القصة ذاتها، تعرفين، بين العجوز، والأطفال، والچيم، وما زلت أعمل في البنك، فأنا واحدة من الصرافين القلائل الذين لم يستغنوا عنهم.

كانت "سونيا" على وشك أن تهنئ "ليبي" على حسن حظها باحتفاظها بوظيفتها في البنك وحياتها كما هي، لكن لم تتوقف صديقتها لتلفظ أنفاسها.

- كان من الرائع رؤية والدتكِ؛ لم تتغير إطلاقًا، لا تزال صغيرة الهيئة، لم أرها منذ فترة طويلة، وهو أمر غريب في بلدة صغيرة مثل هذه، لكنها تملك حسابًا في بنك آخر لهذا لا أراها في العمل، وقالت إنها عادة ما تقوم بالتسوق في القرية. كانت لطيفة جدًا، ودعتني لشرب القهوة. قالت إنها كانت ستقوم أيضًا بصنع بعض من فطائرها التي أحببتها دائمًا.

أجابت "سونيا" بحدة، وهي تتخيل أمها تصنع الفطائر لـ"ليبي" في حين أنها لا ترغب بالاتصال بابنتها:

- كم هذا رائع!

لم تفهم "ليبي" سخرية "سونيا" وأكملت حديثها:

- كم أحب والدتكِ حقًا! شيء رائع كيف تهتم بنفسها، كم عمرها الآن؟ ستون؟ سبعون؟

- إنها في الثالثة والستين.

أجابت "سونيا"، وقد تفاجأت أنها تعرف الجواب دون تفكير. ما زالت تحمل لوالدتها مكانًا في قلبها بعد آخر مرة رأتها منذ عامين.

- أوه، وقالت والدتكِ إن "آدم" حصل على حضانة ابنكما؟

بدت لهجتها استفهامية. وفهمت "سونيا" على الفور ما حاولت "ليبي" فعله؛ كان موعد اجتماع "نادي الموضة" يقترب وتحتاج "ليبي" إلى بعض الأخبار لنقلها لبقية الفتيات للنميمة.

أجابت "سونيا" بحدة:

- نعم، هذا صحيح.

ثم أدركت بعدها مباشرة كم بدا ردها وقحًا، ولكن بعد فوات الأوان، فستجد "ليبي" متعة في إخبار الفتيات كم أصبحت "سونيا" حادة الطباع.

- أوه، ولكن.. هل هناك سبب خاص؟ أقصد أنكِ و"تيوماس" دائمًا ما كنتما قريبين جدًّا..

عندمت لمست "سونيا" الخوف في صوت صديقتها بعدما كان الفضول، شعرت بأنها تلين لـ"ليبي" صديقتها القديمة، فأجابتها:

- إنه فقط وضع مؤقت أنا و"آدم" اتفقنا عليه منذ عامين، وها هو أوشك على الانتهاء، وسنعيد النظر في ترتيبات الأمر قريبًا.

- حسنًا! وهل كنتِ مرتاحة لهذا الأمر؟

- لا، لكن كان هناك.. الأمر هو.. لم أستطع. كان الأمر برمته يتعلق بالنقود وكنت مفلسة تمامًا بعد الطلاق.

فكرت "سونيا" أن هذا كان أقل ما يمكنها قوله، فاليوم الذي سبق توقيعها على الوصاية لـ"آدم"، بناءً على نصيحة "ثورجير"، وقفت في بنك الطعام على أمل

الخروج منه بحقيبة من المؤن حتى لا يذهب "تيوماس" جائعًا. لم تكن هناك طريقة لوصف كم الذل الذي غمرها خلال ساعة الانتظار هناك. وفي النهاية لم تعد قادرة على التحمل. فخرجت من الصف وتوجهت إلى سوبر ماركت "نواتون"، حيث سرقت من هناك دجاجة مجمدة، وبسكويتًا، وحليبًا. لم تجد طريقة أيضًا لوصف ما حل بها حين عادت إلى المنزل، نظرت إلى عينيها المليئتين بالدموع في المرآة، وتساءلت عمن كانت هذه المرأة التي أمامها: "شخص يفضل السرقة عن طلب المساعدة".

لا، لم يكن هناك كلمات تصف لـ"ليبي" أول بضعة أشهر بعد الطلاق، لهذا اكتفت بترديد: "كنت مفلسة تمامًا".

سألتها "ليبي"، وهي تلتقط أنفاسها، وبدت مصدومة:

- يا إلهي! هل كان يعاملكِ بهذا السوء؟

شعرت "سونيا" بشيء من السعادة في مجاراة "ليبي" بالشكوى من "آدم"، ستحصل على القليل من التعاطف، والشيء ذاته، علمت أنه إذا اكتشفت "ليبي" القصة بأكملها، فسيكون تعاطفها لفترة أقل، فأجابت:

- نعم، لقد عاملني معاملة سيئة للغاية.

ابتلعت "ليبي" الطعم، وقالت:

- أستطيع الآن أن أقول لكِ إنني لم أحب "آدم" أبدًا، لم أعتقد أنه كان يناسبكِ، فكان دائمًا متحفظًا ومتغطرسًا ومتهجم الوجه. دائمًا ما تساءلت وبقية الفتيات عما أعجبكِ فيه، لأنه على الرغم من أنه حسن المظهر، رأينا أنكِ لم تكوني على سجيتكِ معه أبدًا. أليس هذا صحيحًا؟

أجابت "سونيا":

- ربما لا، أظن أنني أحببته، لكنني الآن أشعر أن كل ذلك كان سوء تفاهم كبيرًا.

23

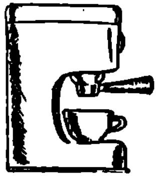

- نحن ندير رهانًا.

هكذا أخبر "أتلي ثور" زميله في العمل "براجي" حين رآه في كافيتيريا الجمارك الخاصة بالضباط في المطار. لم يقل "براجي" شيئًا وتوجه إلى ماكينة إعداد القهوة، ملأ نصف كوب، ثم أضاف بضع قطرات من الحليب وانتظر "أتلي ثور" ليفسر ما قاله.

قال "أتلي ثور" والحماس في عينيه:

- يتراهن الدوام الصباحي هذا الأسبوع مع المسائي حول إذا كنت ستحضر حفل عيد الميلاد الذي يُقيمه الموظفون.

كانت نظرته تجعله يبدو كصبي صغير، وهذا ما جعل العمل معه ممتعًا.

أجاب "براجي" وهو يجلس بجواره:

- حقًّا؟

كان هذا الشاب قد أنهى تدريباته الجمركية حديثًا. ويبدو أنه يتخذ "براجي" مثلًا أعلى ودائمًا ما ينظر إليه، ويراقب كل تحركاته كجرو متحمس. ثم أكمل:

- مع أي فريق أنت؟ نعتقد أنك ستحضر، ولكن رهان الدوام الليلي هو أنك لن تأتي.

- آها، وعلى ماذا الرهان؟

- الكثير، يمكنني أن أخبرك!

ثم طقطقت يدا "أتلي ثور" على الطاولة أمامه كما لو كان يصدر صوت الطبل الذي يسبق فقرة تحدي السيرك الخطيرة. كان "براجي" على يقين من أن قصة الرهان كانت مختلقة لجعله يحضر الحفل، على الرغم من أنه لم يكن متأكدًا تمامًا، فقد اعتاد ألعاب "أتلي ثور"، فهو دائمًا ما يرمي النكات وهو يتنقل.

- الدوام الخاسر سيشتري زجاجة "ريمي VSOP" لنظيره الرابح، لا أقل.

- إنه رهان يستحق الفوز.

- هذا صحيح يا صديقي، الكونياك الأفضل، الأعلى جودة والأنضج؛ مثلك تمامًا.

ابتسم "براجي"، استطاع أن يرى نظرة ترقب تعتلي وجه "أتلي ثور"، وتنهد. فكر أنه ربما كان عليه أن يظهر في حفل الموظفين حتى يفوز "أتلي ثور" برهانه، وعلى أي حال، لم يكن لديه أي شيء آخر يفعله، بخلاف الجلوس مع "ڤالديس" والحلم بمستقبل بعيد عن جدران المؤسسة المعقمة. كان يحلم بأن الدقائق الثمينة المتبقية ستكون مثالية، هادئة، وآمنة، لكنه على يقين من أن جلوسه معها في المساء، مع تلك الأحلام التي تأتيه حين يعم السكون، لن تجلب إلا حزنًا دفينًا. كان صعبًا عليه تركها من المساء إلى الصباح، بل والأكثر صعوبة عندما يقرر الموظفون أن الوقت قد حان لنوم المرضى، ويشجعونه على تركها والرحيل، لذا قد يشارك في الحفل، على الرغم من أنه لا يرغب في ذلك، ثم قال للمجموعة التي كانت حول الطاولة:

- ليس لديَّ أي تعليق الآن على الموضوع، ربما تبقى الأمور معلقة حتى اللحظة الأخيرة.

24

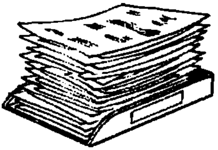

ثبت "جوين"، المحقق الخاص للنائب العام، الكاميرا على حامل صغير ثلاثي العجلات فوق الطاولة، ولكنه بدا محبطًا حين حاول تشغيلها ولم تعمل، فاضطر إحضار مَن يساعده. أشار إلى الكاميرا الموجودة في زاوية الغرفة ثم قال:

- معدات التسجيل في غرفة الاستجوابات لا تعمل.

فقامت الفتاة الشقراء التي أتت لمساعدته بتشغيلها وتوجيهها ناحية "أجلا"، ثم سألتها بلطف:

- هل أحضر لكِ القهوة أو أي شيء؟

ردت "أجلا" وهي تحاول أن تكون لطيفة أيضًا:

- لا، شكرًا.

لم تُكِن شيئًا ضد العاملين لدى النائب العام، فما هؤلاء إلا موظفون يؤدون عملهم، و"أجلا" ستنال ما استحقت، وربما أكثر بقليل. سيحكم في ذلك "يوهان" وموقفه القانوني.

كان سطح الخليج هادئًا بالخارج. كسا الثلج الأبيض قمم جبال "إسيا". ألقى ضوء أزرق بارد من شمس الشتاء الدافئة أشعة طويلة داخل الغرفة عبر النافذة؛ اختفت معها خدوش على طاولة من خشب الصنوبر وظهر غبار فوق الستائر. كان ضوءًا بلا رحمة، لم يبقَ شيء خفيًا، وسيظهر لاحقًا بالتسجيلات أن "أجلا" كانت ثملة أثناء التحقيق. علمت أنه ليس من الصواب أن تأتي إلى هنا دون إذن قانوني، لكن محقق النائب العام قال إنهم يحتاجون فقط إلى توضيح بسيط؛ بناء على

تصريح سابق، إلى جانب أنها بعد زيارة "يوهان" ومَن كانوا معه، عزمت العمل مع محامٍ جديد، فالحالي تم تعيينه ضمن بقية الممثلين القانونيين لـ"يوهان"، ولكن تملكها شعور في الوقت الحالي بأنها ستكون أفضل حالًا بمفردها.

قال "جوين"، وهو يهم بالجلوس:

- إذن، أشكركِ يا "أجلا" لقدومكِ مرة أخرى.

هزت "أجلا" رأسها واصطنعت ابتسامة للكاميرا بينما كان يقول رقم القضية التي حفظته "أجلا" عن ظهر قلب، فتذكر الأرقام بالنسبة إليها أمر سهل.

- استكمال تحقيقات "أجلا مارجيرسدوتير"، بحضور "جوين جوينسون". للتسجيل، أود الإشارة إلى أن "أجلا" لم تطلب حضور محامٍ.

هزت "أجلا" رأسها مستنكرة وقالت:

- إنني بصدد الاختيار الآن.

- دعينا نبدأ. هناك ظروف معينة تتعلق بثلاثة صناديق استثمار وأود أن أعرف تفسيركِ لها.

أجابته "أجلا" وهي تفتح نظارة القراءة:

- أستطيع المحاولة.

مرر "جوين" لها رزمة من الأوراق عبر الطاولة:

- أود أن أعرف ما تفعلينه بالعناصر الملونة بالأصفر.

أعجبت "أجلا" بـ"جوين جونسون"، وعرفته دائمًا بـ"المحقق جوين"، لم تكن متأكدة إذا كان مفتش شرطة أو محققًا برتبة شرطي في مكتب النائب العام، كان يعمل بطريقة عكسية، وهي تحب هذا. فعادة ما يبدأون التحقيق بطريقة ودية، ولكن عند أبسط استفزاز، يتحولون إلى كلاب شرسة. عادة ما يجري

التحقيق في وجود محققين، وبوجود محامٍ خاص. لذا كانت ممتنة لفكرة أنه أخذ في حسبانه أن يحقق معها بمفرده بما أنها أتت بمفردها هي الأخرى.

أخذت "أجلا" رزمة الورق وقلبت في بضع صفحات، كانت قوائم بالمعاملات الخاصة باستثمارات البنك بالخارج، إلى جانب سجل مشتريات السهم في البنك نفسه. أول قيد كان من مارس 2007 والأخير من فبراير 2008. جلست "أجلا" وقرأت المستندات الخاصة ببضع سنين فائتة، والتي أعطتها أفضل تخمين عما يحدث، وكانت هذه هي الطريقة التي تم بها تسجيل معظم أقوالها.

وضع "جوين" إصبعه تحت سطر مظلل بالأصفر في قائمة المعاملات ثم قال:

- هل تستطيعين تفسير ما حدث بتلك المعاملة؟

ردت "أجلا" بحدة:

- تمت في أكتوبر منذ ثلاثة أعوام، لا أقول إن الأمر في متناول يدي. كان هناك عدد قليل من المخاطرة في الاستثمارات في ذلك الوقت.

- إنهم 800,000 دولار!

قالها "جوين" بنبرة توضح أن على هذا الرقم إنعاش لذاكرتها.

- لا يذكرني بشيء، فهذه المبالغ لم تكن غير عادية في ذلك الوقت.

- ربما ساعدتُكِ إن ذكرت أن مثل هذا المبلغ كان يتم تحويله كل أسبوع على مدار عدة أشهر متتالية.

- لا، لا يساعد أيضًا، لا أتذكر أي شيء تم بهذا المبلغ.

- ليس هذا المبلغ بالضبط، لكنه كان دائمًا بين السبعمائة والتسعمائة ألف دولار.

- في ذلك الوقت كنت مسؤولة عما يقرب من ثلاثة ملايين دولار من الاستثمارات أسبوعيًا، فأرقام كهذه ليست استثنائية.

- أتريدين إلقاء نظرة على الحساب الذي دخل فيه هذا المبلغ، وتحويل الأسبوع التالي، وبعد أسبوع منه؟

ثم وضع المحقق إصبعه بدقة على الخطوط باللون الأصفر بينما قلبت "أجلا" خلال الصفحات، ثم قرأت بصوت مرتفع:

- "أيسلندا للتجارة المحدودة"، "إم إل القابضة"، "أفانس للاستثمار"، هذه هي الأموال التي استخدمتها بانتظام. كان الأول صندوق وكالة، وآخر اثنين صناديق استثمار.

- إذا بحثنا خلال عدة أشهر، فسنرى أن الأمر نمطي، حيث تذهب مبالغ مماثلة إلى هذا الحساب كل أسبوع.

- أنماط عملي متكررة كذلك من أسبوع لآخر، وكانت تلك أموالًا جيدة، لذا استخدمتها مرارًا.

فقال "جوين":

- دعينا نترك الأمور هناك.

شعرت "أجلا" برجفة في جسدها بالكامل، فتلك الجملة تعني أنه على وشك البدء بربط الأحداث، ثم قال:

- اللافت للنظر هو ما تم كشفه عند مقارنة هذه القائمة بالأخرى.

ثم نقر بطرف إصبعه على رزمة تسجيلات الأسهم.

- أعرف أنك تحلم بربط هذين معًا، لكن تعلم أنني لا أستطيع المساعدة بخصوص تداول الأسهم في البنك، فلم يكن لي دور في ذلك، كان هذا تخصص "آدم" بالكامل.

- بمقارنة النقود التي تذهب إلى استثمارات خارجية في تلك الفترة بالمشتريات الأجنبية لأسهم البنك، نجد مبالغ متشابهة في فترات زمنية متماثلة.

قالت "أجلا"، ساندة بظهرها إلى الكرسي بذراعين مطويتين، وبدا أنه قد حان الوقت للنزاع مع المحقق "جوين":

- ألا يمكننا إذن استنتاج أن كل شيء يجري بتوازن؟

قال:

- هذا ما تواصلون جميعًا قوله.

- مَن تقصد؟

- أنتِ، و"يوهان"، و"آدم" ومَن معكم.

- ربما لأن هذا هو ما حدث بالفعل.

- ربما، وربما لا.

- على أي أساس تنفي ذلك، بخلاف الأرقام على القائمة؟

أجاب "جوين"، وقد أسند ظهره هو الآخر على كرسيه فأصبحا في مواجهة بعضهما كضيفين ممتلئين بعد مأدبة ضخمة:

- على أساس الاشتباه والخبرة. نشك في تتبع تلك الأموال من صندوق الأسهم ثم من حساب إلى آخر لتغطية الأثر، وفي عودة تلك النقود مباشرة إلى البنك في شكل أسهم، للحفاظ على أعلى سعر للسهم.

قالت "أجلا":

- لا أستطيع تأكيد أو إنكار تلك الشكوك، أستطيع أن أقول بصدق إنني كنت فقط مسؤولة عن الاستثمار نيابة عن البنك وعملائه الأبرز بالصناديق الخارجية. لا أملك أدنى فكرة إذا كانت هذه النقود قد عادت أو متى عادت داخل البنك، هذه هي الحقيقة الصادقة.

كان الجهل أفضل دفاع. سُمعت نقرة خفيفة عندما أغلق المحقق "جوين" الكاميرا.

في طريقها إلى سيارتها، لم تستطع "أجلا" إيجاد العلاقة بين تلك الجلسة وزيارة "يوهان" ومجموعة محاميه، أهي الصدفة التي دفعت المحقق لذكر هذا الصندوق بالتحديد؟ أو أن أحدًا منهم قد ذل لسانه بشيء ما؟ على أي حال، لا يزداد موقفهم إلا صعوبة. جلست "أجلا" في سيارتها وتساءلت عما إذا كانت

ستتوقف عند مكتب تراخيص القيادة الحكومي في طريقها للبنك. لم تستطع تذكر ما تركته في درجها، لكن ما شعرت به في ذلك الوقت هو حاجتها الشديدة إلى شراب قوي، وتمنت لو كانت أيسلندا كبقية الدول التي يمكن فيها شراء الخمر من السوبر ماركت. كانت لم تصل إلى استنتاج بعد حتى رن تليفونها المحمول.

- مرحبًا.

- ماذا كنِت تفعلين بحق الجحيم بمكتب النائب العام دون محامٍ؟

بدا صوت "يوهان" غاضبًا لدرجة أنه كان يصدر صريرًا. ما كان مذهلًا هو مدى سرعة انتقال الأخبار السيئة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

25

جلست "سونيا" على حافة سرير "تيوماس" تراقبه أثناء نومه. كان بإمكانها تركه منذ فترة، منذ أن غلبه النوم في منتصف حكاية الأقزام التي كانت تقرؤها له، لكنها وجدت نفسها غير قادرة على حمل نفسها بعيدًا عنه، فقد أحست بسعادة في القرب منه، وبشعورها بحرارة جسده عبر أغطية السرير، واستماعها إلى تنفسه الثابت، فما كان مذهلًا هو أن غيابه قد أثار داخلها كل ذلك الامتنان عندما أتى. لم تتذكر أنها جلست تشاهده وهو نائم من قبل حين سنحت لها الفرصة كل مساء، فكل ما تفعله الآن من أجله. بقيت في الفخ على أمل الحصول على أمسيات لا متناهية كهذه، بوجوده إلى جانبها وهو نائم ممسك يدها بيده الصغيرة، فكل تلك الرحلات التي زادت معها احتمالية

فقده بالكامل هي ما أعطتها الأمل في مستقبل تكون فيه قادرة على بقائه معها أكثر، لحين تتمكن من طلب حضانته.

وفَّر تدفق النقود في حساب شركتها المزيفة أساسًا يمكنها من خلاله أن تدعمه ماديًّا. وهناك صندوق الأمانات في البنك، حيث تملك مجموعة من الأوراق النقدية بمختلف العملات، وهو في زيادة مستمرة، إلى جانب صندوق صغير من العملات الذهبية التي أخبرتها "أجلا" أنه بمثابة استثمار آمن ضد التهديدات المالية، مثل كيس الكوكايين، الذي جمعته من بضعة جرامات من كل شحنة. أصبح الكيس كبيرًا جدًّا الآن، لا بد من أنه اقترب من الكيلو، وكان هذا هو الكيلو الذي سيخرجها من الفخ.

رن جرس الباب، فمالت "سونيا" فوق "تيوماس" لتقبيل رأسه، كانت هناك رائحة مبهجة في شعره، وعلى الرغم من أنه يكبر سريعًا وأنها ترى جوانب جديدة بوجهه كل مرة التقيا، ظلت تلك الرائحة كما هي. كانت "أجلا" هي مَن أتت، واستطاعت "سونيا" أن تعرف من طريقة ميلها على الباب أنها ثملة.

فقالت "سونيا":

- تعلمين أن "تيوماس" معي في عطلة هذا الأسبوع؟

تبعتها "أجلا" إلى غرفة المعيشة وجلست بجانبها على الأريكة وهمست لها وهي تمسك أول زر في قميص "سونيا" لفتحه:

- إنه نائم، أليس كذلك؟

قالت "سونيا":

- نعم، لكنه أحيانًا يستيقظ في الليل.

وأضافت:

- وسيكون عليكِ أن تقولي له مرحبًا وأن تنظري إليه في عينيه في الصباح.

تنهدت "أجلا" وتراجعت إلى أحضان الأريكة.

- حسنًا، سأذهب، لكن أخبريني أولًا شيئًا مثيرًا للاهتمام، تحدثي معي.

سألتها "سونيا":

- عن ماذا؟

- أي شيء عدا صناديق الاستثمار، أخبريني سرًّا عنًّا.

- ماذا تعنين؟

- شيء تعرفه كل المثليات.

فكرت "سونيا" للحظة وقررت أن تخبرها عن الـ"جايدار" أو رادار المثليين، ظنًّا أنه من الأفضل لها أن تفهم غرائزها.

- لدى المثليات حاسة إضافية تجعل من السهل معرفة بعضهن والتعرف عليهن، ولدى الرجال المثليين الحاسة نفسها ناحية الرجال المثليين الآخرين، يطلق عليها "جايدار"، هل تعرفين رادار المثليين؟

- وكيف يعمل؟

جلست "أجلا" ونظرت إلى "سونيا" وقد أثار اهتمامها ما تقول.

- يبدو الأمر كشعور بأنكِ على اتصال بمثلية أخرى، وهو شيء مختلف عما تجدينه مع أي شخص آخر، فهو أقوى بطريقة ما، فلو كان لديكِ انجذاب كبير مع هذا الشخص، يدق جرس إنذار في رأسك، مما يقربكِ من الحقيقة.

تنهدت "أجلا"، وعادت إلى الأريكة:

- أليس هذا شعور الرغبة؟

- لا، لا يتعلق الأمر بالرغبة في ممارسة الجنس معهم، إنها غريزة أكبر؛ عندما تعلمن أن لديكن شيئًا مشتركًا، ربما كانت نوعًا من نداء التزاوج، لا أعرف، فهو شيء يساعد على إيجاد الحب والأمان.

- غريب!

فكرت "أجلا" بعمق. فقالت"سونيا":

- هذا صحيح، أحيانًا أشعر أنه بالكاد أمر خارق، لكنه ليس من الأمان الوثوق به تمامًا، ففي بعض الأحيان، يتعطل "الجايدار" الخاص بك وتكون المرأة الأخرى غير جاهزة، أو تجهل نوع الإشارات التي تعطيها؛ تعطي بعض النساء إشارات مختلطة. تقول لغة الجسد والكهرباء شيئًا، لكن الكلمات تقول شيئًا آخر، مثلما فعلت أنتِ في البداية.

- وأنتِ لم يمكنكِ الحصول على إشارات قوية مني.

- بل فعلت، كان لديَّ شعور قوي للغاية ناحيتكِ.

- إذن فهناك خطأ ما في هذا الرادار الخاص بكِ.

قالت "أجلا" بغضب، وهي تجلس بشكل مستقيم:

- أنا لست مثلية.

26

- لقد سألتِني عن سرٍ خاص بالمثليات، فلا تتذمري حين أخبركِ بأحد تلك الأسرار.

همست "أجلا" بغضب وهي تحاول الحفاظ على اتزانها لترتدي حذاءها:

- لم أتذمر.

- لا تتصرفي بهذه الطريقة، لا داعي للمغادرة، لقد كنت أحكي لكِ قصة! أنا لست خبيرة في أمور المثليات.

- يبدو أنكِ تعرفين الكثير!

- عودي وتحدثي معي، كصديقتين.

سألت "أجلا" "سونيا" بنبرة اتهامية منبئة بأن هناك مشكلة على وشك البدء.

- كم كن من قبلي؟

- لا تبدئي في افتعال مشكلة.

- أنا لا أبدأ في افتعال أي شيء، أنا فقط أسأل.

- لن أقوم بالمجادلة حول شيء غير مهم.

أدارت "سونيا" ظهرها، ولكن أعادتها "أجلا" مجددًا:

- أخبريني، أريد أن أعرف.

تنهدت "سونيا"، غالبًا ما تملكها شعور بأن طريقهما مسدود، كما لو كانتا تقفان على حافة الهاوية، ولا تقدران على التحرك إلى الأمام أو الخلف.

- كانت هناك امرأتان قبل زواجي من "آدم"، حين كنت في الجامعة، وبعد أن ساءت الأمور وهربتِ، كان هناك اثنتان غيرهما.

- اثنتان؟ ماذا تقصدين باثنتين؟ وأنا لم أهرب، أنا بقيت، أليس كذلك؟

- أوه، "أجلا".

وعقبت "سونيا" بتنهيدة من قلبها ثم قالت:

- توقفي أرجوكِ.

- كم عددهن؟

- لا أتذكر!

قالت "سونيا" وهي تمشي بعيدًا عنها:

- بعد أن رآنا "آدم" معًا، وخرب كل شيء، كنت وحيدة وقلبي محطم، وفجأة أردتِ الابتعاد عني، وتحولت حياتي لكارثة. لذا أمضيت بضع ليالٍ مع إحدى الفتيات في عطلات نهاية الأسبوع واصطحبتها إلى المنزل، هل فهمتِ الآن؟

سألت "أجلا" بابتسامة انتصار على وجهها:

- قلبكِ محطم؟ لماذا؟

ثارت "سونيا" بعد ذلك، ثم مشت إلى المطبخ، فتحت الصنبور وهي ترتجف، وملأت زجاجة بالماء. تبعتها "أجلا" وأحاطتها بذراعيها من الخلف وهي تهمس:

- أخبريني أكثر عن مشكلتكِ.

استشعرت "سونيا" أنفاس "أجلا" الساخنة على رقبتها.

- لقد دُمِّرت دون "تيوماس"، كنت يائسة ووحيدة وأنتِ لم تريدي مساعدتي، والآن لن تكُفي عن إثارة المشكلات لتجبريني أن أقول لكِ إنني أحبكِ. حاولي أن تكوني لطيفة؛ ربما تحصلين على الرد الذي تريدين سماعه.

استدارت "سونيا" وحدقت بعينيَّ "أجلا"، ثم نظرت بعيدًا.

- أكان معظمهن أفضل مني؟

دفعت "سونيا" "أجلا" بعيدًا عنها.

- أفضل منكِ؟ ماذا تقولين بحق الجحيم؟ ما خطبكِ؟ لا بد أن بكِ شيئًا ما خطأ ما دمتِ سألتِ سؤالًا كهذا.

- أكنَّ أفضل في السرير؟

- لن أجيب عن سؤالكِ هذا، من الأفضل أن تغادري.

ذهبت "سونيا" إلى الصالة، وأخذت معطف "أجلا" وناولتها إياه.

- أنا فقط أسأل لأعلم أين أنا في المقارنة، لأنني لست معتادة على ذلك، أليس كذلك؟

ثم احمر وجه "أجلا" خجلًا، وكأنها أدركت أنها تخطت حدودها، ولكنها لم تتمكن من كبح نفسها. تبخر غضب "سونيا" وشعرت بشيء يدفعها إلى الضحك لكنها لم تجرؤ. أخبرت نفسها: "لا يمكن أن يستمر ذلك". كان عليها أن تضع حدودًا لـ"أجلا"؛ هذه الألاعيب يجب أن تتوقف. فقالت بجدية:

- لأكون صريحة، أنتِ في الوسط.

فتحت "سونيا" الباب وخرجت "أجلا" إلى الممر.

سألتها "أجلا":

- هل تعنين ما قلتِه؟

أجابت "سونيا":

- لا.

- إذن فأنتِ تمزحين؟

- بكل تأكيد.

- هل أستطيع العودة للداخل؟

- لا، حان وقت الذهاب.

- هل أستطيع إعطاءكِ قبلة الوداع؟

استسلمت "سونيا" وقبلتها "أجلا"، وشردت يدها وكانت على وشك إمساك نهدها، فقالت "سونيا":

- كفى!

قالت ذلك وهي ترفع يد "أجلا"، على الرغم من أن لمستها كانت مثيرة، كان بإمكانها أن تعود بـ"أجلا" إلى الأريكة ببساطة، لتدع يديها تتجولان في أي مكان تريدان. كانت مخاوف "أجلا" مثيرة للغضب، لكن بما أن "أجلا" لم تنم مع امرأة أخرى من قبل، كان أمرًا دائمًا ما يثيرها، فهي تعلم أنها ستكون دائمًا مثالية في عينيَّ "أجلا"، وشعور المثالية كان كجرعة كوكايين بالنسبة إليها؛ تحررها وتظل ترضيها حتى تدمنها.

27

حاول "تيوماس" تهجئة الحروف على الزجاجة:

- هير، با، مي.. ميس.

أوضحت له أمه بلطف:

- "هيرباميكس". تذكر أن نطق الحرف "X" كنطق "K" والـ"S" معًا.

فأخذ "تيوماس" يردد:

- "هيرباميكس".

جلس داخل عربة التسوق، فقد كان كبيرًا جدًا على مقاعد الأطفال، لكن أمه قالت إنه بإمكانه التسلق إلى العربة والجلوس بداخلها بينما تجرها حول مركز "جارذهايمر" الزراعي. ملأ العربة بحجمه، ولم تشترِ والدته الكثير من الأشياء، فقط بعض الشموع، وأُصص للزهور وتلك الزجاجة.

- ما هذا يا أمي؟

- إنه قاتل حشائش.

- قاتل حشائش؟

- نعم، إنه يقتل الحشائش الضارة، بمجرد أن تضعه في الحديقة يقتل كل شيء إلا العشب.

- سترشينه على أي نوع من العشب؟

فكرت والدته لوهلة ثم قالت:

- قمت بشرائه لصديقة لي في مدينة أخرى تملك حديقة.

سأل "تيوماس":

- هل يوجد هناك عشب الآن؟

فأجابته والدته:

- كل عشب "أكرانيس" متجمد وميت، يمكننا لعب كرة القدم عند الملعب الداخلي فقط في الوقت الحالي. هناك عشب طوال العام في إنجلترا، ولا يمكن إيجاد تلك الأشياء هناك، فطلبت مني شراءه لها.

عرف "تيوماس" النظرة التي اعتلت وجه أمه، فكانت التي تعني أنه سأل سؤالًا سخيفًا، قرر بعدها ألا يسأل عن شيء آخر، على الرغم من أنه أراد بشدة التعرف أكثر على الحدائق في بلد أجنبي، أراد الذهاب معها إلى تلك المدينة ورؤية صديقتها ترش المبيد في أنحاء الحديقة لتبدو مثالية، أراد الذهاب معها إلى إنجلترا وشرب الكثير من المياه الغازية، كما يفعل المرء في الإجازة، ولعب كرة القدم على العشب الأخضر.

عادت أمه مبتهجة مرة أخرى عندما رجعا إلى السيارة، وغنا معًا طوال الطريق للمحل التالي:

- "كان القرد يجري بسرعة، يصيح يهتف: موزة موزة!".

لم يكن المحل التالي عاديًا؛ كان أشبه بورشة بباب جراج وباب صغير بجانبه، سألته أمه:

- أتريد الانتظار بالسيارة؟

هز "تيوماس" رأسه. لم يرد أبدًا الانتظار في السيارة، أراد البقاء معها كل دقيقة قدر ما استطاع.

- هيا إذن.

فتحت الباب ثم تبعها داخل الورشة. قالت الأم للرجل المسن الجالس أمام المكتب تحيط به رفوف ضخمة مليئة بكل أنواع الأشياء التي لم يعرفها "تيوماس":

- أبحث عن سم فئران معين.

سأل العجوز:

- ألديكِ مشكلة مع الفئران يا عزيزتي؟

هزت الأم رأسها بالنفي وقالت:

- إنها لصديقة خارج البلاد.

- أواثقة أنها مشكلة فئران؟

قالت بحدة:

- نعم فئران.

رفع الرجل كتفيه مستهجنًا، ثم وقف وقلب في محتويات رف طويل داخل المحل، ثم أنزل صندوقًا وفتحه ووضعه على الطاولة أمامها.

- هذه مكعبات طعوم لاصطياد الفئران، عليكِ أن تكوني حذرة بارتداء قفازات لإمساكها، وحريصة ألا يقترب منها الأطفال ولا الحيوانات. التعليمات في الصندوق.

عدت الأم نقودها ودفعت له، ثم ناولها العجوز ورقة:

- يجب أن توقعي لأخذها، الاسم ورقم البطاقة.

- إنها لصديقة لي، أيمكنني كتابة اسمها؟

أجاب الرجل:

- بالتأكيد.

وأضاف:

- من المفترض أن أسألكِ عن هويتكِ، لكن نظرًا إلى أنكِ تشترينها لشخص آخر، لن نهتم بذلك.

كتبت "سونيا" اسمًا على الورقة، كانت سريعة جدًّا فلم يستطع "تيوماس"

قراءته. عادا إلى الخارج مرة أخرى، وقبل أن يدخلا إلى السيارة وضعت علبة سم الفئران في صندوق السيارة.

سألها "تيوماس":

- أهناك فئران في حديقة صديقتكِ في إنجلترا؟

ضحكت والدته وأجابت:

- هذا صحيح، إنها تمر بمشكلة كبيرة مع العشب والفئران.

28

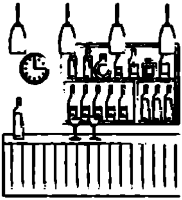

من الغريب أن يشعر المرء بالوحدة وسط حشد من الناس. وقف "براجي" في البار وهو يراقب البيرة ويشاهد الضيوف يجلسون في أماكنهم على الطاولات لحفل عيد الميلاد السنوي، فأصبحت الآن جهات العمل تقيم حفلات عيد الميلاد قبل ميعاده بفترة طويلة، وقبل زحام ديسمبر الذي تبدأ فيه الاستعدادات لعيد الميلاد، فالبعض يقوم بتنظيف أو طلاء بيوتهم من أعلى إلى الأسفل، وشراء الهدايا لعشرات الأشخاص، وبدء مسابقات تحضير المعجنات. و"ڤاليدس" كانت دائمًا على رأس تلك القائمة. سيحظى "براجي" هذا العام باحتفال بسيط جدًا.

تساءل إذا كان السبب وراء شعوره بالحرج وهو يقف بجانب البار هو أنه كان واحدًا من القلائل الذين حضروا دون مرافق، أو ربما كان السبب في التغيير الذي

حدث داخل مصلحة الجمارك؛ وهو انتشار جيل الشباب، فلم يكن هناك إلا عدد قليل من الذين عدَّهم أصدقاء مقربين. صعد زوجان على مسرح الرقص، وتبعهم زوجان آخران، وأفرغ الناس كبتهم في مشروبات ما قبل العشاء. تحولت كل هذه الأمور معًا؛ الموسيقى وأصوات الثرثرة في القاعة، إلى ضجيج هائل داخل عقله، فمع تقدمه في السن، تقل قدرة احتماله الضوضاء العالية، على الرغم من أنه في وقت ما كان يستمتع بكل هذا، حتى إنه كان يسحب "ڤالديس" ليرقصا بجانب مكبرات الصوت، فلم يكن هناك مجال للكلام أو سماع بعضهما. كانا يتواصلان باللمس والحركات، والاتفاق على إيقاع يتناغمان عليه. ما إن أصبح لهم أطفال، صار الذهاب إلى الرقص حدثًا نادرًا يندم عليه الآن.

قال "هرافن"، رئيس موظفي الجمارك، وهو ينضم إلى "براجي" في البار:

- يفوز الدوام الصباحي بالرهان.

قال "براجي":

- لم أستطع أن أتركهم يخسرون وأريهم وجهي.

عقب "هرافن" بحرج:

- لا، لم نكن لندع ذلك يحدث.

ثم قال:

- لسوء الحظ أن "ڤالديس" ليست هنا الليلة.

رد "براجي":

- أجل، أعلم ذلك، إنها لا تخرج هذه الأيام.

قال "هرافن":

- أجل، بكل تأكيد، أفهم ذلك.

رد "براجي":

- بالفعل.

لم يعرف أبدًا بماذا يجيب حين يحاول الناس إظهار تعاطفهم مع مرض "ڤالديس". وقال "هرافن" بلهجة أكثر مرحًا:

- لا أعتقد أنني سأمكث طويلًا الليلة، فالجو صاخب بالنسبة إليَّ، ونحن لم نعد صغارًا.

بدت الكلمات غريبة، حيث جاءت من رجل يصغر "براجي" بعشرين عامًا. وأضاف:

- من المثير للإعجاب رؤية كيف أن الجيل الأصغر ينضج ويتولى تدريجيًّا زمام الأمور، أليس كذلك؟

أومأ "براجي" بموافقته ولكنه أبقى على أفكاره لنفسه، مدركًا ما يقصده "هرافن". كانت رسالته هي أن الوقت قد حان ليوقف عناده ويتقاعد ويترك شخصًا أصغر سنًّا يتولى مهام وظيفته. فهم وجهة نظره، فكان كل أسبوع ينتشر خبر حول وجود فائض في عدد الموظفين وفصل الكثيرين عن العمل، وغلق الشركات واحدة تلو الأخرى، وانتزاع البنوك لكل ما تبقى من الشركات بعد فصل الموظفين. وبالنسبة إلى الأشخاص الذين يعولون أسرًا، يجدون أنفسهم بلا عمل. كان عناد "براجي" بلا شك شيئًا أنانيًّا؛ يجب عليه التنحي وترك الطريق واضحًا لمن هو أصغر سنًّا، مَن لديه نهج جديد في العمل. وبالطبع هذا الرجل الأصغر سنًّا سيكون راتبه أقل في منصبه بالنسبة إلى المديرية، فمصلحة الجمارك تريد التوفير، كبقية القطاعات.

استطاع "براجي" رؤية "أتلي ثور" والآخرين يشغلون مقاعدهم، فأومأ برأسه إلى "هرافن" وأسرع للانضمام إليهم، فبما أنه هنا، سيقوم بالاستفادة

من الوجبة. وعلى الرغم من أن ديسمبر لم يأتِ حتى الآن، فإن الوقت لم يكن مبكرًا على أكل الحَمَل المدخن.

29

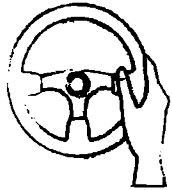

بدأ "تيوماس" يبكي عندما كانا في طريق "هفالفيورثور" في طريقهما للعودة إلى بيت والده بـ"أكرانيس"، الذي يقع على مسافة صغيرة من العاصمة. توقعت "سونيا" أن يبكي قبل ذلك، فعادة ما يبكي قبل حتى أن يدخلا السيارة. لذا فقد تطور الأمر اليوم. وكالعادة؛ كان صوت بكائه المكتوم كضربات سكين في قلبها.

همست وهي تضبط مرآتها الأمامية لتراه في المقعد الخلفي:

- كفى، كفى يا عزيزي.

لم يكن هناك ألم في تعبيرات وجهه، بل دموع تسيل على خديه وشفتان ترتجفان. أرادت "سونيا" إيقاف السيارة، والجلوس معه في الخلف ومعانقته وهي تمسح بيدها على شعره. لم تستطع التفكير في كلمات تهدئة، وهي نفسها كانت على وشك البكاء، ثم قالت:

- دعنا فقط ننتظر المرة القادمة.

أجاب الصبي وهو يلتقط أنفاسه من البكاء:

- ولكن هذا بعيد جدًّا.

قالت "سونيا":

- إنه يبدو بعيدًا، ولكن إن فكرت في الأمر بطريقة مختلفة فلن يكون كذلك. فكر في الوقت القادم الذي سنمضيه معًا، ثم عد إلى الوراء، وستجد أنه أقرب بكثير مما يبدو، قبل أن تدرك، سيكون قد مر أسبوعان، ويمكننا قضاء عطلة نهاية أسبوع أخرى معًا.

- لماذا لا يمكنني المجيء والعيش معكِ؟

- الأمر ليس بتلك السهولة يا عزيزي، أنت تعرف ذلك.

- يمكنني العيش معكِ دائمًا، والعيش مع أبي فقط حين تسافرين للعمل بالخارج.

- تعلم أن ذلك لن ينجح، ماذا عن المدرسة وكرة القدم وكل شيء؟

- لماذا لا يمكنني أن أقضي أسبوعًا معكِ وأسبوعًا مع أبي؟ حينها سيكون الأمر عادلًا، أليس كذلك؟

اضطرت "سونيا" الاعتراف بأن مثل هذا الاتفاق عادل، لكن هذا لن يوافق "آدم" أبدًا عليه.

قالت "سونيا":

-إذن سأتحدث مع والدك عن هذا الأمر.

- تقولين هذا دائمًا ولا تفعلينه أبدًا.

صار "تيوماس" الآن غاضبًا، وبطرق كثيرة كان الغضب سهلًا أن تتحمله عن الحزن، فالغضب أسلوبه للدفاع، يستخدمه كدرع صلب حول قلبه الصغير. عند وصولهما إلى منزل "آدم"، كان "تيوماس" على وشك القفز من السيارة والجري في اللحظة التي خرجت فيها، لكنها أمسكت بذراعه:

- أنا أعمل، وأعمل كثيرًا حتى نكون معًا، لا يوجد شيء في العالم يا "تيوماس" أفضل من أن تكون معي دائمًا، ولكن هناك قوانين لذلك، قوانين للكبار.

- قوانين كبار غبية.

قالها "تيوماس" وهو يحاول أن يخفي غضبه لِألا ينفجر بالبكاء مرة أخرى.

قالت "سونيا" بقهقهة رسمت ابتسامة على وجهه:

- أجل، هذا صحيح، قوانين كبار غبية. إنني أعمل بأسرع ما يمكن لإيجاد حل أفضل لنا، ولنتمكن من البقاء معًا أكثر.

سأل "تيوماس":

- معًا طوال الوقت؟

وافقته "سونيا":

- أجل، معًا طوال الوقت، وسيكون ذلك أفضل.

- وسأقضي فقط إجازة كل أسبوعين مع أبي.

أجابت "سونيا" وعانقت الصبي بقوة:

- هذا صحيح، لكن حتى ذلك الوقت، يجب على كلينا العمل بجد، وأن نكون أقوياء ونفعل ما يجب القيام به.

30

كان هناك توتر بصوت "ثورجير" لم تسمعه "سونيا" من قبل:

- يجب أن يتم هذا بداية الأسبوع القادم.

أجابت "سونيا":

- لا أحد يجبرني على شيء، تعلم هذا.

سمعت "ثورجير" يأخذ نفسًا، ثم قال بصوت منخفض، كأنه يحاول جاهدًا الحفاظ على توازن انفعاله:

- أنت الآن تلعبين مع الكبار، وهذا يعني وجود قواعد جديدة للعبة، أتفهمين؟ قواعد جديدة تمامًا.

- حسنًا. فهمت.

أجابت "سونيا"، ثم أغلقت الخط. منعت "سونيا" تدخل أي أحد في رحلاتها حتى الآن، لكن حجم هذه الشحنة تطلب حماية خاصة، لم تكن هناك فرصة لأن يخاطر "ثورجير" أو "ريكهارثور" أو الشخص الذي يحركهما أيًا مَن كان بتعريض مثل هذا المبلغ الكبير للخطر.

كان الجو مظلمًا عندما خرجت من نفق "هفالفيورثور" أثناء عودتها من "أكرانيس"، وكانت السحب منخفضة لدرجة أنها بدت مستقرة على الأرض، فكانت بالكاد ترى أضواء المدينة على الجانب الآخر من الخليج. كان عليها أن تفكر بتمعن الآن لإنجاز المهمة بسرعة. زادت من ضغطتها على دواسة الوقود بشدة واستغلت سلاسة حركة المرور لتسبق السيارة التي كانت تسبقها، ثم ضبطت مسَّاحات السيارة لأقصى سرعة لتنظيف الزجاج الأمامي من ذلك الشيء المتساقط من السماء الذي هو ما بين المطر والثلج. ستكون بهذه الطريقة في سوبر ماركت "نواتوون" في "جرافارهولت" خلال عشر دقائق.

شعرت بجوع مفاجئ وهي تقف في قسم اللحوم بالسوبر ماركت. كان شعورًا غريبًا بالنظر إلى ما كانت مقدمة عليه، فقد أرادت أن تشوي هذه القطعة من اللحم وتقدمها مع الحساء والسلطة، لتأكلها مع "تيوماس" و"أجلا" على طاولة بمفرش مطرز. وقد يشاهد "تيوماس" التليفزيون بينما

تستحم هي و"أجلا"، وبعد ذلك يغسلون أسنانهم معًا ويضحكون وأفواههم مليئة بمعجون الأسنان، مرتدين بيجامات ناعمة ووجوههم نظيفة قبل النوم.

سألها الرجل الذي يقف خلف الميزان، وهو يناولها شرائح اللحم مغلفة في طبق بلاستيكي:

- هل تريدين شيئًا آخر؟

قالت "سونيا" وهي تفيق من أحلام اليقظة:

- سآخذ قطعتين من الدجاج المشوي.

لم تكن هناك أحلام وردية في الأفق، بل أمسية مزعجة، تقضيها في أكل الدجاج في سيارتها، خارج بيوت تعيش فيها كلاب تستطيع شمها وهي في انتظار الفرصة المناسبة.

31

لم تكن المرة الأولى التي راقبت فيها هذا المبنى، فقد جلست تراقب الذهاب والإياب من قبل لتُكوِّن فكرة عن التوقيت الذي توجد فيه الكلاب وأصحابها. أثناء مرور العبارة بين الدنمارك وأيسلندا، حاولت "سونيا" ضبط مواقيت رحلاتها لتتزامن مع أيام وصول العبارة، ولتتأكد من أن واحدًا من كلبيِّ الجمارك على الأقل كان مشغولًا على الساحل الشرقي. حاليًا بما أن العبَّارة غير متاحة في فصل الشتاء، لم تستطع انتهاز الفرصة. قد يتم استخدام أحد الكلاب لشم وفحص البريد في مكتب الفرز البريدي في يوم معين، لكنها لم تكن متأكدة من ذلك، وعلى أي حال يمكن أن تتغير

الأمور دائمًا. توصلت إلى أن جدول عمل الخدمات الجمركية يتغير من حين إلى آخر، ومن الصعب توقع تلك التغييرات في الروتين اليومي.

غطى وميض أزرق نوافذ البيت المقابل للشارع، لكن انعكس على العشب ضوء أبيض ساطع قادم من النافذة، من المؤكد أنها نافذة المطبخ. تسمع "سونيا" أحيانًا بعض التحركات بالداخل، قد يكونون مَن بالداخل يطهون شيئًا ما، وعلى الرغم من أنه كان وقت العشاء، لم تكن جائعة، حتى عندما أكلت قطعة من الدجاج. يجب أن تبدأ في تجهيز شرائح اللحم. كان سكان المنزل يتركون الكلب دائمًا في الحديقة بعد تناول الطعام، ومرة أخرى قبل نومهم. وسيكون من الأفضل أن تجهز عليه في المرة الأولى. فتحت "سونيا" شنطة السيارة وأحضرت علبة سم الفئران وزجاجة "الهيبراميكس" وعادت لتجلس خلف عجلة القيادة، حيث ارتدت قفازاتها. كانت مجرد قفازات عادية من الصوف، لأنها نسيت شراء قفازات مطاطية، وهذه ستفي بالغرض. قطعت فراغات في شرائح اللحم بسكين صغير وحشرت كتل سم الفئران الشمعية داخل كل شريحة قدر الإمكان، وأعادت قطعة مرة أخرى إلى الطبق البلاستيك وسكبت فوقها قليلًا من قاتل العشب ذاك. لم تكن طريقة مشهية لتتبيل وجبة، لكن هذا ضمن خطتها.

مرت ساعة قبل أن يظلم المطبخ ويخرج الكلب من الباب الخلفي. هذا المسكين يبدو دائمًا سعيدًا للخروج، هكذا فكرت "سونيا". تركت السيارة وعبرت الشارع على طول السياج كأنها جارة طبيعية تتمشى في المساء، بينما تأكدت أنه لم يكن هناك مَن يقف بالمدخل يراقب الكلب. وخلسة، قامت برمي إحدى شرائح اللحم فوق السياج، وفي لحظات انقض الكلب عليها.

عادت مرة أخرى إلى السيارة تراقب الوضع وسط الظلام آملة أن يأكل الكلب كل شيء حتى الفتات. في المنزل الثاني، كان عليها الانتظار ساعتين تقريبًا، فضابط الجمارك الذي كان مع هذا الكلب كان أكثر حرصًا بمراقبة الحديقة أثناء وجود الكلب خارجها. فُتِح الباب أخيرًا وجاء الكلب يشمشم حول الشجيرات باحثًا عن

مكان مناسب يقضي فيه حاجته، بينما وقف الرجل يدخن في المدخل كالعادة.
أدارت "سونيا" السيارة ونقلتها مسافة قصيرة من الطريق، ثم أسرعت عائدةً إلى المنزل والطبق البلاستيك في يدها. وبينما كانت تجري بجانب المنزل رنت جرس الباب، سمعت الكلب ينبح في الحديقة. وهي تلتفت حولها، رأت - كما كانت تأمل - أن الرجل قد عاد إلى الداخل ليرى مَن كان على الباب الأمامي، وترك الكلب ينبح في الحديقة. نادته "سونيا" فهرع إلى السياج، أعطته شريحة اللحم وقالت له بضع كلمات لطيفة. كان كلبًا صغيرًا يرتدي معطفًا منقطًا وله أذنان طويلتان وشهية جيدة، فقد ابتلع شريحة اللحم مرةً واحدة.

همست "سونيا" وهي تمسح على رأسه:

- أنا آسفة.

عادت إلى الشارع تلفظ أنفاسها مرة أخرى، تعتزم العودة إلى سيارتها من الاتجاه المعاكس. أصبحت تشعر بضربات قلبها، كأن شعورًا بالذنب يكبر بداخلها. كان هناك الكثير من الدروس التي استطاعت أن تعلمها لمصلحة الجمارك، بما فيهم نصيحة لا تقدر بثمن؛ وهي ألا يغفلوا عن كلابهم في حدائقهم الخاصة، ولا حتى للرد على الباب. تأكدت أنه سيتم الآن تغيير الإجراءات بعد أن قتلت كلاب الحراسة.

أثناء وقوفها في أول إشارة في الطريق، أرسلت "سونيا" رسالة نصية عن طريق خدمة الدفع الفوري إلى الرقم الذي أعطاها إياه "ثورجير"، تقول فيها: "مرحبًا، أنا "س.". أرسل إليَّ العنوان من فضلك".

أخذت تفكر خلال رحلتها إلى المنزل عن أفضل وقت لتجهيز الخطة، وما قطع شريط أفكارها هو رؤية الظرف الأبيض في صندوق البريد الخاص بها. ظنت "سونيا" أن البريد لم يتم تسليمه يوم الأحد، وارتجفت يداها وهي تفتح الصندوق بالمفتاح. أخذت المغلف، ثم ركضت إلى الطابق العلوي وأغلقت الباب خلفها قبل أن

تفتح الآخر، كما لو كانت الأبواب المغلقة يمكن أن توفر الحماية من أي تهديد تحمله وراءها. كان هذا أسوأ شيء في الوقوع بالفخ، بل الأسوأ على الإطلاق.

كان الظرف يحمل صورة فوتوغرافية لفريق كرة القدم للناشئين بنادي "أكرانيس"، كان "تيوماس" مبتسمًا للكاميرا وهو يجلس على ركبتيه بأول صف. وقف خلف صف الصغار المبتسمين حشد من البالغين، أو الآباء، كما خمنت؛ كان من بينهم "آدم"، يقف أقصى يمين المجموعة، وكان "ريكهارثور" أقصى اليسار، متجهم الوجه.

32

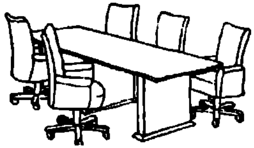

تغير الجو تمامًا في مكتب النائب العام. ساد التوتر في الأجواء، وأصبح الموظفون الذين يجلسون بهدوء عادة متحمسين، يهمسون وينظرون إليها وهي تجلس في انتظار المحامي الجديد. لم يكن لديه متسع من الوقت للاطلاع على القضية، فقد تم تحديد يوم الجمعة كموعد، واليوم هو الإثنين. كانت قد اتصلت به عندما حضروا إلى البنك لاصطحابها، نصحها بعدم قول أو التوقيع على أي شيء، وأنه سيلتقي بها في مكتب المحامي الخاص. فضلت أن يأتي إلى البنك أولًا، لكن بالطبع لم تكن هناك حاجة لذلك، وعلى الرغم من ذلك، فإن وجود حليف أو أحد بجانبها كان ليبعث فيها الاطمئنان، حيث رافقها ضابط شرطة من البنك، ووراءهما مكتبها بكل محتوياته محمل على سيارة نقل. استطاعت الشعور بأعين زملائها جميعًا تتبعها، وكانت متأكدة أنها سمعت شخصًا يهمس "مسألة وقت!" بينما أغلق باب المصعد خلفهما.

كانت تعلم منذ فترة طويلة أن هذا اليوم سيأتي، وأنها مسألة وقت فقط، لكن ذلك لم يخفف الأمر، وبخاصة أن ما حدث تزامن مع تغييرها لممثلها القانوني. ألغت فكرة إسقاط المحامي الجديد والاتصال بـ"يوهان" لتطلب منه مواصلة استخدام فريق محاميه، لكنها قررت غير ذلك، فقد حان الوقت لوضع خط.

والآن تجد نفسها قلقة في مكتب النائب العام لدرجة أنها لا تستطيع الجلوس بهدوء، فأخذت قدماها تهتز باستمرار تحت الطاولة ولم تعرف ماذا تفعل بيديها، كانت تربط وتفك وشاحها بارتباك مرارًا وتكرارًا. ستؤذي هذه الحركة خامته الحريرية، لكنها لم تهتم، فوشاح حريري لم يكن أمرًا ذا أهمية في لحظة كتلك.

عندما دخل محاميها إلى الغرفة، كان يرافقه المحقق "جوين جونسون"، و"ماريا"، متخصصة التحقيق في الجرائم الاقتصادية. تقابلتا عدة مرات عندما كانت "أجلا" تدلي بأقوالها. تبعهم "أولافوور"، النائب العام، شخصيًّا، أخذ مقعدًا وجلس في ركن في الغرفة بينما أخذ "جوين" و"ماريا" مقعدين حول الطاولة. قرأ "جوين" من ورقة رسمية، ليخبر "أجلا" أنها أصبحت قيد الاتهام في تحقيق النائب العام بخصوص التلاعب المتعمد من بعض موظفي البنك بالسوق المصرفية. انتظرت "أجلا" كي يضيف شيئًا آخر، وعندما لم يفعل، أكملت تنفسها بسهولة. "كان هذا أقصى ما توصلوا إليه". فكرت في ذلك، أخذت الورقة وهي تقر بتفهمها الاتهام وما تضمنه، ثم أعطتها للمحامي، الذي مضى اسمه بحروف منمقة: "إلڤار دجارسن"، محامي. وبمجرد أن غادر النائب العام ومعاونوه الغرفة، فتح حقيبته وأخرج تليفونه المحمول ثم أعطاها إياه.

- لقد وضعت فيه رقمي ورقم البنك الخاص بي، سينبغي لكِ الاتصال بهم وإخبارهم بوضعك. لا أتصور أنهم سيرغبون بعودتكِ مرة أخرى إلى العمل إلا بعد فترة.

أخذت "أجلا" التليفون وأومأت برأسها.

- إن أردتِ، يمكنني الحصول على تليفونك منهم لنسخ الأرقام على هذا التليفون المحمول. لا أملك أدنى فكرة عن المدة التي يريدونكِ فيها.

قالت "أجلا":

- لا، شكرًا.

كانت تحفظ رقم "سونيا" عن ظهر قلب، ولم يكن هناك أحد آخر تريد الاتصال به.

33

بدا لـ"براجي" هذا الصباح أن الحزن لم يكن بالخارج فقط، فقد تسرب إلى الداخل وأصاب زملاءه بالعمل. لم يكن هذا أمرًا طبيعيًا ليوم الإثنين الذي تبع حفل الموظفين بعد عطلة نهاية الأسبوع. كان بعضهم يائسًا؛ ربما بينهم من أفرط في الشرب وقال من الأشياء ما لا يجب أن يقال، أو من أقدم على خطوة عاطفية غير حكيمة لأحد الزملاء. ساد أيضًا شعور بالرتابة الآن. إن شيئًا ما كان يتطلع إليه الجميع أصبح خلفهم، ولا يبدو أن هناك حفلًا آخر في الأفق. ترك "براجي" الحفل في وقت مبكر ليلة السبت وذهب لتكون "ڤالديس" أول شيء تراه عيناه صباح السبت. لذلك بقي مستيقظًا يشرب قهوته وهو يقلب في جهاز المراقبة بالمطار.

كان قد نسي كل ما رآه عن الأزياء في المجلة والسيدة الجميلة التي تمر بالمطار باستمرار. حتى وقعت عيناه عليها في صالة المغادرة، هنا استرجع كل شيء. كالعادة، كانت في قمة الأناقة، لكن لم تكن الشاشة واضحة كفاية ليرى إذا كانت تحمل المعطف الرمادي أو البيج مطويًا على ذراعها. انتظرت في صالة

الاستقبال ومعها حقيبة متوسطة الحجم عند قدمها وحقيبة يد صغيرة على كتفها. وضع "براجي" كوبه وأسرع إلى الممر لمصعد الموظفين.

قال لشاب من الأمن يفحص تذاكر الرحلات وجوازات السفر:

- اذهب وأحضر لنفسك فنجانًا من القهوة.

أوشك أن يرفض، لكن "براجي" كان عصبيًّا ولوح له جانبًا، فاستجاب له الشاب واختفى. لم تمر لحظات حتى ظهرت السيدة الجميلة، تسلمه جواز سفرها، مفتوح على الصفحة التي أرادها، مع تذكرتها. كل شيء بالضبط كما يجب أن يكون، كل ما بها مثالي. نظر "براجي" في جواز السفر وقرأ اسمها: "سونيا جانرسدوتير". ضغط زر "أيسلندا" على شاشة الجنسية، ثم أعاد التذكرة إلى مكانها الصحيح بين صفحات جواز السفر وأعطاها إياه. ابتسمت ابتسامة بسيطة، وتقابلت أعينهما، وللحظة شكك "براجي" في حدسه، فقد امتلكت ابتسامة خجولة وعينين جميلتين. فكر في أن ما يشعر به بخصوص أناقتها ما هو إلا تفكير عقيم ذو تصور خاطئ للأمور. ربما أخطأ في فهم الأمر كله، فلم يكن يومًا متخصصًا في الأزياء النسائية. هل تخذله غرائزه؟ ربما حان الوقت لترك الوظيفة حقًّا.

34

تفتت سطح السلالم الإسمنتي الرفيع أسفل قدمها، وانبعث من قاع سلم المبنى رائحة البول، أوشكت "سونيا" على الرجوع والاتصال بـ"ثورجير" لمعرفة ما إذا كانت في المكان الصحيح لاستلام الشحنة، فحتى الآن كل مَن قابلتهم رجال في

صالات الفنادق، وتسلمت الشحنات دون التفوه بكلمة، وهذا شيء جديد. علمت بالطبع أن الأمور ستتغير مع الشحنات الكبيرة، وكان عليها التعامل مع صعوبة الوضع. كانت الشقة في الطابق السادس، وأمكنها سماع موسيقى تأتي من خارج الباب قبل أن تطرقه حتى. صاح الرجل الطويل الذي فتح باب الشقة:

- مرحبًا يا عزيزتي!

استطاعت "سونيا" رؤية طاولة مغطاة بالكوكايين وراءه، ثم قالت:

- أنا هنا للتوصيل.

أجاب الرجل بلهجة أفريقية ثقيلة:

- حسنًا، هذا جيد.

وأكمل:

- لصديقي العزيز "ريكي" في أيسلندا؟ لا يوجد بركان الآن؟ لقد واجهنا مشكلة كبيرة عندما انفجر "إي-فاتيلا-كاكا".

ابتسمت "سونيا" عند نطقه "إيافياتلاجوكوتل": البركان الذي أوقف حركة النقل الجوي عبر أوروبا، والذي عطل خططها لبضعة أسابيع، وحتى الآن تمثل رؤية الرماد المتطاير في رياح "ريكيافيك" الشرقية ذكرى يومية لتلك الأسابيع من الاضطراب والريبة. وأضاف الرجل وهو يجز على أسنانه حتى ضاق فكه:

- سأحضر لكِ الحقيبة.

أبرز لونه الأسود النقاط البيضاء التي تجمعت على شفتيه، من الواضح أنه كان يتفحص البضائع الخاصة به. خطت "سونيا" قدمها داخل الشقة بتردد في حين كانت تتمنى الالتفات والهروب.

حدقت في الأشخاص في غرفة المعيشة وأرادت أن تخفي وجهها بشدة. لم تكن المشكلة أنهم رأوها وحسب، بل ذكر الرجل عندما رن تليفونه أنها في

طريقها إلى آيسلندا مرة أخرى. اختفى بعدها في غرفة أخرى وجلست "سونيا". رأت سيدتين نحيفتين تجلسان حول طاولة يتعاطين جرعات صغيرة من أكياس الكوكايين، وعلى الجانب الآخر من الطاولة يستعد رجلان آخران.

تعرفت "سونيا" على أحدهما؛ رجل كبير السن بشعر رمادي خفيف، تسلمت منه كيلو ذات مرة. كان يملأ أصابع قفازات مطاطية مقطوعة بالمسحوق الأبيض، بينما يقوم رجل آخر أصغر سنًّا بشعر أشقر بخياطة أصابع القفازات من أسفل بخيط تنظيف الأسنان، وغمس كل صباع بعد ذلك في وعاء فيه سائل سميك وشفاف. مكتبة سُر مَن قرأ

سألته "سونيا" بعدما وجدت شيئًا لتقوله:

- ما الذي تغمسهم فيه؟

أجاب الرجل ذو الشعر الأشقر:

- شمع، فهو يحمي أصابع القفاز المطاطية التي تصَّنع من "اللاتكس" من حمض المعدة.

بمجرد أن عاد الرجل بالحقيبة، بدأت الفتاة الجالسة على الطاولة في التقيؤ. صاح الرجل وهو يترك الحقيبة ويسرع إليها:

- لا، لا، لا!

فقفز ثلاثتهم، وأمسك ذو الشعر الرمادي برأسها، وسحبها إلى الخلف ليبقيها في وضع مستقيم. نصحها الرجل الأشقر:

- تنفسي بعمق، فقط تنفسي وسيتوقف هذا.

فعلت الفتاة مثلما قيل لها وأخذت أنفاسًا عميقة، بينما أخذ جسدها يتشنج وهي تحاول التقيؤ. سالت الدموع على خديها وهي تلهث، فلم تكن قادرة على التحمل. فأمر الرجل الأفريقي:

- سيأخذ الجميع نصف كيلو؛ لا استثناءات.

تأملت "سونيا" جسد الفتاة الضعيف بعظمها البارز وتساءلت كيف لها أن تملأ معدتها بنصف كيلو من أصابع "اللاتكس" الصغيرة هذه، فهي لم تكن قد تجاوزت العشرين عامًا تقريبًا، ولم تنضج بالكامل.

أخرج الرجل الأسود قنينة صغيرة واستخدم أطول ظفر في إصبعه الصغير لحمل بعض المسحوق ووضعه في كل من فتحتي أنف الفتاة.

- استنشقي وستشعرين بتحسن.

استنشقت الفتاة وتوقف القيء على الفور، وعندما ترك العجوز رأسها، وقفت على قدميها ومشت بضع خطوات سريعة لغرفة المعيشة. صاح الرجل الأسود:

- مهلًا! أجل!

ثم ملأ ظفره بمسحوق الكوكايين واستنشقه بأنفه دفعة واحدة، وأضاف:

- هذه بضاعة أصلية، ليس بها كرياتين ولا كافيين، ولا تسبب غثيان ولا صداع، فقط بضاعة نظيفة من بيرو.

ربت على ظهر "سونيا" في سعادة، وفتح الحقيبة وبدأ في نقل الأكياس من الطاولة إليها، تناثرت أكياس المسحوق المتماسكة داخل الحقيبة، كل واحد ملفوف بكيس بلاستيكي فضفاض. أخذت "سونيا" تعد أربعة، خمسة، ثم أخيرًا ستة أكياس، وقالت:

- هذا يكفي. قيل لي إنها ستكون ثلاثة كيلوجرامات.

تمتم الرجل:

- بل أربعة.

وأضاف:

- أخبرني "ريكي" أنها أربعة، ما زال هناك كيسان باقيان. لا تريدين الذهاب بأقل مما اتفقت أن أرسل، أليس كذلك؟ سيظن أنكِ سرقتيها.

بلعت "سونيا" ريقها، بالطبع لن تستطيع الذهاب من دون الكمية المتفق عليها، لكنها كانت غاضبة. كان ذلك تخطيطًا نموذجيًا للفخ؛ الاتفاق على شيء وتنفيذ شيء آخر. ابتسم الرجل وربت على ظهرها ثم سلمها الحقيبة وقال:

- فتاة مطيعة.

وأضاف:

- نحن نبحث عن بعضنا، أليس كذلك؟ نحن من نبيع البضائع الأصلية، لا أملاح الاستحمام وتلك الأشياء الرخيصة اللعينة من الصين، فهي تسبب هبوطًا ونزيفًا من الأنف، ومَن يدري؟ قد يكون ما هو أسوأ مليون مرة. نحتاج إلى رعاية بعضنا بعضًا، ومراقبة الجودة وإخبار الجميع عن بيرو! بيرو مكان الجودة. تحتاج الناس إلى التعرف على الأفضل ورفض التقليد الرخيص. نحن نفكر في المستقبل كما ترين.

وبينما أكمل حديثه، حملت "سونيا" الحقيبة وسارت تجاه الباب، ورفعت يدها مشيرة بالذهاب، ثم فتحته وذهبت. أرادت أن تصرخ وهي تنزل تلك السلالم القذرة، لكنها قررت الانتظار حتى يسمعها "ثورجير"، فستحرص على جعله يندم بإرسالها إلى هذا المكان البشع.

35

- رأيت الجريدة للتو، لِمَ لَمْ تخبريني بشيء عندما اتصلت بكِ البارحة؟

كانت "سونيا" في ممر الطائرة وفي يدها نسخة من جريدة "مورجانبلاذيذ"، وكان خبر الصفحة الأولى عن "أجلا" كمشتبه بها.

- أردت فقط أن أؤجل سماعكِ عن الأمر أطول فترة ممكنة.
- لماذا يا "أجلا"؟ هذه هي الأشياء التي من المفترض أن نخبر بها بعضنا بعضًا.

وقفت المضيفة في الممر ونظرتها تلمِّح لـ"سونيا" أنه حان وقت الصعود على متن الطائرة.

- أعلم أنكِ كنت ستعرفين عاجلًا أم أجلًا، لكن..
- لكن، ماذا؟
- كنت أتمنى لو لم تعرفي.

ظلت عينا "سونيا" على الصفحة، وشعرت بغصة في قلبها وهي ترى صورة "أجلا" ويقودها شرطيان.

- أعلم أنه ما يتم استجوابك عليه شيء مهم، ومع ذلك، أدرك حقًّا أنه كثيرًا ما ينتهي بنا الأمر فاعلين كل الأشياء، الأشياء التي يتعين علينا فعلها.

لم تجب "أجلا"، فأغلقت "سونيا" المكالمة، وأراحت المضيفة بصعودها إلى الطائرة، ثم جلست في مقعدها وربطت حزامها. كانت على وشك غلق تليفونها عندما

رأت أن هناك رسالة، فتحتها آملة أن تكون من "أجلا"، لكنها أُحبطت، فأول كلمة رأتها كانت "اجتماع"! فعرفت على الفور مَن المرسِل. قررت "ليبي" و"نادي الموضة" الاجتماع مرة أخرى. فأغلقت "سونيا" تليفونها دون قراءة أي شيء آخر.

في حياة أخرى ووقت آخر، قد تسعد بمقابلة الفتيات، والشرب معًا والضحك على الأيام الفائتة، لكن تلك الحياة كانت بعيدة تمامًا عن واقعها الحالي.

36

قالت "أجلا":

- من المفترض أن تعرف الآن مَن أنا.

لكن المحقق "جوين جونسون" لم يجد هذا مسليًا، فقال:

- هذا إجراء مهم، ونحن بحاجة إلى معرفة التفاصيل الصحيحة، من فضلك أجيبي باسمك.

- اسمي "أجلا مارجيرسدوتير"، تاريخ الميلاد: 18 يناير 1965، رئيسة قسم الاستثمار السابقة.

في اليوم السابق، بالإضافة إلى "أجلا" والمحقق "جوين" و"ماريا"، جلس "أولافور" على كرسي خلفهم. وبجانب "أجلا"، جلس "إلڤار" محاميها، ويداه ترتجفان من جرعة كافيين زائدة، فقد كان مستيقظًا طوال الليالي الماضية يعمل على القضية. قال المحقق "جوين" وهو يمرر ورقة لـ"أجلا":

- قبل أن نبدأ التحقيقات، نريد إعلامكِ بأنكِ متهمة بالتلاعب في السوق، كما هو مدون في هذه الورقة.

نظرت "أجلا" إليه وهزت رأسها، ثم أعطتها لـ"إلڤار".

- سترين أنه من الواضح أنكِ لست ملزمةً بالإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالقضية المعنية، ولا لتوضيح الظروف ذات الصلة، ولكن إن أردتِ التعليق، عليكِ الالتزام بالوضوح والصدق.

بينما قرأ المحقق تلك التعليمات النموذجية، كان واضح أنه فعل ذلك مرات عديدة من قبل. ثم مررت "أجلا" لـ"إلڤار" ورقة أخرى، قرأها المحقق:

- وأخيرًا، هذا طلب تعويض تم رفعه ضد المديرين السابقين من لجنة اتخاذ القرار في البنك، والذي سيتم التعامل معه بشكل منفصل عندما تتضح ظروف القضية.

قد سبق وقرأ تلك الأوراق في المنزل، وتصفحها ورقة تلو الأخرى، مجرد مسألة شكلية. وسط كل هذا، كان الجو في الغرفة مشحونًا أكثر من أي وقت مضى، حتى إن "أجلا" شعرت أن بإمكانها شم رائحة الكهرباء في الهواء. ألقى المحقق "جوين" نظرة على "ماريا"، التي فتحت ملفًا كبيرًا وأخرجت منه ورقة، وهو يقول:

- هيا نبدأ.

بدأت "ماريا":

- بالتعاون مع "الإنتربول" والعديد من صناديق الاستثمار الأجنبية، تحققنا من ملكية تلك الأموال التي استخدمتِها للمعاملات المذكورة.

سكتت "ماريا" ونظرت إلى "أجلا" في عينيها. حدقت "أجلا" هي الأخرى لكنها لم تقل شيئًا. اعتادت تلك المعاملة من "ماريا"، كان الصمت حيلة لاستدراجها للحديث، فإذا توترت من الهدوء وقالت شيئًا لمجرد ملء الفراغ، كانت هناك فرصة أن يفلت لسانها بخطأ ما. أكملت "ماريا":

- إذا بدأنا بهذه الشركة، "آفانس للاستثمار"، سنجد أنها رسميًا ملك لشركة مسجلة في جزر "كايمان" تسمى "إيه جيه كيه". وبعد البحث والاستطلاعات، ثبت لنا أنها ملكٌ لكِ.

صمتت "ماريا" مرة أخرى وحدقت في "أجلا"، فقام "إلڤار" بالبحث في أوراقه عن معلومة تعرف "أجلا" أنها ليست موجودة، فكان ذلك شيئًا حرصت على عدم إبلاغه به. كسر الصمت فجأة المحقق "جوين"، الذي كان يطرق على الطاولة بيده ويطرق الأرض بقدميه:

- لقد كذبتِ علينا بهذا الشأن في اعترافكِ!

اندهشت "أجلا" وأرادت للحظة أن تشيح بعينيها بعيدًا عن غضب محققها، وتتوسل للرحمة، وتهرب وتختبئ، ثم قالت وهي تحاول أن تتماسك:

- الصمت حيال شيء ما ليس كذبًا، عندما ذكرت "آفانس"، سألتِ عن المعاملات التي جرت من خلال الصندوق، وليس عن ملكيته.

اقترح "جوين" وهو يرجع بظهره إلى الخلف:

- دعونا نرسم لوحة. بين أكتوبر 2007 وفبراير 2008، قمت كل أسبوع بتحويل ما بين سبعمائة، وتسعمائة ألف دولار إلى صناديق خارجية. والآن يتضح أن إحدى تلك الشركات مملوكة لك.

أجابت "أجلا":

- بل معظم هذه الشركة لكي نكون أكثر دقة.

ابتعد "جوين" وهو يحك رأسه حتى وقف شعره الأشقر في جميع الاتجاهات.

- أتحاولين إخباري أنكِ تعتقدين حقًا أننا لا نستطيع رؤية كل هذا؟

فقال "إلڤار":

- أي رأي يدلي به المشتبه به أو يتحفظ عليه فيما يتعلق بتحقيق النائب العام يعتبر لا علاقة له بالموضوع، لذا لن تجيب عن هذا السؤال.

أكمل "جوين" كما لو لم يسمعه:

- مئات الملايين جرتِ في ذلك الطريق، عبر حسابكِ الخارجي الذي من المفترض أن البنك قام بدفع فواتير تلك الخدمات، وأنتِ تحاولين قول إنكِ لا تعتقدين أن هذا أمر يستحق الذكر؟

مشي "جوين" ذهابًا وإيابًا في مساحة الغرفة الصغيرة، ثم عاد إلى مقعده مجددًا، أكملت "ماريا" بهدوء:

- ما نشير إليه يا "أجلا"، وما نبحث عنه هو تأكيد لما نعرفه بالفعل؛ أن هذه الأموال ذهبت في دائرة، وتلك المبالغ من البنك لم تذهب لصندوق الاستثمار الخارجي، بل في الواقع كانت تستخدم للاستثمار في البنك نفسه، وأن هذا المال ذهب في جولة حول العالم، لذا فقد يعود إلى هنا ليرفع سعر سهم أحد البنوك الفاشلة.

ردت "أجلا":

- لا أستطيع تأكيد ما لا أعرفه.

قالت "ماريا" برفق وهي تداعب الملف بيدها:

- نحن نعرف يا "أجلا"، ونملك الوثائق والمستندات، نعرف أنكِ محتالة.

جاءت الإهانة أكثر حدة عندما قالتها بتلك الطريقة. نظرياتهم كانت صحيحة تمامًا، فكان هذا بالضبط هو الطريق الذي سلكته الأموال، ولكن لم يكن هناك سند ورقي يربط "أجلا" بشراء الأسهم في البنك. كانوا بحاجة إلى شهود لإثبات التهمة، وهذا هو الجزء الذي تتضح فيه الصورة الغامضة حول حقيقة علاقتها بـ"يوهان" و"آدم".

كان عزاءها الوحيد أنه من خلال تعريضها لتلك المواقف، أنهم يضعون المشانق حول رقابهم أيضًا، كل ما أمكنها فعله الآن هو الحفاظ على هدوئها والسماح لموظفي النائب العام بالتشويش على كل شيء، آملة طوال الوقت أنهم لن يطرحوا الأسئلة الصحيحة؛ التي يجب ألا تُطرح.

37

لم يكن لدى "سونيا" من قبل هذه الرغبة الشديدة في الجري في ممشى مطار "كفلافيك"، فقد كان قلبها يدق بشدة في صدرها، يخبرها أن تتحرك بسرعة كالدم الذي يجري في عروقها، لكن لم يكن هناك ما يدعو للعجلة، كان عليها البقاء هادئة ومتماسكة حتى تأخذ حقيبة البضائع من السير الناقل. وذكّرت نفسها بالكاميرات التي تكشف كل ركن من أركان مبنى المطار وسارت ببطء دون النظر حولها، ونزلت السلم إلى الأسواق الحرة، اشترت كيسًا من الحلوى لإسعاد "تيوماس"، وزجاجة كونياك لإرضاء "أجلا" بالقدر نفسه، ووقفت في الصف للدفع. بمجرد أن وصلت إلى الكاشير، رأت سير الحقائب الخاص برحلة لندن يبدأ بالتحرك، فارتعش قلبها.

بينما انتظرت "سونيا" حقيبتها بجانب السير الناقل، مر عليها كل ما اخترعته عن شخصيتها البديلة التي اختلقتها، فكانت مطوِّرة برامج في شركة "إس جي للبرمجة"، وكانت مديرة هذه الشركة، ومنغمسة فيما تفعل وتسافر للعمل. عندما ظهرت الحقيبة أخيرًا، أرغمت "سونيا" نفسها على عدم الركض خلفها لالتقاطها، راقبتها وهي تقترب ببطء شديد مثل الحلزون، وتساءلت إذا كان ضباط الجمارك سيظهرون عندما ترفع الحقيبة من على السير الناقل، أو إذا سينتظرون حتى تمر من خلال الجمارك لأخذها جانبًا. وحاولت إقناع نفسها بأنهم لن يلمسوها. كانت احتياطاتها دقيقة جدًا، فقد اشترت مكنسة

كهربائية في لندن وقضت ساعات في تعبئة الأكياس في طبقات متتابعة من البلاستيك، ثم قامت بتعبئة كل واحدة منها في كيس من أكياس القهوة وملأت بهم المكنسة، وهذا قبل غسل كل عبوة في صابون قوي الرائحة وتعبئتها في كيس آخر. من المفترض أن يكون ذلك كافيًا لخداع أجهزة الكشف، ومن المؤكد أنه لن يستطيع أحد رؤية الكلاب البوليسية، فإن حدث وأخذوها جانبًا، ستكون مصادفة مؤسفة؛ فحص عشوائي. فأملت أن ينشغل الضابط الإضافي في البحث عن الشَرَك الذي طلبت من "ثورجير" تجهيزه في مطار "ريكيافيك" الداخلي.

رفعت "سونيا" الحقيبة من على السير الناقل، محاولةً التظاهر أنها ليست ثقيلة، رفعت المقبض وانطلقت تجاه بوابة الجمارك، تسير بخفة ولكن بثبات، وتماشى صوت خطواتها مع ضربات قلبها، مما أدى إلى تناغم داخلي قوي. كلما مشت على طول الممر، زادت رغبتها بالركض، لكنها ظلت متوازنة حتى اجتازت صالة الوصول إلى جراج السيارات، ثم سمحت لنفسها برفاهية الركض بالحقيبة مسافة كبيرة إلى حيث كانت سيارتها تنتظر.

كانت السيارة مغطاة بطبقة من الثلج، لكنها لم تستطع الصبر للبحث عن شيء لإزالته، وبدلًا من ذلك، أخرجت من حقيبة يدها بطاقة الائتمان واستخدمتها لإزالة ما يكفي من الثلج على الزجاج الأمامي حتى تتمكن من رؤية الطريق أمامها، وسيختفي باقي الجليد بمجرد أن تسخن السيارة لبضع دقائق. دخلت السيارة وشغلت المحرك، ورأت أن أنفاسها تصنع غيومًا في ذلك الجو المثلج. شعرت باندفاع دمها بشدة لدرجة أنها كادت أن تسمع صوت تدفقه بينما كانت سيارتها تطير على طول طريق "ريكيانيسبراوت"، بدا كما لو كانت عجلاتها بالكاد تلمس الأسفلت. أرادت أن تصرخ بارتياح، ثم قالت لنفسها: "اهدئي قليلًا، وخذي الأمور بسلاسة"، فلم تكن هناك حاجة لأخذ مخالفة سرعة، بينما نجحت في عبور الجمارك بأربعة كيلوجرامات من الكوكايين.

عندما اقتربت من المدينة، تساءلت هل تتصل بـ"أجلا" أم لا. قررت أنها لن تفعل، وستذهب إليها مباشرة بدلًا من ذلك. يمكن للحقيبة أن تنتظر في السيارة ليلة واحدة. استطاعت "سونيا" أن تشعر بالطاقة تملأ جسدها، وكانت بحاجة إلى "أجلا"، وعلى الفور فتحت "أجلا" الباب وكانت ترتدي سترة غير مكوية.

تمتمت وهي تفرك عينيها:

- لا بد أنني غفلت على الأريكة.

اندفعت "سونيا" بين ذراعيها وقبلتها بشدة في فمها، ولم تمانع رائحة الخمر، لم تمانع أي شيء أضاف إلى إثارتها. قالت "أجلا"، وقد أفاقت فجأة:

- مزاجكِ جيد، أليس كذلك؟

أجابت "سونيا".

- نعم. تعالي إلى السرير.

تجردت من ملابسها في الظلام، وسمعت "أجلا" أيضًا وهي تتنفس بقوة وبسرعة.

38

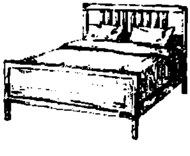

رقدت "أجلا" على ظهرها تحدق في سقف الغرفة. انعكس ضوء عمود الإنارة القادم من الشارع على ضوء ثريا غرفة النوم، فرأت ذبابة ميتة على غطائها كانت قد أزعجتها لأسابيع. لم تلاحظ جثة الذبابة وقت النهار، وقتما يكون باستطاعتها الصعود على كرسي لإزالتها، تراها فقط عندما تشعر بالأرق والقلق في السرير، ينيرها ضوء الشارع، ويبرز تفاصيلها.

فاجأها استجواب هذا الصباح، أدركت بالطبع أنه عاجلًا أم آجلًا سيزيد الضغط عليها، لكن يبدو أن المحققين أصبحوا فجأة أكثر عدوانية. ربما، بما أن محاميها الجديد لم يكن على أهبة الاستعداد، فاستغل فريق النائب العام تلك الفرصة، أو كانت هذه هي الترتيبات المعتادة بالنسبة إلى شخص أصبح مشتبهًا فيه رسميًا في القضية، فقد غيروا موقفهم عمدًا، أو ربما امتلكوا بعض المعلومات التي تدعمهم، وكأن من حقهم التصرف بتلك الطريقة الفظة، فهل أعطاهم "آدم" أو "يوهان" بعض المعلومات ضدها؟

استطاعت "أجلا" الشعور برأس "سونيا" على كتفها وتباطؤ أنفاسها الذي أخذ يهدأ، حتى ارتفع جسدها وهبط مع إيقاع أنفاس المرأة النائمة بجانبها. كان الأمر كما لو كانا جسدًا واحدًا، مرتبطين ببعضهم بعضًا، ثم رسمت بأناملها على جلد "سونيا" كلمات أُحرجت من قولها بصوت مرتفع. كتبت: "قلبي، حبيبتي، حياتي".

شعرت بشيء رائع حول التعبير بأصابعها على الجسد النائم بجانبها بكلمات لن تستطيع التلفظ بها.

39

أعد "براجي" أول كوب قهوة له في دوامه، وجلس أمام النافذة المطلة على صالة الوصول. ظهر وقتها "أتلي ثور" يفاجئه بصفعة على ظهره، وقعت بعدها بضع قطرات من القهوة مكونة بركة رماديةً على السجادة.

فقال وهو يضحك:

- خمن ماذا؟ طُلب مني التحدث معك بشأن التقاعد.

- وأفترض أن "هرافن" هو مَن طلب هذا؟

- أجل، قلت له إنني سأحاول، لكنني لن أصل لأي نتيجة.

سحب "أتلي ثور" بعض المناديل الورقية من الحامل بجانب الحوض ومسح القهوة المنسكبة، ثم رد "براجي" مبتسمًا:

- أخبره أنني أنوي البقاء حتى التسعين، ولو تطلب الأمر، سأراه في المحكمة.

ابتسم له "أتلي ثور" وقال:

- سأحرص على إبلاغه ذلك.

وربت على ظهر "براجي" لكن بلطف هذه المرة، مراعيًا القهوة التي يحملها، ثم أضاف:

- بالمناسبة، تم ضبط 200 جرام من الكوكايين مقسمين بحرص بالأمس في المطار الداخلي.

- حقًّا؟

اضطربت ضربات قلب "براجي" للحظة قبل حتى أن يعرف السبب، فلم يكن 200 جرام شيئًا ذا أهمية، لكنه قد يكون مؤشرًا على وجود شيء أكبر بمكان آخر، ليس بالضرورة أن يكون في مطار "ريكيافيك" الداخلي، حيث هبطت فقط بضع رحلات جوية خارجية، لكن قد يكون عبر المطار الدولي في "كفلافيك".

- مهرِّب تقليدي، كان يرتجف بفظاعة، سافر من كوبنهاجن عن طريق جزر "فارو".

وضع "براجي" كوب قهوته جانبًا، وتركَّزت أفكاره على الصورة التي أصبحت أكثر وضوحًا في ذهنه وقال:

- وهل أفرغ ما بداخله؟

- حسنًا، قال إن شخص ما في كوبنهاجن لم يكن يعرفه ولا يعرف اسمه حتى جعله يفعل ذلك.

نظر "براجي" في عينيّ "أتلي ثور" ثم قال:

- هذه هي القصة إذن، أسأكون محقًّا إن خمنت أنه تم استخدامه لهذا الدور كإشارة مجهولة؟

بدا صوت "أتلي ثور" مليئًا بالفضول وهو يقول:

- يبدو ذلك صحيحًا.

- شَرَك؟ هل ذلك ما تعتقده؟

- أعتقد أن الأمر واضح دون كلام.

- أينبغي لي التحدث مع المحللين؟

فقال "براجي"، ويده على مقبض الباب:

- دعنا ننتظر قليلًا قبل أن نفعل ذلك.

كان هناك تنافس قوي بين المحللين والضباط، وفي كثير من الأحيان، كان يجني المحللون ثمار الأعمال التي قام بها الضباط، فكان الأمر وكأنهم يسلمونهم نجاحاتهم على طبق من فضة.

- هل يمكنك أن تراقب النافذة؟

دون انتظار الرد، أسرع إلى الرواق، ومر بصالة الاستقبال السابقة، حتى دخل إلى غرفة الكمبيوتر. جلس أمام شاشة وشعر بيديه ترتعشان وهو يُدخل كود استرجاع تسجيل الكاميرات عن اليوم السابق الخاص بمنطقة الوصول.

40

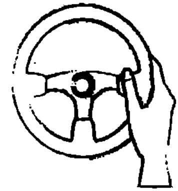

خرجت "سونيا" بهدوء إلى جراج السيارات أمام بيت "أجلا". كان صفير إنذار سيارتها بمثابة ترحيب عندما ضغطت على الزر في مفتاحها. بالطبع كان تصرفًا مهملًا لن يُغفر حين تركت حقيبة تحتوي على أربعة كيلوجرامات من الكوكايين في السيارة طوال الليل، لكنها شعرت أن شيئًا ما بداخلها قد تغير. كل تلك الاحتياطات الأمنية الدقيقة التي اتخذتها عندما كانت تسافر بكيلو واحد في رحلة واحدة تبدو غريبة بعض الشيء الآن. لا تزال تشعر بالذهول من سهولة إحضار مثل هذا الكم الكبير دفعة واحدة، وقد أشعرها انتصار أمس بالارتياح، وأحست بالقوة والذكاء، ولم يكن حتى التفكير في مقابلة "ريكهارثور" كافيًا لمضايقتها.

أشعلت "سونيا" المدفئة بمجرد أن صعدت إلى السيارة لإزالة الشبورة التي تكونت خلال الليل على الزجاج الأمامي. ثم فعَّلت نظام الرصيد الفوري الذي بعثت من خلاله رسالة نصية. رد عليها "ريكهارثور" يقترح رصيف "جراندي" بينما تحركت في زحمة الطريق، ومع أول إشارة حمراء، كتبت له: "حسنًا! في الحال".

لم تجد سببًا للانتظار هذه المرة، فقد كان الكوكايين مقسمًا ومغلفًا بالفعل، ومن المستحيل أن تحتفظ بأي شيء لنفسها دون أن ينكشف الأمر. وجدت أن شيئًا آخر من احتياطاتها قد أصبح أمرًا طفوليًا، وهو أن تخبئ الشحنة لـ"ريكهارثور" ويذهب هو لإحضارها، فهي تلعب الآن مع الكبار، كما صاغ لها "ثورجير"، وعليها إذن أن تلعب بحرص قدر الإمكان وأن تأمل أن يتشاركا الاهتمامات نفسها.

أوضحت رسالة "ريكهارثور" التي احتوت على علامة استفهام فقط أنه كان يتوقع إبلاغه بالأمر قبلها ببضع ساعات كالمعتاد، لكن "سونيا" كررت أن عملية التسليم يجب أن تتم على الفور، وتوجهت مباشرة إلى الرصيف. وقفت هناك بجانب سيارتها وسط روائح مختلطة من النفايات الزيتية والأعشاب البحرية حتى ظهر "ريكهارثور".

خرج "ريكهارثور" من سيارته مع رجل آخر، شخص لم تره "سونيا" من قبل، كان مثل الباقين، شابًّا يبدو عليه الذكاء، بمظهر رياضي. أبقى عينيه على "ريكهارثور" كما لو كان ينسخ كل خطواته. فتحت "سونيا" صندوق السيارة وأخرجت الحقيبة، لكن بدلًا من إنزالها وسحبها وراءها، حملتها بالقرب من "ريكهارثور"، ثم أعطتها له، ثم قالت وهي تنظر إليه:

- إنها لك.

أخذ "ريكهارثور" الحقيبة بإصبع واحد، كما لو كانت لا تزن شيئًا وناولها للشاب الواقف بجانبه، أخذها منه ووضعها على المقعد الخلفي لسيارتهم ثم جلس هو في المقعد الأمامي. سأل "ريكهارثور" وهو يقترب خطوة من "سونيا":

- لا غُميضة هذه المرة؟

أرادت أن تهرب، لكنها وقفت. ثم أضاف:

- ما الذي اختلف؟

فقالت "سونيا":

- تأكدت أخيرًا أنكم لا تعبثون معي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

اقترب "ريكهارثور" خطوة أخرى وأمسك بها بسرعة، لدرجة أنها لم تستطع الإفلات من قبضته، أمسكها بقوة، فشعرت بأنها حيوان عاجز واقع في فخ، وكأن يديه صُنعت من الحديد، لا اللحم. لم يهتز شبرًا واحدًا على الرغم من

بذلها قصارى جهدها للإفلات. وضع يدًا بعد ذلك أسفل خصرها، وضغط عليها بشدة حتى رأت "سونيا" نقاطًا سوداء ترقص أمام عينيها. ثم وضع فمه بالقرب من أذنيها وهمس قائلًا:

- لا تكوني واثقة من هذا.

41

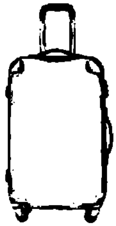

امتلأت قاعة أجهزة المراقبة بضوء أزرق من الشاشات. أغلق "براجي" الأنوار حتى يرى الشاشة بوضوح أكثر، ثم جلس في هذا الضوء الأزرق يبحث عن لقطات فيها وجه يعرفه، أو شخص مألوف يلفت النظر والحذر. بدأ بالوافدين الأوائل في اليوم ومر بهم سريعًا، بدأ بالرحلات المبكرة من أمريكا؛ كان لا يزال المسافرون شبه نيام مع حقائبهم الثقيلة، ومر بسرعة بالرحلات القادمة من التشيك وبولندا. لم يشك بأي من الركاب، بدا أنهم سائحون طبيعيون قادمون مع مرشديهم. وأتت بعد ذلك رحلات منتصف اليوم القادمة من أوروبا. كان بين الركاب شخص واثق أنه يعرفه من قضية قديمة، فنقل التسجيلات إلى ممر الجمارك وكبر وجه الرجل، لكنه عرف أنه ارتكب خطأ، فلم يكن الشخص نفسه.

واصل "براجي" بحثه. أخذ يمر بسرعة خلال الرحلات الخاصة التي وصلت بعد الظهر، ثم أبطأ في الرحلات المسائية، فبدأ بأمستردام، ثم كوبنهاجن، ثم رحلة إضافية أتت من باريس تمت إضافتها إلى الجدول، ثم رحلة لندن. أوقف "براجي" عرض التسجيل وقام بتكبير صورة الأمتعة الخاصة برحلة لندن على السير الناقل، وقفت آنذاك السيدة الجميلة ذات المعطف "سونيا جانرسدوتير"، التي بدت دائمًا كنجمة سينمائية، قام بإعادة ذلك المقطع من التسجيل منذ اللحظة التي ظهرت فيها على أعلى السلم المتحرك. كانت تحركاتها طبيعية تمامًا مع الأشخاص من حولها لدرجة أنه لم يلاحظها من قبل، بدا الأمر كما لو كانت تسبح مع ذلك التيار من الناس دون أي حركة قد تجذب الانتباه. أبقى "براجي" عينيه عليها بينما ذهبت إلى الأسواق الحرة وخرجت تحمل حقيبة تسوق في يدها. كبر الصورة أكثر عندما وقفت مكانها بجوار السير الناقل؛ صامتة بلا حراك، تراقبه يمر أمامها، ولكن أصابتها فجأة رعشة غير مرئية، كانت دقيقةً جدًّا لدرجة أنه لو لم يكن "براجي" متيقظًا لكانت مرت عليه. واصل المشاهدة حتى مالت لأخذ حقيبة سوداء، ثم أعاد المقطع ليشاهدها وهي تهتز فجأة. فقد ارتعشت تمامًا، كان من الصعب ملاحظة ذلك لو لم يراقبها، فكانت حركة لا إرادية، بالتحديد في اللحظة التي ظهرت فيها حقيبتها عبر السير الناقل. ومرة أخرى راقبها تميل لأخذ الحقيبة، من الواضح أنها كانت ثقيلة، على الرغم من ذلك تعاملت كما لو لم يكن الأمر كذلك، فرفعت المقبض وانطلقت بخطوات ثابتة ومحددة وهي تجر الحقيبة خلفها.

لاحظ "براجي" الوقت المحدد الذي تركت فيه قاعة الوصول ثم انتقل إلى كاميرا ممر الجمارك، وجد أنه لم يحدث شيء، فقد سار جمع من الناس خلال الممر الضيق دون وجود ضابط واحد في المكان، وعندما لاحظ الدقيقة التي خرجت فيها من المبنى الرئيس، انتقل بسرعة إلى الكاميرا الخاصة بجراج السيارات. كان منزعجًا ومنفعلًا بسبب السيارات الواقفة في المقدمة، والتي حجبت رؤية البوابة الأخيرة. اضطر الانتظار قليلًا قبل ظهورها، رآها تمشي بالشكل نفسه؛ خطى ثابتة

لتبتعد عن المبنى، حتى رآها تركض امتداد طريق المطار، إلى أن وصلت جراج السيارات، قام بعد ذلك بإعادة مشاهدة اللقطات منذ الوقت الذي خرجت فيه من البوابة قبل أن تتحول إلى فرس. كان الأمر كما لو كانت تقاوم كل تلك الطاقة حتى تتمكن من إخراجها في الهواء النقي.

أوشك "براجي" على غلق الجهاز، لكنه لاحظ مَن يجري وراءها طوال الطريق حتى وصلت جراج السيارات. لم يتبعها حتى آخره، لكنه دخل سيارة سوداء رياضية - مرسيدس 4 × 4 ثم ابتعد. كان الرجل متوسط الطول، لكن ساقه الممتلئة جعلته يمشي بطريقة مقوسة. بدل "براجي" الكاميرات مرة أخرى، وانتقل إلى تلك المثبتة فوق المدخل بجانب بوابة الخروج، فأمكنه رؤية المنطقة المفتوحة بين الساحة الخارجية والسيارات، وشاهد المرأة تخرج متوجهة مباشرةً إلى الجراج. استطاع أن يرى أيضًا أن الرجل كان مستندًا على حائط حتى ظهرت. وعندها أخرج تليفونًا واتصل برقم ما ثم وضعه على أذنه، ثم انطلق بعدها نحو جراج السيارات.

كان "براجي" يعرف ذلك الرجل؛ "ريكهارثور رونارسون": سفاح وتاجر مخدرات معروف، اشتهر بتجارة المخدرات، لكنه لم يحدث أن تم ضبطه، وكان "بغال المخدرات"، وهو الاسم الذي يُطلق على مَن يهربون المخدرات داخل أجسامهم، دائمًا ما يهابونه. أعاد "براجي" اللقطات مرة أخرى وكان يكبر صورة وجه الرجل للتأكد من أنه كان "ريكهارثور" عندما فُتِح باب قاعة المراقبة ودخل "أتلي ثور". ثم قال بصوت يمتلئ بالمشاعر:

- مات "كوبا ليبر"، يبدو وكأنه تسمم.

فوقف "براجي" وقال:

- ماذا؟ متى؟

- بالأمس. ذلك المسكين! ظننت أنك ستريد أن تعرف.

جلس "براجي" في كرسيه ليرتب أفكاره: أولًا، معلومات مجهولة المصدر تشير إلى احتمالية وصول شحنة عبر مطار "ريكيافيك" المحلي، كما شوهد "ريكهارثور رونارسون" في "كفلافيك"، يتتبع امرأة غامضة تصل من الخارج. وفوق كل هذا، مات كلب من كلاب الحراسة، وعندما أعاد ذلك التسلسل مرة أخرى، بينما شاهد المرأة تعدو إلى جراج السيارات، تأكد الآن أن جميع شكوكه كانت على حق. فهدأت يداه بعد أن كانتا ترتعشان، ووقع عليه الإدراك وقع الصاعقة، فهذه المرأة لم تكن مجرد سيدة جميلة، بل كانت مهربة بارعة.

42

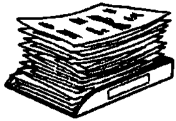

سألت "ماريا" وهي تشير إلى إحدى المعاملات المطولة على ورقة:

- وتلك؟ أكانت هذه المعاملات أيضًا ضمن العمل الروتيني؟

وضعت "أجلا" نظارة القراءة ونظرت في القائمة وقالت:

- لا، إنها مجرد صفقات في الأوراق المالية اليونانية.

ساد شيء من الصمت حتى قال المحقق "جوين":

- أتريدين أن تشرحي أكثر؟

- بالتأكيد.

ثم اعتدلت "أجلا" في جلستها واتجهت للكمبيوتر، بحثت عن السوق اليوناني واختارت الأسهم المعنية، وقالت:

- هذه باللون الأخضر هي السندات الحكومية، لذلك نتجنبهم، فهي لا تنخفض أبدًا.

فأقصتها بخاصية الإخفاء، وأكملت:

- هذا يترك القروض واردة الانخفاض بشدة إذا انخفض التصنيف الائتماني للبلاد، وهو ما تشترينه، لكن يجب شراء دفعة كبيرة مرة واحدة، وكما ترين، قمنا بشرائها بالشراكة مع أرصدة ألمانية أكبر، حيث يجب عليك تأسيس مركز مهيمن.

حدقت بها "ماريا" في دهشة، وقالت:

- ثم؟

طرق "جوين" بأصابعه على الطاولة، واعتدل "إلڤار" في جلسته بحرج، لكن "أجلا" علمت أنه ليس هناك ما يدعو للقلق، فكان ذلك شيئًا يمكنهم سؤالها عنه فقط لتطمئن قلوبهم، أكملت "أجلا" حديثها قائلة:

- بعبارة أوضح، قمنا بشراء 30% من القيمة، حسب ما أتذكر، ثم كانت فيما بعد لعبة الانتظار المعتادة، حين أرادت الحكومة اليونانية عقد اتفاق يطالب بدفع مئة في المئة من قيمة تلك القروض. وإذا كانت تلك الصناديق لها مركز مهيمن، لا تملك الدولة حلًّا إلا الدفع.

سألتها "ماريا" بسذاجة:

- وقد شاركتِ في هذا؟

بينما كانت "أجلا" تشرح دور البنك في العمل، لكن نبرة صوتها أظهرت ما أرادت "ماريا" إيصاله حقًّا؛ الاشمئزاز.

ردت "أجلا":

- شارك الجميع، شاركنا فقط على نطاق ضيق، لكن البنوك الألمانية كانت ضخمة في هذا، إنها تجارة معروفة.

- تجارة مبنية على إفلاس دولة كاملة؟

جزت "ماريا" على أسنانها من العصبية وهي تتفوه بهذه الكلمات. ردت "أجلا":

- تلك هي الحياة، لا أستطيع تغيير ذلك، يبتلع الكبار الأصغر منهم، لا يمكنني تغيير الطبيعة.

سخرت "ماريا" من حديث "أجلا" وقالت وهي تقف:

- يا لها من وجهة نظر جذابة!

- شعور السعادة نفسه لرؤية حمل على طبق عشائك. أنا متأكدة من أنكِ تقومين بهذا من حين لآخر. جميعنا من الحيوانات المفترسة، حتى لو تظاهرنا عكس ذلك.

بالكاد أنهت "أجلا" حديثها عندما تكلمت "ماريا" مجددًا. وكان صوتها باردًا كالثلج:

- كيف انتقلنا من تداول الأوراق المالية اليونانية إلى مقارنات مع حمل؟ وبإمكانكِ الجلوس والحديث عن هذا الأمر بهذا الهدوء؟

ردت "أجلا":

- لا يوجد ما هو غير قانوني في الأمر، عليكِ البحث لمدة طويلة قبل إيجاد أي شيء لإدانتنا.

قالت "ماريا":

- غير قانوني، لا!

وقفت "ماريا" للحظة وفمها مفتوح، كأنها تنتظر المزيد من الكلمات لتخرج منه، ثم ضغطت على أسنانها بقوة، وخرجت من الغرفة مسرعة.

لم يغلق الباب وراءها بالكامل عندما عادت مندفعة مرة أخرى وجلست في الكرسي المقابل لـ"أجلا"، وقالت:

- مَن الضحية القادمة إذن؟ الدنمارك؟ هولندا؟ مَن؟

أجابت "أجلا" بهدوء:

- لا، البرتغال، ثم فرنسا وبعدها اليورو.

كانت على وشك البدء في شرح لماذا وكيف ارتفع حجم السندات الحكومية. لدرجة أن ذلك شكل تهديدًا على التصنيف الائتماني، وكانوا بحاجة إلى الشراء لأن الأمور كانت في أولها قبل أن يحدث ركود كامل. لكنها لم تتطرق لهذا الأمر، حيث أوقفها "إلڤار"؛ نكزها في ضلعها بكوعه، تحذيرًا لتبقى هادئة. وهنا اندفعت "ماريا" مرة أخرى خارج الغرفة.

43

أخبرها "إلڤار" وهو يقف بحرج على الرصيف الجليدي خارج مكتب النائب العام:

- إنه أمر حساس.

لم ترَ "أجلا" أن هذا قد يشكِّل أي فرق، فلم يكن للتجارة اليونانية علاقة بالتلاعب في السوق، ولم يكن بها شيء غير قانوني على الإطلاق، لكنها ذكرت الأمر لإلهاء محققي النائب العام بعيدًا عن طريق القضية. ربتت "أجلا" على كتفه قائلة:

- لا تقلق بشأن الأمر يا "إلڤار".

- قد يكون هذا.. خط..

بحث عن الكلمات المناسبة ثم قال:

- ربما من الأفضل عدم الكلام كثيرًا بشأن.. دعينا نقول الأشياء التي يمكنها التأثير على رأيهم فيكِ.

سخرت "أجلا" من كلامه وقالت مستهجنة:

- ولماذا قد يؤثر النموذج اليوناني في رأيهم؟ ظل جميعهم يفعل ذلك حتى بضعة أشهر فقط، بل وما زالت البنوك الألمانية.

فأجاب "إلفار" بهدوء:

- كما قلت، إنه أمر حساس. لقد لعبتِ هذه الحيل على اليونان، والآن نحن الآيسلنديين، علينا مشاهدة صناديق الاستثمار الأجنبي تلاعبنا بالحيل نفسها.

نظرت "أجلا" في عينيه واستوقفها للحظة رؤيتها الألم فيهما.

- هذا ما يحدث "إلفار"، البلاد التي تعاني الركود تُعد ضحايا لصناديق الحماية، فالنسور تبحث عن الجثث لتتغذى عليها.

وافقها "إلفار" الرأي قائلًا:

- صحيح، لكن ربما لم يتوقع الناس أن يهرع هذا الكم لاستغلال الموقف وأن ينتهي بنا الأمر ونحن ضائعون.

- يستطيع أولئك الأشخاص شم المشكلات من على بعد أميال، وببساطة يراهنون على جدية الأمر للاستفادة بأكبر قدر من الأموال.

- إنها صدمة. نحن نتكلم عن دولة بأكملها، بشعبها، ولا يوجد مَن هو مستعد للمساعدة.

- تعد أيسلندا مجرد قطعة شطرنج يا "إلفار"، أما بالنسبة إلى العالم، أيسلندا هي مجرد قرية، مثل "كوباسكر"، أو أي قرية صغيرة مهمَلة في الشمال يبلغ عدد سكانها مئة نسمة. قل لي إذن، ما مدى اهتمامك بمساعدة "كوباسكر" على البقاء؟

فكر "إلفار" في صمت، ثم استدار مستهجنًا وقال وهو يمشي، تاركًا "أجلا" مستاءة:

- أعتقد أن هذا يعتمد على إذا كنت أعيش في "كوباسكر" أم لا.

كان ذلك نقاشًا تود أن تعود إليه، لكنها وجدت أن تلك الحساسية الزائدة في الجدال حول التعدي على عملة الكرونا والدولة الآيسلندية شيء طفولي. وكان من السذاجة عدها خيانة، فلم يتطلب الأمر أي نظرة عميقة للتنبؤ بمستقبل

هذه الدولة الصغيرة التي كانت حرة ومستقلة في السنوات القليلة الماضية. وبصرف النظر عن كل الخطابات المبالغ فيها حول الثقافة والتاريخ واللغة، بعد قرن من الآن، لن تكون أيسلندا أبدًا أكثر من مجرد موقع ناءٍ.

44

عندما خرجت من سيارتها أمام مكتب "ثورجير"، رمت "سونيا" قطعة علكة في فمها، فقد تقيأت على الرصيف بمجرد أن رحل "ريكهارثور" بعيدًا، وتملكها مجددًا، بصورة أكبر، الرعب الذي اجتاحها منذ أول مرة قابلته. لم تقتنع فقط بمدى خطورة "ريكهارثور" الآن، بل أحست بذلك بكل ذرة في جسدها. لطالما أشعرها وجوده بالاشمئزاز، فكانت القشعريرة والعرق البارد في أسفل ظهرها جزءًا من مقابلته، لكن مرت فترة طويلة منذ أن شعرت أنها جسديًا متعبة إلى هذه الدرجة.

وبينما صعدت السلم داخل المبنى، ركض إليها رجل لضيق السلم، كان يسير في الاتجاه المعاكس، فتمتم دون أن ينظر إليها:

- آسف.

لم يلبث أن اختفى الرجل على السلم وخرج من الباب حتى أدركت "سونيا" مَن هو، كان "هوني ثور جوين أرسون"، عضو البرلمان وصديق زوجها السابق

"آدم". غالبًا ما كانوا يجتمعون في حفلات الاستقبال والعشاء، وإن توقف لفترة تكفي للنظر في وجهها، لكان تعرف عليها. عادت تفكر أنه ربما لا. ربما امتلكت نظرات عادية كافية لنسيان وجهها بسهولة، بخلاف وجهه الذي كان يظهر في وسائل الإعلام كل أسبوع، فمَن يتابع الأخبار سيعرف مَن هو.

سألت "سونيا" "ثورجير" بمجرد ما خطت قدمها في مكتبه:

- هل تعرف "هوني ثور"؟

وأجابها وهو يبدأ عمله بفتح الخزنة خلف مكتبه:

- حسنًا، أعرفه ولا أعرفه؛ لقد كنت مسؤولًا عن إدارة أموال حملته.

يعلم أن "سونيا" لا تهتم بالأحاديث الجانبية أو أي شيء من شأنه إبقاؤها هناك طويلًا.

قالت "سونيا":

- إذا كنت أنوي التصويت لصالحه، فإن تلك النية قد ذهبت الآن.

استدار "ثورجير" بكرسيه ليواجهها وسأل بلهجة حادة غريبة:

- ماذا تقصدين؟

فاجأها رد "ثورجير" على ملاحظتها، توقعت أن يكون الأمر ذا حساسية، فقررت إنهاء الأمر بقولها:

- أقصد ما أقول.

- تعلمين أنني أقوم بالأعمال القانونية أيضًا.

عاد إلى الخزنة وأخذ منها هذه المرة ثلاث رزم كبيرة جدًّا من النقود.

وضعتهم "سونيا" في حقيبتها، وشاهدت أصابع "ثورجير" النحيلة تنقر على لوحة المفاتيح أثناء تحويله مبلغ أكبر إلى حساب "إس جي للبرمجة". وملأت فاتورة بالأرقام الصحيحة وناولتها له وقالت:

- أعطِ كل ذي حقٍّ حقه.

أومأ برأسه.

بهذه الدفعة من النقود، أصبح لديها ما يكفي من الدخل "القانوني" لتتمكن من أخذ قرض لشقة صغيرة، غير صندوق ودائعها، الذي كان به ما يكفي للدفع. لكن قبل أن تفكر في بدء معركة الحضانة مع "آدم"، عليها أولًا إخراج نفسها من الفخ، يجب أن تكون حرة تمامًا قبل أن تتمكن من أخذ "تيوماس"، وقد اقتربت تلك الاحتمالية كثيرًا، ثم قالت:

- لا أريد مقابلة "ريكهارثور" مجددًا.

نظر إليها "ثورجير" من وراء الكمبيوتر وقال:

- لستِ من تقررين، نحن نفعل الأشياء بطريقتنا الخاصة.

- سيتعين عليَّ إذن الحصول على حارس شخصي لحمايتي منه، مما يعني أنه سيكون هناك عرقلة في الأمر، وأنا واثقة أن لا أحد يريد هذا، لكنني سأحتاج إلى القيام بذلك إذا كان من المفترض أن أسلمه مرة أخرى؛ لقد كان يهددني.

قال "ثورجير" مبتسمًا، كما لو قالت شيئًا دغدغه:

- سأتحدث معه وأطلب منه أن يتراجع.

فأجابته:

- لا يكفي، لم يحدث أن تسببت في مشكلة، ولم أطالِب بشيء من قبل، ومع ذلك يرسل لي صورًا له مع ابني، ويقوم بكل أنواع السخافات في كل عملية توصيل. أريد أن أسلم لشخص آخر إذا كنت سأقوم برحلات أخرى.

زمجر قائلًا بعينين هادئتين:

- ستقومين بأي عدد رحلات نخبركِ به يا عزيزتي.

تنهدت "سونيا" ولم ترد، فقد كان محقًّا. لم تكن في وضع يسمح لها بإملاء الشروط؛ كانت قد دخلت الشَرَك. ورأت أنه لا يوجد جدوى الآن من إخباره بأنها لم تحب مكان الاستلام في لندن. فقال "ثورجير" بصوتٍ ألطف:

- سنجد حلًّا ما، نحب أن نسعد الموظفين.

وكأنه أراد ترقيق نبرته القاسية قبل لحظة.

استدارت "سونيا" بعينيها فقط وهي في طريقها للخارج وعلَّقت وهي تنظر إليه من فوق كتفها:

- أنا لست موظفة، أنا مستعبدة.

45

كان الوقت قد جاوز منتصف الليل، ذهب زملاء "براجي" إلى منازلهم وتولى موظفو الدوام الليلي أعمالهم، لكن "براجي" ما زال مشغولًا في التسجيلات التليفزيونية أمامه، حتى إنه عاد إلى الأرشيف أيضًا. أحضر الجدول الخاص بمناوبات الشهر الماضي إلى جانبه، وحاول تذكر الأيام التي رأى فيها المرأة ذات

المعطف تصل مطار أيسلندا، فلاحظ أنه رآها خلال مناسبتين أو ثلاث مناسبات في الشهر الماضي. وإذا لم تخنه الذاكرة، فهي دائمًا ما تصل على متن رحلة أوروبية من باريس أو لندن أو أي بلد كهذا. والآن وقد صار يعرف اسمها، بإمكانه طلب قائمة الركاب، لكن ذلك يعني تقديم تفسير قد يؤدي إلى سحب القضية من بين يديه.

أخذ يتصفح الصور بسرعة على شاشتين في الوقت نفسه، ثم حالفه الحظ أخيرًا؛ كانت هناك. دوَّن بعد ذلك تاريخ اليوم الذي رآها فيه، وأحضر تسجيلات من جميع كاميرات مبنى الوصول حتى يتمكن من متابعتها طوال الطريق من ممر الوصول إلى جراج السيارات، لقد كان تسجيلًا ليليًا لرحلة وصلت من كوبنهاجن. بدت المرأة في كامل التأنق والجدية، كانت متأنقة للغاية بالنسبة إلى رحلة في ذلك الوقت من اليوم. أشار كل شيء عنها أنها كانت في طريقها لحضور اجتماع أو مؤتمر مهم خارج البلاد، وليست عائدة إلى أيسلندا في نهاية رحلة عمل. فعادةً ما يسترخي الناس في نهاية تلك الرحلات ويشعرون بالراحة عند دخول أرضهم مرة أخرى بعد رحلة طويلة، وبدت حازمة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هناك شيء آخر بها لافت للانتباه. تتبعها "براجي" من كاميرا إلى أخرى طوال الطريق خارج المبنى، لكن عندما انتقل إلى جراج السيارات، لم تكن في مكان يمكن فيه رؤيتها. ذهب إلى الكاميرا التي تكشف مدخل وجانب مبنى الوصول وتتبعها هناك، كانت قد خرجت من المدخل الأيسر، نظرت حولها وأسرعت إلى المدخل الآخر تسرع خلف زوجين كانا على وشك عبور الطريق، أوقفت الزوجين، وبدا أن جرت بينهم محادثة، ثم تبادلت السيدتان حقيبتين بدتا متطابقتين. أعاد "براجي" مرة أخرى الجزء الخاص بسير تسليم الأمتعة، لكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء، لأنها وقفت في نهاية قاعة الأمتعة حيث حجب الرؤية حشود من المسافرين وأمتعتهم.

وارد أن تكون صدفة، وأن المرأتين قد أخذت كل منهما حقًا الحقائب الخاطئة واكتشفتا الخطأ بمغادرة المبنى. لكن "براجي" لم يؤمن بالصدفة، كان مقتنعًا بأن تلك المدعوة "سونيا جانرسدوتير" تعرف تمامًا ما كانت تفعله.

46

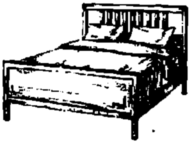

كان من المفترض أن تجلس "أجلا" على الكرسي في الشرفة، لكنها قررت ألا تفعل عندما رأت طبقة الرماد السميكة التي تجمعت هناك. كان في كل مكان، يأتي من المنطقة البركانية إلى الشرق في كل مرة تهب الرياح، وعلى الرغم من ذلك، ما إن يهبط، لا يتطاير مرة أخرى، بل يصبح لزجًا ويتشبث بأي سطح يهبط عليه.

وقفت في الخارج لتستنشق بعض الهواء البارد، كانت الشجرة الكبيرة في الحديقة عارية وبدت وكأنها ترتجف من البرد. تخطر لها من حين لآخر فكرة شراء منزل خاص بها والانتقال، ولكن كان هناك شيء من الراحة في وجود أشخاص يعيشون فوقها وأسفلها. كانت تفضِّل مناطق معينة في "ريكيافيك"، بعضها أقل عصفًا من هنا؛ الجزء الغربي من المدينة، لكن بطريقة ما، تلك المباني الكئيبة في المنطقة بدت مألوفة. تمنت لو كانت تدخن سيجارة في هذه اللحظة. سيطر عليها شعورٌ قوي بأن هذه الجزيرة أصبحت كالسفينة الغارقة ولم تكن هناك فائدة في عمل شيء سوى محاولة إنقاذ نفسها من الغرق معها.

واصلت الحكومة بعند محاولة التوصل إلى اتفاقات، وبذل الجهود لإرضاء الجميع دون أدنى فكرة عن العدو الذي تتعامل معه، فهم لم يدركوا أن القوة

لم تعد في أيديهم، وأن كل شيء كان على وشك الضياع، وأنه سوف تتحول صناديق التحوط الدولية وأتباعها إلى صندوق النقد الدولي مباشرة لالتقاط أي شيء حتى إذا كان بأدنى قيمة.

أربكها جرس الباب وقطع أفكارها، وكأنما أمسكها أحد والديها وهي تدخن. توقفت لوهلة حتى أدركت أن هذا يجب أن يكون شقيقها "إلياس"، الذي دعا نفسه عندها. لم يكن هو ولا إخوتها الثلاثة يتواصلون معها كثيرًا ما لم يكن هناك دافع قوي، لذا توقعت ألا تكون الزيارة لشيء لطيف. حياها بقبلة جافة على جبينها قائلًا:

- مرحبًا.

أخذت "أجلا" معطفه ومشت معه إلى كرسي في المطبخ، كان قد تحولت خصلات من شعره إلى اللون الرمادي، ولم يكن لون بشرته كباقي أفراد الأسرة، بل كان أغمق. وعلى الرغم من أنه كان أصغرهم سنًّا، كان أول من تحول شعره إلى اللون الرمادي. سألته:

- تريد بيرة؟

فهز رأسه بالرفض.

- قهوة إذن؟

فأجابها:

- لا، لا أريد شيئًا. لا تتعبي نفسك.

معنى ذلك أنها زيارة قصيرة، وبالتأكيد ليست زيارة مجاملة. سألته "أجلا" وهي تجلس حول طاولة المطبخ:

- كيف حال الأولاد؟

كان لـ"إلياس" ثلاثة أطفال، ولكل أخ آخر لها طفلان، فكان لديها حشد محترم من أبناء وبنات الأخ. عادة ما تراهم في تجمعات عيد الميلاد، وتتحدث

معهم حين يتصلون لشكرها على النقود التي ترسلها في أعياد ميلادهم. دائمًا ما تتذكر أعياد الميلاد، فكانت تحفظ تقريبًا كل تواريخ أعياد الميلاد.

- إنهم بخير؛ "ماجنس" يبلي حسنًا في عامه الأول في الكلية، ويمكنكِ انتظار دعوة لحضور حفل تخرج "كاترين" في الربيع.

- مرَّ الوقت بسرعة، أليس كذلك؟

- تستطيعين قول هذا.

- صحيح.

صمتت "أجلا" وشاهدت أخاها يطقطق أصابعه، كان قد تغير لونه للون القهوة، بعدما عاد من إجازة بإسبانيا. أظهر ذلك اللون الندبة البيضاء على ظهر يده، كانت ندبة الشوكة التي طعنتها في يده عندما كانت في العاشرة من عمرها. ثم قال:

- لا تبدو الأخبار جيدة.

عرفت "أجلا" أنه لا يقصد التصنيف الائتماني المتدهور في البلاد، أو الحشود التي تفصل من أعمالهم، أو حتى الصفوف في بنك الطعام. كان يقصدها.

فقال مترددًا:

- كنت أتساءل.. أقصد، نحن الأولاد إذا كان هناك أي سبب للقلق بشأن منزل إسبانيا..

تنهدت "أجلا". إذن هذا هو الأمر، بيت إسبانيا الذي أعطته لوالديهم قبل بضع سنوات من وفاتهما، والذي عدوه إرثًا بينهم واستخدمه الأخوان كثيرًا منذ ذلك الوقت، فقالت:

- نحن نمتلكه، كما تعرفون جيدًا.

- هذا فقط بسبب ما رأيناه في الصحف، كنا نتساءل إذا كان هناك طلب للحصول على تعويضات من لجنة القرار..

فقالت:

- أنت خائف أن تكتشف اللجنة أنني أملك خُمس منزل في إسبانيا؟ المنزل الذي أهديته أنا لوالدينا.

ابتسم "إلياس" بحرج لكنه لم يقل شيئًا، ووقفت "أجلا"، إشارة إلى أن الوقت قد حان له ليرحل، ثم أخبرته وهي تسلمه معطفه:

- سأحرص على أن يكون المنزل بالكامل بأسمائكم.

- لم يكن ذلك ما قصدته.

فقالت:

- لا أهتم، إنه لكم، أنا لا أستخدمه مطلقًا.

- بالتأكيد يمكنكِ استخدامه حتى لو كان بأسمائنا.

ردت "أجلا" بعنف:

- إذا أردتُ منزلًا في إسبانيا، سأشتري واحدًا. بلغ الأولاد تحيتي.

ثم أغلقت الباب خلفه. ولوهلة كانت ستكون سعيدة للغاية بطعنه بشوكة أخرى في ظهر يده.

47

قالت والدة "أجلا" لها وهي تحضر قطعة قطنية لإيقاف نزيف أنفها:

- لا تدعي الأولاد يرونكِ تبكين، إذا سمحتِ لهم بمنعكِ عن القيام بما تحبين، وأنه لا يمكنكِ القيام بهذا وذاك، لن ينتهي الأمر أبدًا، وستسير حياتك كلها بهذه الطريقة.

عادت "أجلا" مباشرة إلى الملعب مرة أخرى ولعبت كرة القدم بعنف ولم تتراجع، على الرغم من أن الكرة لا تبقى معها لفترة طويلة، كانت فتاة نحيفة، وكان الأولاد وأصدقاؤهم من الشبَّان أقوياء، لكن على الرغم من هذا، قبل نهاية الأسبوع، أصيبت بكدمة في عينها بعد نزيف أنفها السابق، شعرت بأنهم لم يعودوا يهتمون بإصابتها، فلم يصيبوها بقوة كما كان يحدث من قبل، لا لأنهم يرفقون بها، بل لأنهم أصبحوا يخافون منها قليلًا.

قال أخوها الأكبر "جوي" ضاحكًا بعد دورة حماسية في الملعب:

- أيتها الفأرة الصغيرة، لقد أصبحتِ وحشًا!

عدَّت ذلك مديحًا، فبإمكان الفئران القفز والعض، ويخاف معظم الناس منهم، كما أن هذا هو الأسبوع الذي تغلبت فيه على خوفها من الألم، ولم تعد متوقعة أن يتصرف الأولاد تجاهها بأي طريقة خاصة لمجرد أنها فتاة، وطفلة العائلة. بدلًا من هذا، كانت تتعلم منهم وتتصرف مثلهم. فهذا سينفعها فيما بعد، لذا حين غرزت شوكتها في يد "إلياس" عندما حاول خلسة أخذ كرة من اللحم من طبقها، شعرت بندم غريزي وبنوع من الفخر، وبخاصة عندما غمزت لها أمها بنظرة تعاطف وهي تلف يد "إلياس" المصابة بقطعة قماش بينما كان يصرخ بشدة كخنزير عالق.

48

استيقظ "تيوماس" على أصوات تتحدث، فظل راقدًا في الظلام يحاول تمييز أصحابها، عرف منهم نبرة صوت والده، وصوت ضحكة عالية، كانت

لـ"ديسا"، صديقة أبيه، وهناك صوت آخر لم يعرف لمن كان، لا بد من أنه زائر. لا يُسَرُّ الأب عادةً عندما يظهر "تيوماس" وسط ضيوفه، لكنه سيقول بأنه ذاهب لشرب الماء، وبهذه الطريقة يمكنه أن يرى مَن الذي جاء للزيارة. مشي على أطراف أصابعه طوال الممر حتى دخل إلى غرفة المعيشة، رأى شموعًا مضاءة على الطاولة، ووالده و"ديسا" يجلسان على الأريكة، وجد أن الزائر هو صديق والده، "سبونج". كان مستلقيًا على كرسي من الجلد، وقدمه مُعلقة على ذراع الكرسي، وزجاجة من البيرة مثبتة بين ساقيه. اندفع "سبونج" بإخراج قبضة يده بمجرد أن ظهر "تيوماس" وقال:

- مهلًا يا رَجُل. صافحني.

عادةً ما يكون الأمر مخيفًا عندما يفعل الكبار هذه الأمور، لكن "سبونج" يجعل الأمر رائعًا، وكان هناك شيء صادق حول مبادلة السلام مع شخص كـ"سبونج"، فأحب "تيوماس" أن يبادله المصافحة بطريقته، فضم يده وتقابلت قبضاتهما ثم قال:

- أهلًا يا "سبونج".

سأل الأب:

- ما الأمر يا "تيوماس"؟ من المفترض أن تكون نائمًا منذ زمن.

فأجاب "تيوماس":

- لقد كنت نائمًا بالفعل، استيقظت لشرب بعض الماء.

- اشرب الحليب بدلًا من الماء وستنام بشكل أفضل.

فتح "تيوماس" الثلاجة، وصب بعض الحليب في كوب وشربه دفعة واحدة.

قالت "ديسا" وهي تعود لغرفة المعيشة:

- لديك شارب من الحليب يا عزيزي.

فمسحه "تيوماس" بِكُمه، وسألها:

- هل ستعدين الفطائر في صباح غد؟

فهزت "ديسا" رأسها وقالت:

- بالطبع يا عزيزي إن أردت.

غمزت له "ديسا" وغمز لها هو الآخر، وهو يعلم أنه لا يستطيع القيام بذلك جيدًا، فضحكت على تعبيرات وجهه وهو يحاول. وهو عائد إلى غرفته، رفع والده صوته يقول له:

- أحلام سعيدة يا "تيوماس".

فأجاب "تيوماس":

- ليلة سعيدة يا أبي، ليلة سعيدة يا "ديسا"، ليلة سعيدة يا "سبونج".

49

"أتريدين الهروب معي إلى الخارج والبقاء هناك طوال حياتنا؟".

كان ذلك ما أرادت "أجلا" حقًّا أن تقوله عندما اتصلت بـ"سونيا" في ذلك المساء، وبدلًا من ذلك لم تتمكن من قول أي شيء. سألتها "سونيا":

- كيف تشعرين؟

لكن لم تعرف "أجلا" بِمَا تجيب، لم تجد حتى الكلمات التي تصف بها حالتها الآن. فقالت أخيرًا:

- أفضل.

ظلت "سونيا" تعرض عليها أن تأتي وتمضي معها الليلة، لكن الخزي كان قد تمكن منها، ومنعها أن تقبل. لم يكن الخجل المعتاد من الأفكار والشهوات القذرة؛ كان نوعًا مختلفًا من العار، شعرت أنها لا بد من أن تكون ضئيلة في عينيَّ "سونيا" الآن، بعدما أشير إليها بأصابع الاتهام علنًا، فلم تتكلم كثيرًا، وتركت لـ"سونيا" كل الحديث وهي تلمح باستمتاعها بما تثرثر به "سونيا" بشأن ما مرَّت به اليوم. حكت أنها قابلت رجلًا قبيحًا تحرش بها ذات يوم، وأيضًا تناقشت مع مديرها بشأن الحصول على علاوة كبيرة، لذلك احتفلت بشراء فستان جديد لها.

تخيلتها "أجلا" وهي ترتدي ذلك الفستان، وغزل هذا الأمر حبلًا جديدًا في أفكارها، فبدأت تشعر بالندم لرفضها عرض قضاء ليلتها مع "سونيا"، ثم تذكرت أن غدًا سيكون يومًا آخر مع فريق النائب العام، وبالتالي سيتوجب عليها الوقوف طوال اليوم، وعليها أن تكون هادئة وصلبة، لا الشخصية اللطيفة والضعيفة الخجولة التي تتحول إليها بعد قضاء ليلة مع "سونيا". ثم قالت:

- أخبريني سرًّا عن المثليات.

سمعت بعد ذلك "سونيا" تضحك، ثم قالت:

- ماذا بكِ وبأسرار المثليات؟

أجابتها:

- فقط أجد هذا العالم ساحرًا جدًّا. أخبريني شيئًا لا أعرفه.

قالت "سونيا" وهي ما زالت تضحك:

- هذا العالم.. هذا العالم هو العالم نفسه الذي يعيش فيه أي شخص آخر. تعرفين أنني أحكي هذا فقط لتسليتكِ.

أجابت "أجلا":

- أعلم.

وأضافت:

- أخبريني إذن لتسليتي.

فكرت "سونيا" لوهلة، ثم قالت:

- حسنًا، سأقول لكِ شيئًا، أتعلمين أننا نعتقد أن "دوللي" واحدة منا؟

- "دوللي بارتون"؟ مغنية أغاني "الكانتري" الأمريكية؟

قالت "سونيا" وهي تضحك بصوت منخفض كما لو كانت مزحة:

- نعم هي، فتاتنا في بلد رعاة البقر، كان هناك الكثير من الأخبار في الصحافة حول هذا الموضوع، وقد أنكرت بالطبع.

- من الصعب تصديق أنها كذلك.

- لماذا؟

استطاعت سماع نبرة ضيق بصوت "سونيا".

- إنها بالكاد تطابق النوع.

- بالكاد تطابق النوع؟ تقصدين أن جانبها الأنثوي أقوى؟

- أجل، نوعًا ما. أنا فقط لا أشعر أنها تميل نحو ذلك الاتجاه.

- حسنًا يا عزيزتي. ربما يجب عليكِ إلقاء نظرة جيدة على أحكامكِ الخاصة، فما بالضبط الذي يمنع أن تكون "دوللي" مثلية؟

عرفت "أجلا" أنها قد أخذت الطعم مرة أخرى وأعطت "سونيا" فرصة السخرية منها، ومع ذلك كان ذلك بمثابة استراحة، تدفع أفكارها بعيدًا عن العار، والنائب العام، وتساؤلاتها التي لا تنتهي عن مدة التحقيق، وخوفها من انفجار الأمر بأكمله في وجوههم بأسوأ طريقة ممكنة. فأجابتها بحدة:

- أنتِ ونوعك! أنتِ تتخيلين دائمًا أن جميعنا يفكر بطريقتكِ، ليس الجميع مثليًّا، على الرغم من أنكِ تظنين أنهم كذلك.

فقالت "سونيا":

- ليلة سعيدة يا "أجلا".

وأمكنها سماعها تحاول جاهدةً ألا تضحك.

50

قبَّل "براجي" "ڤالديس" بحنان على جبينها، فمالت نحوه وأسندت رأسها على كتفه، تنفَّس بعمق بعدها وسمح لنفسه بأن يستمتع بتلك اللحظة، وتغمره ذكريات علاقة حبهما. كان قد وصل مبكرًا بما يكفي إلى دار الرعاية ليساعدها في النهوض من السرير، وهذا ما يفعله أحيانًا عندما يحصل على يوم إجازة. وسبب آخر لهذا أنه أرادها أن تعتاد على اهتمامه بها وملامسته لها وبذلك يستطيع التحقق من وجود أي كدمات. فقد أمضت هناك ما يقرب من عام حين لاحظ وجود بصمة يد داكنة على ذراعها، وبعض الكدمات الصغيرة على ظهرها، التي رآها بينما

كان يساعدها في خلع ملابسها. كان قد سأل المدير عنها، لكن لم يذكر أحد العاملين شيئًا عن سابقة وقوع لـ"ڤالديس" أو احتياجها لمساعدة قد تترك علامة كهذه. مرت مناسبتان أخريان منذ ذلك الحين عانت فيهما من كدمات شديدة، ولم يكن هناك فائدة من سؤالها كيف أصيبت بها.

أوصلها "براجي" إلى غرفة الطعام لتناول الإفطار وساعدها على الجلوس في مكانها المعتاد، ثم ذهب إلى البوفيه، لم يكن هناك إلا الزبادي، والموسلي، وهو مزيج الشوفان ورقائق الكورن فليكس.

فسأل الفتاة التي كانت تضيف الكورن فليكس إلى ما اختارته ُمن البوفيه:

- أهناك بعض الحساء اليوم؟

فأجابته:

- لا، ليس اليوم، فقط الموسلي والكورن فليكس.

- ألا يمكنكِ تحضير القليل لـ"ڤالديس"؟ فإن لديها مشكلة مع الطعام الجاف هذه الأيام.

كانت الفتاة بعيدة قليلًا، فأشارت ناحية صندوق وقالت:

- هناك زبادي.

تساءل "براجي" إذا كانت يدها ثقيلة، أو من النوع الذي يتعامل بعنف يكفي لترك كدمة في يد امرأة عجوز.

- الزبادي يضر معدتها.

فردت الفتاة:

- حسنًا، سأسأل لك.

ثم اختفت.

عاد "براجي" لمقعده بجانب "ڤالديس"، ونظرا بعضهما إلى بعض. يمكنهما أحيانًا إطالة النظر في أعين بعضهما بعضًا لفترة طويلة. وكان الأمر بالنسبة إلى "ڤالديس" أشبه بتوقف زمني؛ وكأن الوقت قد تجرد من أي معانٍ، وشعر "براجي" أن ذلك يقربه منها.

عادت الفتاة، ثم قالت وهي تلقي على الطاولة أمامه كيسًا من الطعام المجفف:

- تفضل، لا يوجد إلا العصيدة سابقة التجهيز، فقط أضف إليها الماء الساخن من الغلاية وقلِّبها.

اتَّبع تعليماتها، وبمجرد أن صب الماء الساخن على محتويات الكيس، أصبح هناك في الطبق ما يشبه العصيدة، لم يكن مظهره مغريًا، لكن لم تكن "ڤالديس" لتشكو بأي حال. نظر "براجي" حوله، ثم مال ناحية وعاء السكر ووضع كمية كبيرة بالعصيدة، وهذا يضايق العاملين بالمكان، فهم يديرون المكان بتركيز شديد على الغذاء الصحي، وهذا شيء فشل "براجي" في فهمه، فكيف لا يستطيع الأشخاص، الذين لديهم القليل من الوقت في هذا العالم، الاستمتاع بما يأكلون؟ أحبَّت "ڤالديس" كثيرًا الحلوى أثناء مرضها، فأكلت العصيدة بسعادة، وكان "براجي" يمسح لها فمها بمريلة مزينة ببط صغير هذه المرة، وهمس وهو يداعب شعرها الحريري ليودعها:

- قريبًا يا حبيبتي.

كان أمامه يوم طويل، يبدأ بزيارة إلى مركز الشرطة.

ألقى بجسده على كرسي الزائرين المتهالك في مكتب المحقق "هالجريمور"، وانتظر قليلًا ثم قال:

- هلا تصنع معروفًا في رجل عجوز؟ أيمكنك إطلاعي على الأماكن التي يقصدها "ريكهارثور رونارسون" هذه الأيام؟

سأل "هالجريمور" في دهشة:

- تقصد "ريتش ريكي"؟ لماذا تسأل عنه؟

كان هو و"هالجريمور" على خير وفاق، باستثناء اتفاقهما على عدم إزعاج بعضهما أبدًا بتحية أو بوداع، أو بالسؤال عن الحال. قال "براجي":

- مثله من الأشخاص لا يعيشون أبدًا في محل إقامتهم المسجل، وقد قمت بالتحقق من ذلك بالفعل.

كرر "هالجريمور" سؤاله وهو يحدق به بنظارة القراءة:

- لكن لماذا تريد أن تعرف عنه؟

- دعنا نسميه حدس رجل عجوز، أو شعورًا داخليًّا. أنت تعلم تلك الأمور، وذلك الحدس الذي عليك الانتباه له.

لاحظ "براجي" نظرة "هالجريمور"، وكاد أن يجزم أنه سمع التروس تدور في رأسه.

- هل هذا شيء من المفترض أن يتعامل معه فريق محلليك؟

هز "براجي" كتفيه وقال:

- أوه، لا، يجب إلهاء الجسد بشيء ما لإبقاء مركز التفكير منشغلًا، سأحول الأمر إلى المحللين إذا تبين وجود أي شيء يستحق، فهلا إذن تسدي إليَّ خدمة في هذا الأمر؟

قال "هالجريمور" وهو يلتقط تليفونه:

- شرطان؛ الأول، أن تخبرني ما يمليه عليك حدسك هذا. والثاني، ألا تذهب في أي مكان بالقرب من ذلك الرجل.

قال "براجي":

- هذا وعد.

فسأل "هالجريمور" بسخرية:

- أتقسم بحياتك؟ لن تحاول سؤاله عن شيء أو تفعل أي شيء ينبهه إلى وجودك؟ فقد سبق وآذى أشخاصًا لأفعال أقل.

وظل "هالجريمور" ينظر إلى "براجي" من فوق نظارته حتى رفع يده ليتم وعده كما طلب. وبعد خمس دقائق، ذهب بسيارته بعيدًا عن مركز الشرطة إلى عنوان كُتِبَ على ورقة صفراء صغيرة.

51

جلست "أجلا" حول طاولة في غرفة المقابلات بمكتب النائب العام تتصفح الإنترنت، بينما كان يتناول المحققون الغداء في الكافيتريا في الطابق السفلي. كان هناك كمبيوتر جديد بدلًا من الجهاز الذي استحوذ عليه فريق النائب العام، وقد ضايقها ذلك بالفعل، فكان الأمر وكأن مصممي البرمجيات شعروا بواجب ما نحو تغيير نظام التشغيل بالكامل ليواكب كل جيل، أو لإثارة غضب العملاء. عرض "إلڤار" أن يحضر لها حساء أو سلطة، أو حتى برجر من المطعم المجاور، لكنها ردت بأنه إذا لم يكن يحتوي على الكحول فلينسَ الأمر، فكان شرب كأس أو اثنتين من شأنه أن يمحو كآبة يومين من الاستجوابات بكل تأكيد، لكنها كانت تمزح بالطبع، ومع ذلك لم تقُل تعابير وجه المحامي أنه وجد أي جانب مضحك. كان

يومًا آخر من الصمت، حيث جعلها "إلڤار" تعِد بعدم الإجابة عن أي سؤال بشكل مباشر، أرادها فقط أن ترد على الأسئلة التي أملاها عليها، والتي يطلب إجابة عنها، لكن للأسف، في ذلك الصباح لم تُسأل أي من هذه الأسئلة، فقد جلس وكتب كل شيء، مجيبًا المحققين بأن "أجلا" سترد في الوقت المناسب.

بحلول الظهر، أصبحت الجلسة مملة لدرجة أن "أجلا" سمحت لعقلها بالشرود، وكالعادة فكرت بـ"سونيا" أول شيء، "سونيا" التي أحبت مضايقتها، وكأنها تبدأ في استفزاز "أجلا" حتى تحصل على رد منها. لكن هذه العادة المزعجة لم تطفئ من شوقها لها، على العكس تمامًا، فقد أشعلت النيران، ربما كان ذلك جزءًا من طريقة "سونيا" الساحرة التي جعلت "أجلا" تتعلق بها.

أخرجت تليفونها وأرسلت رسالة نصية تقول: "هل تفكرين فيَّ؟"، ثم جاء الرد على الفور: "نعم يا حبيبتي دائمًا".

ابتسمت "أجلا" ومسحت الرسائل كالعادة، فقد شعرت بالارتياح حيال ذلك عندما صادر النائب العام تليفونها القديم.

"حبيبتي"، هكذا تدعوها "سونيا" أحيانًا، وعلى الرغم من أن هذه الكلمة تخلق لديها شعورًا بالألفة، أثار سماعها شعورًا بالتوتر، لكنه أسعد قلبها أيضًا. فعرفت تمامًا مدى سذاجة تخيل أن يكون لهذه الكلمة أي معنى حقيقي في علاقة لا يمكنها أن تدوم طويلًا.

وعلى الرغم من تعليماتها، أحضر لها "إلڤار" طبقًا من السلطة، ومعها زجاجة "كوكاكولا". تبعه المحققان "جوين" و"ماريا" إلى الغرفة، وأغلقت "أجلا" "اللاب توب" الخاص بها، فلم ترد السماح لهم برؤية أنها كانت تبحث عن "دوللي".

52

"ريكهارثور رونارسون"؛ الشهير عند الشرطة بـ"ريتش ريكي"، يعيش في أحد البيوت المترامية الأطراف في "كروماهولار" في نهاية "بريذ هولت"؛ المنطقة الشمالية التي تقع على التل المقابل لـ"ريكيافيك". بُنيت هذه الشقق في الستينيات كجهد مشترك بين النقابات والحكومة كمحاولة لتوفير السكن للفقراء. أصبحت تلك الشقق متاحة للجميع منذ سنوات، عاش بها مجموعة من السكان بمختلف الجنسيات. عاش "ريكي" هنا مع صديقته، أو هكذا قال مصدر "هالجريمور"، وقد تم الحكم على الفتاة منذ عامين لمحاولتها تهريب المخدرات. لم يكن هناك شك إذن في كونها واحدة من بغال "ريكهارثور". كان لديها شقة مقدمة من مصلحة الخدمات الاجتماعية، ووفقًا للضابط الذي تحدث معه "هالجريمور"، كان بإمكانه العيش هناك معظم الوقت، ما دام لن يتسبب في مشكلة ولن يبقى هناك دائمًا.

ركن "براجي" سيارته في الجراج الذي يبعد قليلًا عن المبنى السكني، لكنه قريب بما يكفي لرؤية المدخل ومراقبة السيارات القادمة والذاهبة، كان مستعدًا بكيس ورقي داخله شرائح خبز "جاودار" بالزبد وكوب كبير من القهوة، ثم فتح الراديو وجلس يستمع إلى نشرة الأخبار الصباحية، وأثناء ذلك، نزل سكان المبنى واحدًا تلو الآخر يتجهون لأشغالهم. كان قد ركن البعض سياراتهم في جراج المبنى، فتمكنوا من الوصول مباشرة إلى السيارات الدافئة. بينما اضطر البعض الآخر تنظيف الزجاج الأمامي للتخلص من الثلوج المتراكمة عليه. نظف معظمهم

بأيديهم، فكان غبارًا خفيفًا، وسيتطاير خلال ساعات مع الرطوبة، ولم تتطلب كمية الثلج إحضار أداة للتنظيف.

كان "براجي" على وشك أخذ قطعة من خبز "الجاودار" الشهي، حين رأى "ريكهارثور" يخرج من المبنى حاملًا حقيبة رياضية على كتفه، ومتجهًا إلى جراج السيارات. وبعد لحظات، انطلقت المرسيدس 4×4 التي رآها "براجي" في كاميرات مراقبة المطار. اضطر بعد ذلك إبقاء المحرك يعمل حتى يظل بالقرب من سيارة "ريكهارثور" أسفل المنحدر في "بريثهولت". وبمجرد أن مروا بطريق "ميود"، وسَّع المسافة بينهما حتى سمحت لسيارتين بالمشي بجانبهما.

توقف "ريكهارثور" خارج الچيم الذي يقع بجوار حمام "لاجاردالور" للسباحة، ثم خرج من السيارة وفي يده الحقيبة الرياضية. تفاجأ "براجي" بهذا، فكان متأكدًا أن شخصًا كـ"ريكهارثور" يتدرب في نادي ملاكمة مشبوه مليء بالمنشطات، لا في مكان محترم كهذا تثير فيه وشومه دهشة البعض.

انتظر "براجي" بعض الوقت حتى اختفى "ريكهارثور" وراء الباب قبل أن يتبعه إلى صالة الدخول، وسأل إذا كان يمكنه استخدام الحمام، فوصف له موظف الاستقبال مكانه. وفي طريق العودة، مر بجانب الأبواب الزجاجية ونظر داخل غرفة التدريب. جلس "ريكهارثور" على أحد المقاعد بالداخل مع شابَّين يتمرنان على بار بأوزان، وكان واضحًا أنه يشجعهما بعنف، بينما ضحكا على كلام ذلك الغريب. فكر "براجي" كم الأمر غريب، فكيف لرجال أمثال "ريكهارثور" أن يستحوذوا على ذلك القدر من الشباب حولهم دائمًا؟!

53

كان "براجي" على وشك أن ينهي آخر قطعة من "التوست" الجاف مع بعض القهوة حتى خرج "ريكهارثور" من الچيم. كان وجهه متوهجًا، وبدا أضخم مما كان عليه قبل دخوله. دخل سيارته وانطلق، و"براجي" يتبعه بمسافةٍ حذرة، ومع هذا، لم تتعدَ الرحلة بضع مئات من الأمتار، حيث توقف "ريكهارثور" أمام متجر للوجبات الصحية بجوار معرض "ليثوس"، فتوقف "براجي" هو الآخر في مكان بعيد بما يكفي لرؤية المدخل، وبعد فترة، رأى "ريكهارثور" يحمل طبقًا في يده، ويجلس بجوار النافذة.

صب "براجي" ما تبقى من قهوته في غطاء القنينة، وشربها وهو يشاهد "ريكهارثور" يأكل وجبة إفطار صحية بعد التمرين. فكر في أن رجلًا آخر قد يرى أن "ريكهارثور" بدأ صفحة جديدة وأصبح الآن يمشي على الصراط المستقيم. لكن خبرة "براجي" أخبرته أن أمثال "ريكهارثور" لا يتغيرون. شرب قهوته وهو يهز رأسه مندهشًا لهذا التناقض؛ بين رجل يهتم بنفسه وصحته بينما يعتمد عمله على تدمير حياة الآخرين. وبمجرد أن انتهى "ريكهارثور" من وجبته، قصد مكانًا آخر. هذه المرة إلى "لاجمولي"، حيث أوقف سيارته ودخل إلى مكتب في المبنى المجاور لمحل الأدوية، ومع عدم وجود أماكن لوقوف السيارات، اضطر "براجي" ترك سيارته عبر الطريق ومشي إلى هناك، كان مبنى نموذجيًا متهالكًا ذا واجهة زجاجية، بداخله مصعد قديم بالكاد يطابق المواصفات الحديثة، وسلم قذر.

بجانب المصعد، كانت هناك قائمة بالأنشطة المختلفة في المبنى، فيهم وكالة سفر وطبيب أسنان وثلاثة مكاتب قانونية. استوقف "براجي" اسم أحد المحامين: "ثورجير آلس". وقف يحدق في الاسم. فبالنسبة إلى ثقافة تستخدم الألقاب العائلية، رؤية اسم ثنائي كان شيئًا غير اعتيادي، ولم يكن من السهل نسيانه. وعلى الرغم من هذا، لم يكن متأكدًا أين رآه من قبل. اتصل بقسم الشرطة وهو عائد إلى سيارته، وسأل عن "هالجريمور"، ثم قال بمجرد أن أجاب:

- "ثورجير آلس"، ماذا لدينا من معلومات عنه؟

أجاب "هالجريمور":

- يدافع عن "البغال" في المحكمة. لماذا تسأل؟

فقال "براجي":

- آه، لا ليس لشيء معين.

وأنهى المكالمة.

على كلٍّ، لم يكن لديه أي دليل يقدمه إلى "هالجريمور"، ولم يكن يبحث عن واحد، وحتى تلك اللحظة، رأى "براجي" ما يكفيه وكان قريبًا جدًّا من معرفة ما يحتاج إليه.

54

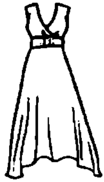

وقفت "سونيا" تحمل فستانها الجديد أمام المرآة، ثم ارتدته. نظرت إلى نفسها وهي تتساءل: أترجعه للمتجر أم لا؟ فحتى ذلك الوقت، كل ما تجنيه من رحلاتها

تقوم بصرفه في الضروريات فقط، كالطعام والإيجار، وملابس السفر الفخمة، وبعض الهدايا لـ"تيوماس"، وأخيرًا وليس آخرًا، النقود التي تدخرها في صندوق الإيداع، الذي ستحتاجه لاستعادة حياتها مرة أخرى. لم تحتج فستانًا جديدًا، كانت فقط تريده، لكن أحست نوعًا ما أن من الخطأ الآن استخدام أموال التهريب لشراء أشياء فاخرة.

رن التليفون مقاطعًا أفكارها، وحدقت بدهشة في الشاشة، فمرت أشهر منذ أن تحدثت هي و"آدم". كانت الرسائل النصية كفيلة بتنظيم مجيء وذهاب "تيوماس". وأول ما خطر ببالها هو أن شيئًا ما قد أصابه. أجابت، غير قادرة على إخفاء الخوف بصوتها:

- مرحبًا؟

- مرحبًا.

إنه "آدم".

خففت نبرته الحادة من خوفها، فهذا يعني أنه لم يحدث شيء، ثم قالت:

- أهلًا "آدم".

كانت على وشك إضافة شيء ودود كـ"كيف حالك؟" أو "سعيدة بسماع صوتك"، لكنها منعت نفسها.

دخل "آدم" في الموضوع مباشرةً:

- أنا لست سعيدًا بتلك الوعود التي أعطيتِها لـ"تيوماس" بخصوص قضاء عيد الميلاد معكِ.

فقالت "سونيا" بأمل ضعيف أن يبتلع "آدم" الطعم وأن يقبل المفاوضة في إجازة عيد الميلاد.

- نحن لم نتحدث بعد بخصوص عيد الميلاد ولا كيف سننظم الأمر.

أجاب "آدم"، وهو يطفئ أملها:

- لا يوجد ما يستحق الحديث، أمضى معكِ الإجازة الماضية، وسيقضيها معي هذه المرة، وهذا واضح في شروط الاتفاقية.

احتجت "سونيا" دون أدنى أمل أن يكون لكلماتها أي تأثير.

- يسري الاتفاق حسب ما نريده أن يكون.

- أنا لا يعجبني إطلاقًا أنكِ على اتصال به، لكنني مضطر أن أقبل الأمر كما هو مدون في الاتفاق، وإذا لا تريدين الالتزام بالشروط، فالأمر متبادل إذن.

فقالت "سونيا" بنبرة الإقناع التي كانت تنجح غالبًا عندما كانا يعيشان معًا:

- اهدأ يا "آدم"، دعنا لا ننسى أن كل ذلك لمصلحة "تيوماس"..

قاطعها "آدم" بصوت بارد، قبل أن تكمل الجملة قائلًا:

- مصلحة "تيوماس"، بالطبع، من الواضح أن الوجود معكِ لا يساهم في مصلحته، بل إن نفسية الفتى تتحطم كل مرة يقضي فيها عطلة نهاية الأسبوع مع والدته.

لم تلبث أن وضعت "سونيا" التليفون حتى رن مجددًا. كانت "أجلا" هذه المرة، تتصل لتخبرها أن كل تلك الأشياء عن "دوللي" كانت هراء، فقد بحثت عن الأمر على الإنترنت. ولمجرد أن زوج "دوللي" كان يعيش في دولة أخرى، لم يكن مبررًا لاختلاق الأكاذيب والتشهير بالأبرياء، وتلك المرأة التي عاشت معها "دوللي" كانت مساعدتها الشخصية، وإن كانتا تقاسمتا غرفةً ذات يوم، فهذا لأن "دوللي" كانت بحاجة إلى مساعدة مستمرة بأزيائها وشعرها.

55

بدت أنوار عيد الميلاد في شارع "ريجينت" غير كافية مقارنةً بالأنوار التي زينت ذلك المنزل الفخم. أخذت "سونيا" تاكسي حتى ميدان "سلون" وتمشت من هناك في البرد. كانت هذه شحنتها الكبيرة الثالثة، فالسابقة لم تكن مميزة؛ فقط قابلت رجلًا بشعر رمادي في محطة قطار، وتبادلا الحقائب. وعندما عادت إلى "ريكيافيك" لتوصيل الشحنة، أخبرت "ريكهارثور" أن يأخذ الحقيبة من سيارتها غير المقفلة في وسط المدينة أثناء مراقبتها الوضع من مقهى يبعد مسافة آمنة. لم يرضَ حينذاك كل من "ثورجير" و"ريكهارثور" عن هذا الاتفاق، لكنه قد نجح.

كان الاستلام هذه المرة من مكان جديد آخر؛ منطقة مختلفة تمامًا عن البرج المتهالك حيث كانت شحنة نوفمبر. صعدت "سونيا" سلم المنزل وحولها أشجار الزينة، وبحثت عن جرس الباب بين الزينة والملائكة المعلقة على أوراق الأشجار لتزيين المدخل، ثم قررت أن تطرق الباب. كان الباب ثقيلًا مصنوعًا من خشب "الماهوجاني"، فأصدر صريرًا حين فتحه خادم شاحب الوجه وأشار لها بالدخول. لم تستطع معرفة إذا كانت هذه صدمة مغادرة البرد بالخارج، كانت حرارة المنزل مرتفعة جدًا، فبدأت على الفور في التعرق.

أدخلها الخادم إلى قاعة واسعة تطل على الطابق العلوي وبها سلم ضخم ينتهي إلى بابين، بدا كسلم من فيلم قديم؛ مثالي لمدخل بطلة بفستان طويل، لكن الرجل الذي خرج من إحدى الغرف ونزل دون أن يعلم بوجود "سونيا" لم يكن له علاقة بصورة النجم السينمائي، كان ذا بنيان عضلي وملامح جنوبية؛ عريض وأسمر. بدا بين الأربعين والخمسين، ورأسه محلوق بعناية إلا بقايا الشعر التي لمعت تحت الضوء. كان يرتدي بنطالًا قصيرًا وقميصًا تحتيًّا، ليظهر بوضوح الجماجم والقديسين والزهور التي تزين جلده، فأعلن الخادم، وكأنه ينادي ضيف العشاء في مأدبة ملكية.

- السيد "خوسيه".

قال الرجل:

- "سينيورا".

ومد يده إلى "سونيا"، وبينما تمد يدها هي الأخرى، انحنى وقبلها كما لو كانت دوقة. كانت كلتا يديه مبللتين ووجهه يتصبب عرقًا. قال:

- "خوسيه" في خدمتك.

تفاجأت "سونيا" كثيرًا من هذه التحية لدرجة أنها انحنت بركبتها لوهلة دون أن تعي، ثم أشار لها أن تسبقه إلى الغرفة في شمال القاعة:

- تفضلي؛ العشاء جاهز.

اندهشت "سونيا" من صوت الزئير الذي استقبلها حين دخلت الغرفة، لدرجة أنها تراجعت إلى الوراء وسقطت تجاه "خوسيه"، فأمسكها بيديه المتعرقتين ودفعها إلى داخل الغرفة. جاء الزئير من نمر كبير يتحرك ذهابًا وإيابًا داخل قفص حديدي كبير في منتصف الغرفة. حدقت "سونيا" كما لو كانت مسحورة؛ عيناها معلَّقتان على الحيوان وهو يتحرك. ثم وجَّهها "خوسيه" أخيرًا من ذراعها إلى طاولة العشاء وساعدها على الجلوس. حين جلست تمكنت من سحب نظرها بعيدًا

عن الوحش الضخم، ولاحظت رجلًا ينتحب مقيدًا على كرسي مكتبي في زاوية الغرفة. حاولت أن تفتح فمها للسؤال عما يحدث، لكن رفضت الكلمات أن تتجمع، وخرجت كلمة واحدة فقط من فمها:

- ماذا..؟

قال "خوسيه" وهو يجلس في الطرف الآخر من الطاولة:

- أنا لا أثق بأحد حتى نتناول طعامًا معًا.

أدركت "سونيا" الآن أن الطاولة مُعَدَّة لفردين فقط، وجبة صحية بها نوع من الحساء، وطبق آخر صغير به سلطة بجانب الطبق الرئيس. ثم طقطق أصابعه قائلًا:

- ونَمِري يأكل معي دائمًا.

وبعدها قام الخادم الشاحب بجر الرجل المربوط بالكرسي نحو القفص، فمدَّ النمر مخلبه محاولًا الوصول إليه عبر القضبان. وفي كل مرة يقترب المخلب منه صاح الرجل قائلًا:

- لا! لا! أرجوك!

قال "خوسيه":

- لست بحاجة لتقديمك، لقد التقيتما بالفعل.

حدقت "سونيا" في وجه الرجل، كان ممتلئًا بالخوف، ومر بعض الوقت قبل أن تتعرف عليه، كان الرجل الطويل الذي تسلمت منه الشحنة في مبنى الشقق المتهالك في نوفمبر الماضي. لم يكن في حالةِ الآن تسمح له للتربيت على ظهر أحد، ولا لنطق "إيافياتلاجوكوتل" بشكل خاطئ، بكى وتوسل بدلًا من ذلك، وسال العرق على جلده الأسود وارتجفت أسنانه.

رفع "خوسيه" طبق الحساء وقال وهو يمضغ:

- الأمر ببساطة أنني جئت إلى أوروبا لأحقق أقصى استفادة من الفرص هنا، فجميع حساباتي في الولايات المتحدة تم تجميدها، لذا لا يمكنني فعل الكثير هناك الآن، لكن الأسعار في أوروبا جيدة، ولدى الناس شهية مفتوحة. أوروبا هي أرض الفرص!

ثم قام بحشو المزيد من الطعام في فمه، وهذه المرة مضغ وابتلع قبل أن يكمل:

- أين هي المشكلات إذن؟ ليست مع الجمارك؛ الأوروبيون ليسوا مشكلة، وحتى أولئك الكولومبيون اللعينون يلتزمون بكلمتهم. لا، المشكلة هي أفريقيا.

دفع "خوسيه" صحنه بعيدًا ومال ناحية صحن آخر، رأت "سونيا" أنه محمَّلٌ بالكوكايين. أخرج سيجارة من علبة كانت في حزام على خصره، وفركها بين أصابعه حتى تفككت ووقع التبغ منها، ثم استخدم سكينًا ليملأ داخلها بالكوكايين، وسدَّ نهايتها بالتبغ.

وعرض عليها بتهذيب:

- تريدين الحلو؟

ودفع بطبق الكوكايين نحو "سونيا"، هزت رأسها بالرفض. كل مرة سمعت فيها زئير النمر، وخزتها صدمة من الخوف، وعندما يخرج مخلبه من خلال القضبان، كانت ترتجف. كان الأمر وكأن عقلها مخَدر، وجسدها مجمد، بالكاد تستطيع التفكير إذا كانت هناك فرصة للوقوف والرحيل، جلست ثابتة على كرسيها تحدق، بينما أشعل الرجل سيجارة الكوكايين، ساحبًا الدخان العميق داخل رئتيه.

- لسبب ما، تقل كل شحنة بين لاجوس ولندن بنسبة 20%، وذلك لأن "أمادو" هذا لا يمكنه أن يمنع نفسه من خداع الأشخاص الذين لديهم بشرة أفتح من بشرته.

قام "خوسيه"، ومشى إلى الرجل الباكي ونظر إليه بحقارة ثم قال:

- "أمادو"، لقد كنت تخدع الناس البيض حتى الآن لأنهم أغبياء، لكنك أخطأت الآن، فأنا لست رجلًا أبيض، أنا مكسيكي، ولكي تتذكر إلى الأبد أنه لن يُغفر لك خداع المكسيكيين، سيأخذ نمري قطعةً منك.

سمعت "سونيا" سائلًا يراق على الأرض، فقد بال الرجل المرتجف على نفسه من الخوف، ثم تدفق السائل على الأرض، لكن "خوسيه" تعامل وكأنه لم يره، أو يسمع توسلات الرجل الذي توسل إليه أن يرحمه.

قال "خوسيه":

- يد أم قدم، "أمادو"؟ يد أم قدم؟

56

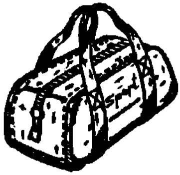

قال "خوسيه":

- والآن وقد تناولنا الطعام معًا، لا داعي للقلق بشأنك، أليس كذلك؟

بالكاد استطاعت "سونيا" أن تهز رأسها، فلم يكن جسدها تحت تصرفها، وبدت كلمات "خوسيه" كأنها قادمة من مسافة بعيدة، في حين أنَّ ما كان في المقدمة هو صوت التكسير الرهيب الذي أصدره النمر عند التهامه ذراع الرجل. وبطريقة ما، كان مضغ الحيوان أعلى من صراخ الضحية عندما سحبه الخادم بعيدًا، تاركًا نهرًا من الدم يتدفق في الأرض.

حاولت "سونيا" إبعاد عينيها عن بحيرات الدم الداكنة التي تتشكل الآن حول القفص، وعن القطرات التي تناثرت من ذراع الرجل المقطوعة ولطخت الجدار المقابل، وبدلًا من ذلك أبقتهما على "خوسيه" وهو يغرف ملعقة من

الكوكايين ويلفها داخل عملة نقدية بقيمة خمسين جنيهًا إسترلينيًا، ثم ثناها بشكلٍ أنيق، وقال وهو يعطيها إياها:

- هذا بقشيشك، ويمكنكِ استلام الحقيبة عند الباب.

أومأت "سونيا" برأسها وهي تحاول الوقوف والرجوع بضع خطوات بعيدًا عن هذا الرجل والنمر الراقد الذي يلعق الدم من شفتيه، ثم انتزعت الحقيبة الرياضية الحمراء من جانب الباب ونظرت بداخلها، كانت تحتوي على أكياس الكوكايين المعتادة، لكنها لم تقف لعدها في عجالتها للهروب من هذا المنزل المروع، الذي خرج منه صدى صوت زئير النمر المرتفع.

كانت تقريبًا في أطراف "هايد بارك" الجنوبية حين أدركت أنها كانت تركض. تمهلت لأخذ أنفاسها، ومسحت الدموع من عينيها، لكن ذلك لم يشكل فرقًا، لأنها استمرت في السيل على خديها. يجب أن تكون هذه رحلتها الأخيرة، فلم تعد تستطيع القيام بذلك.

57

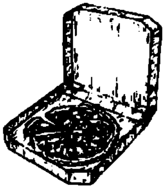

وصل "إلفار" المحامي ومعه بيتزا، ثم وضعها أمام "أجلا"، وناولها منديلًا لتستخدمه كطبق وقال:

- يجب أن تأكلي؛ لا يمكن لأحد البقاء منتبهًا ويقظًا إن لم يتزود بالأكل.

قضمت "أجلا" شريحةً باستسلام، لكنها شعرت بحاجتها لشيء تشربه معها، فأحضرت من الثلاجة زجاجتي بيرة. اقترحت أن يأتي إلى بيتها ليهيئا نفسيهما، فقد أصبح جو المكتب مشحونًا للغاية بعد أيام من الاستجواب. أكلا في هدوء، قام "إلفار" ينظف بقايا وجبتهما، ثم أخرج ملفًا ودفترين مليئين بالمستندات من حقيبته، ووزعها على الطاولة، ثم قال بنبرة دافئة، مفعمة بالقلق:

- والآن، يجب علينا أن نتوقع ما سيحدث في الفترة القادمة.

تساءلت "أجلا" كيف أصبح شاب مثله مسؤولًا للغاية. وسألته:

- ألديك أولاد يا "إلفار"؟

فهز رأسه بالنفي.

- وأنتِ؟

هزت "أجلا" رأسها هي الأخرى، وقررت أنه من الأفضل التركيز على العمل. وضعت يدها على أحد المستندات ثم اقترحت:

- اسأل وأنا أُجيب.

نظر "إلفار" إليها بضجر، وقال:

- عليكِ أن تخبريني الحقيقة كاملة، وأنا ملزم بالتزام السرية، لذا عليكِ إخباري بكل شيء حتى أتمكن من الدفاع عنكِ، فلا يمكنني انتظار أن يفاجئني النائب العام بشيء غير متوقع.

وافقت على كلامه وعقَّبت قائلة:

- بالتأكيد، سأفعل ما بوسعي.

نظرت في عينيه وابتسمت لإخفاء كذبتها، لأنه من المستحيل إخباره كل شيء، كانت ستقول له فقط ما يحتاج معرفته، فإن أخبرته القصة كاملة لكان دون أدنى شك أخرج نفسه من الأمر.

ثم قال:

- سأواصل العمل على إفادة المحكمة المحلية بشأن مطالبة لجنة القرار بالتعويضات، فعلينا أن نكون مستعدين للتعامل مع ذلك الأمر كباقي الأشياء.

أومأت "أجلا" برأسها، فقد كان محقًّا تمامًا، وهذا هو بالضبط الدور الذي احتاجته لأجله، لأن حكم المحكمة كان أمرًا حتميًّا، لكن طلب تعويضات من لجنة القرار هو أمر آخر. من الوارد أن يتم تجاهل الادعاء. وردت:

- ستتم إدانتي بتهمة التلاعب في السوق، وأنا على استعداد تام لذلك.

فقال:

- لقد ذكرت المطالبة بالتعويضات حتى يتم تحذيرك، لا يوجد سبب لهذا التشاؤم.

ابتسمت "أجلا"، فلم تكن متشائمة؛ على العكس تمامًا، ستكون محظوظة إن خرجت من كل هذا بإدانةٍ بالتلاعب في السوق فقط.

58

مرَّ بعض الوقت على منتصف الليل عندما خرجت "أجلا" من الحمام لتجد "إلڤار" نائمًا على الأريكة، فقد شربا بعض البيرة على الأوراق، وكعادتها حين تشرب، بدأت تشعر بالحنين؛ تحولت أفكارها بالكامل إلى "سونيا". كانت قد أغلقت على نفسها وجلست على حافة حوض الاستحمام تحاول الاتصال بها، لكنها لم ترد، فأرسلت "أجلا" رسالة صوتية، بل عدة رسائل في الواقع، لتطلب منها أن تتصل بها بأسرع ما يمكن، ليلًا أو نهارًا.

بحذرٍ شديد ألا توقظه، أزالت "أجلا" بحرص نظارة "إلڤار"، ووضعتها على طاولة القهوة ثم غطته ببطانية. كانت تقدر الجهد الذي يبذله من أجلها، وغير أنها دفعت الكثير له في المقابل، لكن الاهتمام الذي كان قد أظهره تجاهها كان أبعد بكثير من كونه نداءً للواجب. وفوق هذا، كان صغيرًا وطموحًا، وهذه القضية الخطيرة التي يعمل عليها كانت فرصة لإثبات نفسه، لذا لم يكن من الغريب أنه يبذل جهدًا كبيرًا، لكنه كان أيضًا شابًا طيب القلب بحق، وكانت "أجلا" ممتنة لهذا، وقررت أنه إذا حدث أسوأ الفروض، ألا تقحمه معها في الأمر.

حاولت مرة أخرى الاتصال بـ"سونيا" بمجرد أن جلست في الفراش، غضبت لأنها لم ترد، وبدأت تظهر أفكار سوداء في عقلها، يجب أن تكون "سونيا" في العمل في رحلة أخرى في الخارج بخصوص أعمال الكمبيوتر الخاصة بها، هكذا هو الأمر. شعرت "أجلا" بتأنيب الضمير، لم تكن "سونيا" بحاجة إلى العمل، كان يمكن لـ"أجلا" أن تقدم لها كل ما تريده، فقط لو وافقت، وكثيرًا ما عرضت "أجلا" أن تدفع لها بعض الأشياء للتخفيف من أعبائها، لكن دائمًا ما كانت تجد رد الفعل نفسه. وقد عرضت عليها أن تجد لها مكانًا أفضل للعيش، لكن "سونيا" رفضت بغضب قائلة إنها يمكنها الاعتناء بنفسها، وإنها ليست للبيع.

ربما لم ترد "سونيا" على التليفون الليلة لأنها وجدت امرأة أخرى تمارس معها الحب، فهكذا من المفترض أن تكون المثليات سعداء بالتجربة والتغيير، ولم يكن هناك شك أن "سونيا" واحدة منهن، من اللاتي كنَّ مع العديد من النساء. وفي الناحية الأخرى لم تكن "أجلا" على علم بوجود أي من المشاعر التي تفجرت حين قابلت "سونيا".

كانت "سونيا" هي استثناء كل شيء في حياتها، وربما كان ذلك ما جعلها لا تُحتمل لكن في الوقت نفسه تستحق التقدير بشدة. أغلقت "أجلا" عينيها تستحضر رائحة "سونيا"، وتنقلها أفكارها وحرارة الفراش من تحتها إلى حلم ممتع.

ثم ظهر "آدم" فجأة في ذهنها؛ واضحًا كما لو كان حقيقيًا، ممسكًا يد الصبي، والرعب على وجهيهما؛ شعرت "أجلا" بوجهها يتوهج من الخزي في الظلام، وضعت التليفون على طاولة صغيرة بجانب السرير، وتنهدت وجلست تحدق في ضوء السقف.

وقد أبرز الضوء الذي انعكس من مصباح الشارع في الخارج ظل الذبابة الميتة لدرجة أنها تأكدت من أنها شبه تحدق بها، فكانت ليلة مؤرقة.

59

أخذ "براجي" الرسالة الخاصة بمقابلة لمناقشة نهاية الخدمة، وشكّلها على هيئة كرة ثم ألقى بها في سلة المهملات، فلم يسمع أبدًا من قبل بمثل هذا الهُراء، فليس من المعتاد إرسال دعوات مكتوبة لإرغامك على التقاعد، فبالتأكيد من يطرق الباب هم بعض صغار الموظفين الجائعين الذين يبذلون جهدًا ليترقوا لمنصب كبير، فلن تخيفه مثل هذه الرسالة.

ضحك "أتلي ثور" وقال:

- قلت لـ"هرافن" إن الأمر سينتهي بها في سلة المهملات.

فسأل "براجي" متظاهرًا البراءة:

- ماذا؟ أوه، تقصد الرسالة؟ اعتقدت أنها حيلة ما.

قال "أتلي ثور":

- لا داعي الآن للقلق بشأنها، فهي لم تعد موجودة.

ثم أخرج الفيلتر من ماكينة القهوة وأسقطه في القمامة، فغطت بقع من القهوة الباردة محتويات الرسالة.

ابتسم "براجي"؛ من حسن حظه أن يكون له زميل كـ"أتلي ثور". ارتدى الجاكيت ونظر إلى نفسه في المرآة، كان ذلك شيئًا آخر سيفتقده؛ الزي. كانت النجمة والشريطان يمثلان الوقت والطاقة اللذين بذلهما في العمل على مر السنين، وكانت "ڤالديس" دائمًا ما تقول له إن هذا الزي يناسبه جدًّا. قال "أتلي ثور" وهو يسلم "براجي" قائمة:

- قائمة الركاب التي طلبتها من المحللين.

أخذها "براجي" ومرَّ بإصبعه إلى آخر قائمة الأسماء. لطالما حرص على فحص قوائم الركاب في بداية دوامه، ومرة أخرى قبل أن يعود إلى المنزل، وكان لديه اتفاق مع الشباب في فريق المحللين، فيحددون الأسماء التي أثارت اهتمامهم، ويضيف هو بعض اقتراحاته، وكان فريق الدوام الآخر سعيدًا لإحضار تلك القائمة، حيث إن رئيسهم شابٌّ من كبار المحققين لم يكن قد وطد علاقته بما يكفي مع فريق المحللين.

مع زيادة عدد السياح، أصبحت قوائم الركاب أطول بكثير، فتفحص "براجي" التي في يده بسرعة، ملاحظًا فقط الأسماء الآيسلندية، لم يكن هناك شيء يدعو للقلق في الدوام الليلي، لكن قائمة اليوم التالي كانت مسألة أخرى. توقف إصبعه عند اسم واحد، مسجل للهبوط في اليوم التالي على إحدى الرحلات المسائية، وسيقوم بمهمة مقابلتها، "سونيا جانرسدوتير".

60

شعرت "سونيا" بألم في ظهرها بعد أن حملت المكنسة الكهربائية من خزانة الأمتعة إلى الفندق، كانت هذه آخر مرة تقوم فيها بذلك، فإنها لن تنقل المزيد من الشحنات. يبدو أن استمرارها في هذه التجارة أصبح خطرًا. ما زال يدوي بأذنها صوت افتراس النمر ذراع "أمادو"، وترتعد عظامها من صرخاته، ومشهد الدم المتناثر عبر الغرفة، سيبقى عالقًا بذهنها إلى الأبد. لم تستطع تحمل المزيد، واتخذت قرارها أنه بمجرد عودتها إلى المنزل، ستنفذ الخطة التي تعمل عليها منذ شهور؛ الخطة التي ستخرجها من الفخ.

وجدت على تليفونها ثماني مكالمات فائتة من "أجلا"، وتجاهلتها، فهي اعتادت ذلك مؤخرًا، فكثرة المكالمات تعني أن "أجلا" كانت ثملة، وعندها تكون يائسة، لا تدري ماذا تفعل مع من وبماذا تفكر، ثم تتصل لتسمع بعض أسرار المثليات، التي تعكر عليها فيما بعد. لا تنكر "سونيا" أنها تستمتع بإغاظة "أجلا"، بالسخرية من أفكارها، لكنها أيضًا كانت تعرف أنه من الأفضل أن يكون لـ"أجلا" شيء ما يشغلها بعيدًا عن تحقيقات القضية التي كانت فوق رأسها. عزمت "سونيا" أن تتصل بها عندما تعود إلى أيسلندا، أما الآن يجب عليها حزم كل هذا المسحوق ووضعه في أكياس.

بدأت بتغليف الأكياس العشرة بالبلاستيك وتمريرهم عبر آلة تفريغ الهواء، فكان كل واحد يخرج مسطحًا عندما يفرغ الهواء منه، مما يجعل تعبئتها في الحقيبة أسهل. أخذت بعد ذلك الأكياس إلى الحمام، ووضعتها في حوض

الاستحمام، ثم فتحت الماء البارد فوقها وصبت نصف زجاجة من العطر، وأثناء نقع الأكياس، نظفت الآلة بالكحول ثم خلعت ملابسها ووضعتها كلها في الحقيبة التي وصلت فيها الشحنة، ووضعت الحقيبة الرياضية في كيس قمامة أسود، وربطته وأخرجته إلى الممر ليتخلص منه رجل النظافة ليلًا، ثم أفرغت "سونيا" حوض الاستحمام، ووضعت الأكياس على منشفة على الأرض ودخلت هي إلى حوض الاستحمام، وقبل أن تضع قدمها على المنشفة وتجفف نفسها والأكياس المعبأة كهربائيًا، أعادتها إلى غرفة النوم للخطوة التالية من عملية التعبئة. وسط هذا، كانت تشعر بالحر لدرجة أنها لم ترتدِ ملابسها، فوقفت عارية تنظم الأكياس وتضع كل منها في ظرف بلاستيكي آخر وتمررها خلال الآلة للمرة الثانية، ثم أعادتها جميعًا إلى الحمام، وغسلتها مرة أخرى، في الحوض هذه المرة، وجففتها بمنشفة جديدة ثم أخذتها كلها إلى الغرفة مجددًا.

كانت المرحلة التالية حول وضع كل ظرف في غلاف بلاستيكي أكبر وصب القهوة عليه من الأعلى، بحيث يكون كل واحد مغطى بطبقة من القهوة. فهذا سيخفي رائحة الكوكايين في الداخل، ثم كانت هناك تعبئة أخيرة، قبل أن تغسل كل مظروف وتغسل يديها مرة أخرى بالكحول. رصتها جميعًا على السرير، حيث جلست لمدة ساعة تغلفها بورق عيد الميلاد مزين بأشكال بارزة لـ"سانتا كلوز". وأخيرًا أخذت حقيبتها الزرقاء الجديدة، وقطعت الجزء السفلي بسكينٍ حاد، ورتبت الأظرف تحت اللوح السفلي. وكآخر خطوة، غمست طرف منشفة في سائل البارافين ومسحت به الحقيبة من الخارج. لم يكن الكثيرون يعرفون هذه الحيلة، ولكن بالحذر وبدقة، يمكن خداع الماسحات الضوئية والكلاب البوليسية.

61

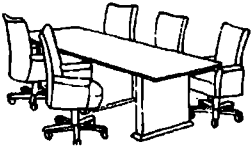

مال المحقق "جوين" بظهره على كرسيه، وبدا مستعدًا للجدال، وبجانبه "ماريا" تبتسم بلطف، لكن "أجلا" تعلمت أن ذلك لا يعني أي شيء، ففي أي لحظة، تستطيع "ماريا" رمي تعليق حاد للغاية، بصوتها البريء، يمكن أن يستغرق الأمر ثانية حتى يُفهم المعنى. فكرت "أجلا" كم هو مذهل أن نفهم الآخرين من خلال لغة جسدهم فقط! وقد برعت "ماريا" في ذلك، فهي تقول شيئًا وتعبيراتها تقول شيئًا آخر تمامًا.

قال "جوين":

- كل ما تخبريننا به يا "أجلا" هو هُراء، كل ذلك تم تنظيمه.

ردت "أجلا":

- عندما تقوم بالعديد من الخدمات، يكون من الصعب أن تراقب كل قرش.

فقالت "ماريا" بابتسامة مبهمة:

- لأنه لا توجد تكاليف مباشرة، وهذا ما يجعلها وسيلة مثالية لغسل الأموال.

ذُهلت "أجلا" وقالت وهي تحاول أن تبتسم:

- اعتقدت أن هذا تحقيق بخصوص التلاعب بالسوق.

وركلت "إلفار" تحت الطاولة، فنظر إلى الأعلى وطلب استراحة لتناول القهوة.

خرجت "أجلا" في الرياح الشديدة وعبرت الشارع إلى محطة الوقود المقابلة، حيث اشترت علبة سجائر "وينستون" وولاعة، وأثناء عودتها، اتصلت بــ"يوهان".

وقالت بمجرد أن أجاب:

- هناك مشكلة؛ يجب أن نلتقي.

تنهد "يوهان" منزعجًا. ثم قال:

- حسنًا، سأخبر "آدم".

بالعودة إلى خارج مكتب النائب العام، أخرجت "أجلا" سيجارة من العلبة وأشعلتها واستنشقت دخانها بعمق. مر وقت طويل منذ آخر مرة دخنت فيها، وجعلت رأسها يدور بعدها، لم تكن رائعة كما تتذكر.

قال "إلڤار" حين التقت به على السلم:

- كوني حذرة وأنت تتحدثين في التليفون.

- ماذا؟

فقال بصوت منخفض:

- رأيتكِ تخرجين وتجرين مكالمة، انتبهي لما تقولينه على التليفون، لي ولغيري من الناس.

وأشار بإبهامه إلى باب مكتب النائب العام.

- أتقصد أن تليفوني الجديد مراقب؟

فقال:

- لست متأكدًا، دعينا فقط نقول إنني لديَّ شكوك.

شعرت "أجلا" بضربات قلبها حين فكرت في جميع المكالمات التي أجرتها مع "يوهان" ومحاميه، و"إلڤار". كانت متأكدة من عدم وجود شيء يمكن استخدامه ضدها، لكنها شعرت بتوهج وجهها، ذلك الشعور المصاحب للخزي بذهنها، فهناك مكالمات أخرى تمنت ألا يكون قد استمع إليها أحد.

مال رأس "ماريا" حول الباب من أعلى السلم تسألها:

- جاهزة لنكمل؟

أجابت "أجلا":

- جاهزة، في طريقي إلى هنا، فقط احتجت إلى التدخين فجأة.

قالت "ماريا" مرة أخرى بالابتسامة الغامضة نفسها:

- آمل أن تكوني قد استمتعتِ بها.

62

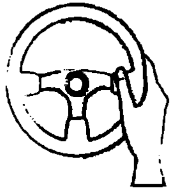

جلست "أجلا" في سيارتها خارج كنيسة "ريكيافيك" تشاهد بحيرة المدينة. بدت المياه رافضة للسماء الرمادية فوقها، فانتزعتها وبددتها بين موجاتها، وكانت الرياح قد قلت خلال النهار، لكنها لا تزال باردة إلى حد ما، مع توقع الصقيع. أمضت ما تبقى من جلسة ذلك الصباح تحاول قراءة التعبيرات على وجوه "ماريا" و"جوين" ومعرفة إن كانا قد استمعا إلى محادثاتها مع "سونيا" أم لا. أمِلت أنهما لم يفعلا. لم ترغب أن ينظر إليها الناس من خلال تصنيف يُلون آراءهما ومشاعرهما بشأن "هذا النوع من الأشخاص". لم ترغب في أن تكون مثلهم، أرادت أن تكون ما كانت عليه دائمًا.

خرجت من السيارة عندما رأت "يوهان" آتيًا على الجسر الضيق بجانب نفق المدينة، بدا من مسافة بعيدة بالطريقة نفسها التي كان بها؛ موظف مصرفي متحمس. ارتدى معطفًا من الصوف السميك ووشاحًا، وهو خيار منطقي لهذا الطقس، في حين ارتدت هي التنورة والجوارب التي تلائم أكثر اجتماعًا بمكتب ذي

تدفئة مركزية. التقيا خارج "إثنو"، حيث بدأت الطيور تتجمع حولهما على الفور، وتسابق إليهم الإوز والبجع والبط على أمل الحصول على بعض فتات الخبز.

سألت "أجلا":

- هل سيأتي "آدم"؟

بالكاد خرجت الكلمات من فمها حين ظهر في الزاوية، وهو يبدو أنيقًا في بذلة ومعطف وفوقها قبعة صوفية على رأسه.

ثم سأل فجأة:

- ما الذي يحدث؟

- إنهم على دربنا، بالصدفة، أعتقد.

تجنبت "أجلا" النظر إلى "آدم" وأبقت عينيها على "يوهان" بدلًا منه، كما لو كان وسيطًا بينهما. وقد قابلت "آدم" عدة مرات منذ ذلك اليوم المشؤوم عندما رآها مع "سونيا"، لكنها لا تزال تشعر بعدم الارتياح بالقرب منه.

فقال "يوهان":

- لا فرق إذا كان بالصدفة أم لا، هذه التحقيقات عن التلاعب في السوق، وإن أرادوا السير في اتجاه آخر، فسيتعين عليهم البدء من الصفر، وهذا يعني تفتيشًا جديدًا، وإعلان حالة، وتجميع أدوات. لن يتحمسوا للبحث في الأمر إذا لم يكن وراءه شيء أكثر مما في يديهم الآن.

أكمل "يوهان" حديثه، مثبتًا عينيه على "أجلا". عرفت ما يفكر به "يوهان"، فقط لم ترد أن يكون أول من يذكر ذلك.

قالت بتنهد:

- تقصد إن بدؤوا في التقدم بقضية التلاعب بالسوق، فهذا هو الجزء الذي سيركزون اهتمامهم فيه؟

قال "آدم":

- علينا أن نفعل كل شيء، وأعني كل شيء، لإبعادهم عن الرائحة. لا يمكننا أن نخسر المزيد من المال، هؤلاء ليسوا من يكتفون بالحلول التي يجدونها، بل سيرغبون في وضع أيديهم على كل قرش واستعادته، وقد اتفقنا بالفعل أن وظيفتي هي التأكد من أنهم راضون.

هكذا كان الأمر، ستتم التضحية بـ"أجلا".

فقالت:

- إذن أنت معفي، و"يوهان" تحت أعينهم بالفعل، لم يتبقَ غيري إذن.

رد "آدم":

- أنتِ مدينة لي.

وكلاهما يعرف أنه لا يقصد المال.

63

فوجئت "سونيا" من ردة فعلها في استيعاب ما يحدث، لم تكن كما تظن، ربما لأنها كانت دائمًا تتوقع الأمر، حدقت دون التفوه بكلمة أثناء وقوفها عند السير الناقل، ظهر لها فجأة ضابط الجمارك ذو الشعر الرمادي الذي لم تلاحظه في أول الأمر، والآن يأخذ الحقيبة من يدها، سألها:

- أهذه لكِ؟

أومأت برأسها، وقد فقدت قدرتها على الكلام تمامًا.

- ليس عليها اسم، متأكدة أنها حقيبتكِ؟

ظهر صوتها مجددًا وقالت:

- نعم متأكدة.

أشار لها أن تتبعه إلى باب جانبي في صالة الوصول وقد أطاعته تمامًا. داخل غرفة صغيرة، كان هناك ماسح ضوئي للأمتعة، فوضع الحقيبة عليه وشاهد الشاشة وهي تمر.

فقال وهو يوقف الجهاز:

- يبدو أن هناك موادًا عضوية في الداخل.

حدق في الشاشة التي أظهرت محتويات الحقيبة بظلال من اللون الأزرق والأخضر والوردي، وطلب منها أن تضع حقيبة يدها على الماسح الضوئي، فأطاعته مرة أخرى. تجمدت أفكارها في ذلك الوقت، ودق قلبها بصوت عالٍ لدرجة أنها كانت متأكدة من أن موظف الجمارك يستطيع سماعه. لم تنفعها الآن تجهيزاتها العقلية لهذه اللحظة، فقد اعتقدت أنها تعرف كيف ستتصرف بالضبط، والآن بدا الأمر وكأن جسدها يعمل بغريزته وحسب، فيسحب كل الطاقة من عقلها ويقوي بها ضربات قلبها. فكَّ ضابط الجمارك حزام الحقيبة ووضعها على طاولة وفتحها، ثم سأل:

- هل يمكنكِ إخباري ببعض الأشياء الموجودة بالداخل؟

ارتفع حاجبا "سونيا" في غرابة، فقال موضحًا:

- لأتأكد من أنها حقيبتكِ.

فلعنته بصمت في نفسها؛ هذا يعني أن الرجل على دراية بخدعة تبديل الأمتعة. وقالت في محاولة للحفاظ على تصنعها المفاجأة:

- بالطبع إنها حقيبتي، وبداخلها الأشياء المعتادة؛ ملابس، علبة مكياج، وبعض هدايا عيد الميلاد.

ثم سألها وهو ينظر إليها من خلال غطاء الحقيبة:

- أيمكنكِ أن تكوني أكثر دقة؟

حاولت "سونيا" التركيز على تذكر ما كان بحوزتها، لكن الصورة التي استحوذت على عقلها كانت صورة النمر، الوحش الكبير القوي، المحاصر في قفصه، وفكه على استعداد لافتراس أي يد تقترب منه. وكأن رؤيته كانت الهدف من الرحلة بأكملها، وكأن ذلك علامة لتحذيرها، فوجود حيوان بري في قفص أمامها في منزل كبير وأنيق في لندن، علامة بقدوم كارثة، لكنها لم تعِ ذلك وقتها.

اتسعت عينا ضابط الجمارك منتظرًا ردها، فتلعثمت قائلة:

- توجد علبة مكياج بلاستيكية سوداء بها زجاجة عطر وبودرة وماسكارا وبعض الأشياء الأخرى، وهناك حقيبة إسفنجية مصنوعة من قماش الفلانيل الأحمر بها قصافة أظافر، ومبرد، وزجاجتين صغيرتين من الشامبو، وفرشاة شعر، وبعض الكريمات، ومعجون أسنان. أوه، وفرشاة أسنان. فرشاة أسنان وردية.

فتح موظف الجمارك الحقيبة وتفحص العلب واحدة تلو الأخرى، وأومأ برأسه حين رأى ما بداخلها. فكان هناك تعبير بالرضا على وجهه الآن وهو مقتنع بأنها حقيبتها، وقال:

- اسمي "براجي"، أنا كبير المحققين هنا في مطار "كفلافيك"، والآن أريدكِ أن تأتي معي لغرفة الفحص.

أغلق حقيبتها وحملها كأنها لا تزن شيئًا.

شعرت "سونيا" في غرفة الفحص بشعور شنيع بالعجز. أجلسها ذلك الرجل الظريف والصارم ذو الشعر الرمادي في زيه الأسود، على كرسي بالقرب من طاولة في منتصف الغرفة، ثم أخرج كل شيء من الحقيبة، ووضعها بترتيب على الطاولة أمامه، حاولت "سونيا" الجلوس بهدوء والبقاء هادئة، وبذلت جهدًا لأجل ذلك، حتى لا تغرق في يأسها. وعلى الرغم من هذا، شعرت بأنه يتم تجريدها من ملابسها بينما كان الرجل يتصرف بملابسها الداخلية وأدوات المكياج.

سألت فجأة وقد تملكها شعور باليأس:

- أيمكنني الذهاب إلى الحمام؟

استرجع عقلها مأساة سنوات دراستها، حين كان يؤثر ضغط الامتحانات على مثانتها، وقد مرت سنوات منذ أن كان التوتر فقط سببًا يجعلها تريد التبول.

قال ضابط الجمارك وهو يخرج جهاز اتصال لاسلكي من حزامه:

- بالطبع. أريد فتاة لمرافقتها إلى الحمام.

لولا دقات قلبها الشديدة المتتالية، والألم الذي ينتشر من فكها إلى رأسها بالكامل، لضحكت، فكان هناك شيء مثير للسخرية حول ضغطه على أزرار جهاز الاتصال اللاسلكي وصراخه عليه، وكأنه لا يثق في قدرة التكنولوجيا على نقل صوته. فُتِح الباب ودخلت شابة ترتدي زي ضابط جمارك، تقول إنها سترافق "سونيا" إلى الحمام.

وفي الغرفة التي أُدخلت "سونيا" فيها، لم يكن هناك حمام؛ بدلًا من ذلك، كان هناك كرسي موضوع عليه مقعد مرحاض وتحته حوض للغسيل.

فسألت "سونيا" بذهول:

- أتتوقعين مني أن أقضي حاجتي هنا؟!

قالت الفتاة:

- أجل.

وابتسمت، كأن ذلك شيء طبيعي للغاية، ثم نظرت "سونيا" إليها، لكنها لم تبدِ أي حركة لمغادرة الغرفة، فقالت:

- لن أبقى طويلًا.

قالت الفتاة، وقد تغيرت ابتسامتها لنظرة اعتذار:

- يجب أن أبقى هنا معكِ، سأدير وجهي إلى الناحية الأخرى أثناء قيامكِ بقضاء حاجتكِ.

واستدارت بكعبها ووقفت بمقابلة الزاوية؛ منتبهة كما لو كانت رئيسة فرقة الكشافة.

هزت "سونيا" رأسها في تعجب أمام المزيج الغريب من الحوض والكرسي، وقالت:

- لا أعتقد أنني أريد ذلك على أي حال.

64

لم يكن "براجي" مندهشًا، بل كان مصدومًا، فبعد اطلاعه على ما كان بالحقيبة، لم يكن بها أي شيء يثير الشكوك. مررها مرتين عبر الماسح الضوئي، لكن دون نتيجة، وأخرج الحواف والقاعدة، ولم يترك سوى القماش والإطار نفسه الذي حفر بداخله حفرة، وعلى الرغم من كل ذلك، بلا شك لم يكن هناك شيء غير قانوني في القضية. وأثناء ذهابها إلى الحمام، قام بفتح هدايا عيد الميلاد الثلاث، وخاب أمله مرة أخرى، فقد وجد جهاز "آي باد" في الأولى؛ أحدث

ما يطلبه الشباب، والثاني به كتاب "ليجو"، وبالثالث كانت إحدى ألعاب تلك الوحوش التي يلعبها الأولاد هذه الأيام بجسد بشري ووجه حيوان.

حين عادت لم يتبقَ للفحص إلا علبتا القهوة، اللتان يفترض أنهما المادة العضوية التي التقطتها الماسحة الضوئية.

قال:

- سأضطر فتح هذه الأشياء.

أومأت برأسها وهي تجلس، بدت مسترخية، لكنها تجنبت مقابلة عينيه، فلم يتمكن من معرفة ما تشعر به حقًّا من تعبيرات وجهها، ثم أخرج سكين سجادةٍ حاد وشق عبوة من القهوة وأفرغها في كيس بلاستيكي، لم ير بداخلها سوى القهوة، وذكَّرته الرائحة التي ملأت الغرفة برائحة القهوة الطازجة التي كان يطحنها لجدته بالمطحنة الصغيرة التي كان يعتقد آنذاك أنها جديدة للغاية.

- تحضرين القهوة إلى هنا؟

فأجابت:

- نعم؛ أحب حقًّا هذا البن المحمص الداكن، لذا أشتري البعض أحيانًا أثناء عودتي إلى المنزل، من أجل أول كوبٍ في الصباح.

ثم ابتسمت بإيجاز. في هذا الوقت، دب الشك في قلب "براجي"، وانتابه الشعور نفسه عندما ابتسمت له عند نقطة الأمن من قبل أثناء فحصه جواز سفرها. الشعور الذي صدمه أنه مخطئ، ويتهمها خطأً، وأنه يفقد لمسته. وليطمئن، أحضر جهاز المحلل المحمول باليد وقلب به القهوة، لكن لم تكن هناك قراءة، ومرره فوق الحقيبة، وعلى الملابس ومستحضرات التجميل، لا شيء. لم يضف ذلك شيئًا، لم يستطع تصديق أنه قد أخطأ الهدف لأول مرة في ثلاثين عامًا، فعليها أن تكون مُخَدرة، إما ظاهريًّا أو داخليًّا.

تنهد وقال:

- حسنًا، سأضطر أن أطلب منكِ أن ترافقيني إلى المستشفى في "كفلافيك".
أمامكِ خياران؛ إما الذهاب برفقتي كمتهمة رسميًا، أو أتصل بالشرطة وسيأخذونكِ هم، مما يعني اعتقالًا رسميًّا ومزيدًا من الأوراق.

فقررت:

- لنقوم بالطريقة السهلة.

65

كان لدى "سونيا" وقت للتفكير عندما وقفت في ممر داخل مستشفى "كفلافيك"، وحول ساقيها شريط الجمارك. سيقوم طبيب بفحصها، وتوقعت أن يتم تصويرها بالـ"إكس راي".

جلس الضابط ذو الشعر الرمادي إلى جانبها يتنفس بصعوبة، وسألها:

- قلتِ إنكِ كنتِ في كوبنهاجن، أم لندن؟

كانت المرة الثالثة التي يسأل فيها السؤال نفسه.

- كما قلت لك، لندن، وكوبنهاجن، وموطني، كان لديَّ اجتماع في المكانين. يمكنك أن تسأل متى شئت، سيكون الجواب نفسه.

استعادت "سونيا" ثقتها بنفسها تدريجيًا، وبدأ يقل الصداع الذي أصابها فجأة، وعلى الرغم من القلق الذي تملكها، كان بإمكانهم إجراء الأشعة، لم تكن تلك مشكلة.

ما أقلقها هو الأسئلة التي لن تنتهي حول تحركاتها، والتي أشارت إلى أنهم كانوا يتبعونها، كان هذا مقلقًا، ووجودها على القائمة السوداء للجمارك لم يكن شيئًا جيدًا.

سألته:

- لماذا أوقفتني؟

فهز كتفيه وقال:

- مجرد فحص روتيني.

لم تصدق "سونيا" ذلك، فلا ينتهي الفحص الروتيني عادةً أمام جهاز "إكس راي"، كما كان واضحًا أن هذه رحلتها الأخيرة.

رنَّ تليفونها، فنظرت إلى الشاشة لرؤية الرسالة، كانت الأخيرة من "ليبي"، تذكرها بوقت تجمعهم، وتؤكد على رغبة فتيات "نادي الموضة" في رؤيتها في الأسبوع الأول من شهر يناير. اقترحت "ليبي" أن تذهب في رحلة إلى الشمال، وغمر "سونيا" شعور مفاجئ بأن كل هذا مجرد حلم، وأن العامين الماضيين كانا نوعًا من السراب الذي انتهى بها إلى هذه العيادة، وأنها ستستيقظ بعد قليل لتجد الحياة كما كانت، أو ربما كانت تلك الرسائل من "ليبي" علامةً للمنحنى الجديد الذي كان على وشك أن تتحول إليه حياتها، فبمجرد أن تصبح حرة، ستتمكن من العودة نوعًا ما إلى الحياة الطبيعية؛ حياة تمنحها فرصًا، كالقيام برحلة سريعة للشمال لرؤية "نادي الموضة". فبعد الطلاق، تعمدت أن تتهرب من تجمعاتهم بمجموعة من الحجج الكاذبة، مثل أنها كانت مشغولة جدًّا، أو أن "تيوماس" مريض، والمزيد من هذه الحجج. والحقيقة هي أن "تيوماس" بقي معها في عطلة نهاية الأسبوع، وكانت تأخذه ليأكلا في "أيكيا" لأن وجبات الأطفال مجانية. وبأي حال لم تكن ستفكر في السفر إلى "أكوريري" لمقابلة "نادي الموضة" في ظل تلك الأزمة.

ثم عادت مرة أخرى إلى تلك الغيبوبة؛ لا تزال تفكر بأصدقائها القدامى في الشمال، وأدركت أن حياتها السابقة هي حياة الأحلام، التي انجرفت إليها

كريح وسط الضباب. فقبل عامين، فاقت من حلمها على صدمة، والآن تعيش في عالم حقيقي، عالم تشاهد في واقعه نمرًا يهاجم رجلًا.

فُتح باب العيادة وخرجت امرأة في معطف أبيض وقالت:

- "سونيا"؟

66

في اليوم الأخير قبل إجازة عيد الميلاد، راقب "تيوماس" والده بفارغ الصبر وهو يُعد له وجبته ببطء شديد. بدا الأمر وكأنه ذلك الصباح قرر أن يتأكد من فرد الزبد على قطعتي الخبز بالكامل حتى الحواف، على الرغم من أنه كان متأخرًا على غير العادة.

فقال:

- أسرع يا أبي؛ تبدأ المدرسة في الثامنة وعشر دقائق.

بعد المدرسة سيعود إلى المنزل ليستحم ويبدل ملابسه، ثم تأتي والدته لأخذه، فقد أخبرته أنهما سيقضيان معًا وقتًا ممتعًا في عيد الميلاد. كانت حقيبته جاهزة تحت سريره، بكل الأشياء المعتادة التي أخذها معه: لعبة طاولة كان سيعلمها كيف تلعبها، وبعض الملابس وجواز سفره، كما تطلب دائمًا. كان يخبئ لها أيضًا هدية في حقيبته؛ شيئًا صنعه في المدرسة؛ لوح خشبي مقطع ومصنفر ومحفور عليه الأحرف الأولى من اسمهما هو ووالدته.

فسأله والده وهو يقطع الجبن ببطء كما لو أراد الاعتناء به أكثر:

- كيف هو حالك عندما تكون مع والدتك؟ هل تطعمك جيدًا؟
أومأ "تيوماس" برأسه وقال:
- أجل، طعام رائع.
- ما نوعه؟
- كل الأنواع؛ كرات اللحم، إسباجيتي، والسلطة، كما تعلم، كيفما تصنعها أمي.
- هل تقيم والدتك الحفلات؟
- حفلات!
- أجل، كحفلات العشاء. هل يذهب إليها الكثير من الزوار؟
- لا، ليس الكثير، القليل فقط أحيانًا.

لم يكن ذلك صحيحًا، فلم يرَ "تيوماس" أي شخص عند والدته من قبل، لكنه لم يرد أن يعتقد والده أنها ليس لديها أصدقاء، فسيكون هذا غير عادل، حيث يرى العديد من الزوار يأتون لأبيه.

- وماذا "عنها"؟ هل "تزورها" في بعض الأحيان؟
هز "تيوماس" رأسه بالنفي. عرف مَن كان يقصد والده؛ صديقة والدته.
فأجاب:
- لا، لا تذهب أبدًا إلى هناك. سأتأخر يا أبي.
سأله مجددًا وهو ينهي ساندوتشه:
- هل أنت متأكد؟ ألم تأتِ من قبل؟
قال "تيوماس":
- لا.

وكان يقول الحقيقة هذه المرة، ولكن حتى لو رآها في منزل والدته لن يخبر والده أبدًا، فهو يعرف جيدًا أن والده لم يحبها، وقد فهم السبب، على الرغم من

أنه مجرد طفل. ومن وجهة نظره، كان خطأ والده أن أمه وجدت لنفسها صديقة، فلم تكن لتفعل ذلك لو كان يعاملها بشكل ألطف.

قال له والده وهو يلف الساندوتش بورق حراري:

- إذا رأيتها عند والدتك ستخبرني، أليس كذلك؟

قال "تيوماس":

- بالتأكيد.

ثم خطف الساندوتش وألقاه في حقيبة المدرسة.

67

لم توحِ الذبابة الميتة بأي فكرة جديدة تلك الليلة مثل باقي الليالي، وقد أظهر ضوء المصباح الخارجي سواده القاتم. شعرت أنها أصبحت تقف في منتصف دوامة من الأفكار التي تداعت وانغلقت داخل نفسها، لكنها بعد وهلة أدركت أن اقتراح "آدم" هو الحل الوحيد لهذه المشكلة. عليها أن تضحي بنفسها، لأن الحلول الأخرى مليئة بالمخاطرة، فلا بد من إعادة توجيه التحقيقات إلى الاتجاه الصحيح بدلًا من ترك النائب العام يبحث بطريقة عشوائية، فكان متروكًا لها أن تبادر بالأمر.

قامت "أجلا" من سريرها غير المرتب، كانت لا تزال متعبة، وإن تكلم كل من عقلها وجسدها لرَجَوها أن تمنحهما بعض الراحة، لكنها شعرت بالراحة بقيامها من السرير. بينما كانت تستحم، فكرت في زملائها الشباب الذين عرضوا المساعدة من قبل، كانوا ثلاثة شباب مديرين متوسطي المستوى في

البنك، ألحقتهم الأزمة المالية بديون ساحقة، فكانوا مستعدين لعرض المساعدة وتحمل المسؤولية في مقابل مبلغ مناسب. ومن ثلاثتهم وُضِع اثنان منهم في الحسبان، حيث عمل كلاهما في قسم الأموال تحت إدارة "آدم".

بينما غسلت "أجلا" أسنانها بالفرشاة ووضعت مكياجها، قارنت إيجابيات وسلبيات كل منهم، واختارت أقلهم إعجابًا به؛ "دافيث"، ذلك الوغد المتعجرف الذي استغل قربه من "يوهان" وغيره من المديرين الأعلى مقامًا في البنك ليشق طريقه إلى فوق، والآن يُنظر إليهم بازدراء وهم غارقون في المتاعب، هو أيضًا ضمن الذين اعترضوا على وجود امرأة وسط المخضرمين من الرجال، وكان البنك به نماذج قليلة من هؤلاء قبل الأزمة المالية، وقد ضايقها أنها لم تتم دعوتها أبدًا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في أمستردام أو فلوريدا معهم، وعلى الرغم من ذلك، كان لغيابها من تلك التجمعات فائدة مهمة، لأنها كانت الوحيدة التي لم تظهر في مقاطع فاضحة صورها "يوهان" للمساومة عليها لاحقًا. وأعطاها ذلك مطلق الحرية لتقبل أو ترفض الاقتراحات التي عرضها "يوهان" والمجلس قبل أيام من انهيار البنك.

قالت بمجرد أن رد "دافيث" على التليفون:

- "كافيه باريس"؟ "أجلا" تتحدث.

ودون شك، كانت هذه مكالمة ينتظرها منذ فترة طويلة، فوافق فورًا على مقابلتها.

ارتدت بذلة رمادية وقميصًا أسود، ورشت الكثير من مثبتات الشعر، ثم أخذت حقيبتها من على طاولة المطبخ. وفي الوقت الذي فتحت فيه الباب، كان الليل قد حل. طرفت عيناها بغضب، فكانت هناك رياح جافة من الشرق، وعلق الغبار البركاني داخل عينيها فأصبحت جافة، وقد أعطاها ذلك عذرًا جيدًا لاستخدام

قطرات العين باستمرار، فالجميع يتفهم ذلك نظرًا للظروف الحالية، فلن يعرف أحد أنها كانت تقضي لياليَ طوال تحدق في جثة ذبابة بضوء السقف.

كان الأمر مقززًا بالطبع، وكانت تتمنى ألا تكون مقيدة بكل هذا لتستطيع الاختفاء من البلاد، ولكن بهذا الوضع لم يكن هناك خيار آخر سوى القيام بما يجب القيام به.

68

بينما دخلت "أجلا" المقهى، شاهدت "دافيث" واقفًا يلوح لها. كان لا يزال بهيئته نفسها؛ بشعره الأشقر المجعد ووجهه الأحمر، وإذا لم تكن تعرفه لقالت إنه ملاك، ملاكٌ كبيرٌ ودود، لكن يبدو أنه قد فقد بعضًا من غطرسته، فقد مد لها يده وسلم عليها بحرارة.

وقال بصوت منخفض:

- سعيد برؤيتكِ.

وبدت الكلمات صادقة لأنه نظر في عينيها. كانت هي طوق نجاته، فهي تعرف نوع العبء الذي كان يحمله، وكم هو ضروري أن يجد طريقًا للهروب، فبعد أزمة الانهيار المالية، فقد الكثير من الشباب ثقتهم بأنفسهم، وكأنما تلاشت أدنى معتقداتهم الوجودية الأساسية مع الغبار، كانوا مستعدين للتعلق بأي قشة، وقد تغيروا جميعًا بلا شك في أعقاب الأزمة.

طلبت "أجلا" و"دافيث" القهوة، ثم جلسا، وللحظة أعجبتهما أضواء عيد الميلاد في وسط المدينة. بدت المدينة تنبض بالحياة، تفتح المتاجر أبوابها في بداية

اليوم والشوارع مزدحمة، وبمجرد أن أحضر النادل قهوتهما، استقامت "أجلا" في جلستها وقالت:

- نحتاج إلى إخراج "آدم" من بعض المتاعب، هل أنت معنا؟

اهتز كوب "دافيث" على الطاولة بسرعة لدرجة أن بعض الفوم انسكب على يده، فانتزع منديلًا بارتباك، ونظف نفسه وهو يومِئ لها بحماس:

- بالتأكيد، فقط أخبريني ما يجب عليَّ فعله.

ابتسمت "أجلا"، فقد علمت أنه سيتمسك بطوق النجاة الذي ترميه له، لكنها لم تستطع منع نفسها من الاستمتاع برؤية تواضعه، كان ذلك تغييرًا كاملًا عن السابق؛ حين كان ينظر إليها كأنها غير مرئية، ويسخر منها عندما تتحدث في اجتماعات المجلس، وكأن أي شيء تقوله كان يدعو للضحك والسخرية. قالت له:

- يمكن أن تبقى عامين في السجن.

أومأ "دافيث" برأسه مجددًا وقال:

- إنها فرصة. عامان لا شيء مقارنةً بالحكم المؤبد الذي أعيشه حاليًا.

فقالت "أجلا":

- اتفقنا، سنجد طريقة لتحويل ديونك إلى شركة قابضة في الخارج، ويمكنهم البقاء هناك إلى الأبد، من الأفضل أن تذهب للمنزل وتفكر كم تحتاج من المال، ولا تخجل، نريدك أن تعرف أننا نقدر ذلك.

- "أجلا"، أنتِ لا تعرفين ما يعنيه هذا بالنسبة إليَّ.

فردت بسرعة:

- هذا جيد.

لم يكن لديها نية للاستماع إلى هذا الشكل الملائكي وهو يذرف دموع الامتنان، فهي لا تقوم ببعض الأعمال الخيرية، كان ذلك عملًا حقيرًا من أوله إلى آخره.

- نحن بحاجة إلى الاعتراف بقبول مدفوعات من حسابات خارجية، والتي استخدمتها أنت لاحقًا لشراء الأسهم في البنك، بناءً على تعليمات "يوهان" وبعلمي.

تمايلت خصلات "دافيث" معه حين أومأ برأسه وقال:

- موافق.

- وما يجب أن يكون واضحًا تمامًا، هو أن ثلاثتنا قد استبعد "آدم" من الأمر، وهذا يعني أنك ستضطر إلى الاعتراف بتزوير توقيعه عدة مرات.

69

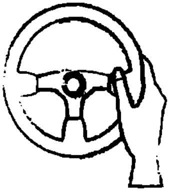

التفتت "سونيا" بضيق لرؤية وجهه في الكرسي الخلفي وقالت:

- "تيوماس"، عد إلى هنا.

فتمتم بتحدٍّ:

- لا أحب الانتظار بالسيارة.

لسبب ما، تأكدت أنه سيكون أكثر أمانًا إذا ظل في السيارة.

- سأقوم بالذهاب بسرعة وإحضار الحقيبة والعودة مجددًا. لن أتوقف حتى.

- من هؤلاء؟

- فقط بعض الأشخاص اللطفاء جدًا الذين ساعدوني بأخذ حقيبتي إلى المنزل لأنهم كانوا في إجازة نهاية الأسبوع في لندن، وأنا كان معي الكثير من الأمتعة واضطررت الذهاب عبر كوبنهاجن.

- لم لا يمكنني القدوم ورؤيتهم؟

- "تيوماس"، من فضلك لا تكن هكذا، سأطرق الباب وأحضر الحقيبة وأذهب، وأنت يجب ألا تنسى أن هدايا عيد الميلاد الخاصة بك داخل تلك الحقيبة.

فقال على مضض:

- حسنًا إذًا.

أسرعت "سونيا" إلى المنزل، وفي منتصف الطريق، استدارت ولوحت لـ"تيوماس" بحماس. كان المدخل في جانب المنزل، مرتفعًا درجتين؛ واستطاع رؤيتها من السيارة، فأملت أن يكون ذلك كافيًا لإبقائه في مقعده. كان الضوء الخارجي مقفولًا، فاضطرت "سونيا" إمعان النظر لرؤية جرس الباب، وبمجرد أن ضغطت على الزر، ذُهلت بسماع الجرس على الجانب الآخر.

كانت مستعدة لأن تركض أسفل السلم وتعود، أيقنت فجأة أن هناك خطأ ما، أن هؤلاء الأشخاص قد فتحوا الحقيبة ورؤوا ما فيها، وأنها كانت على وشك لقاء الشرطة التي كانت تنتظرها في الداخل، لكن قد فات الأوان، كان بإمكانها سماع خطوات تقترب من الباب وقد وقع ظل على الزجاج.

قال الشاب الذي فتح الباب:

- مرحبًا، كيف كانت رحلتكِ؟

أومأت "سونيا" برأسها وابتسمت وهي تقول:

- كانت جيدة، أشكرك، لقد نجح الأمر في النهاية، وبفضلك وصلت المنزل بكل أمتعتي.

فقال الشاب:

- لا توجد مشكلة، سررت بالمساعدة.

فقالت له "سونيا" وهي تأخذ الحقيبة الزرقاء:

- لقد أنقذتني.

- أتأتين لتناول القهوة؟

فأجابته:

- شكرًا، لكن لن أستطيع؛ ابني الصغير ينتظرني في السيارة.

واستطاعت أن تشعر بعينيِّ الرجل تتبعها وهي تنزل على خطوات السلم.

ثم قال بمجرد أن نزلت:

- عيد ميلاد سعيد.

فاستدارت ولوحت له بسعادة.

ثم ضغطت على المفتاح الرئيس لفتح شنطة السيارة، وأسقطت الحقيبة بداخله، ثم دخلتها وأدارت المحرك.

سألت "تيوماس" وهي تنظر إليه في المرآة:

- أكنت سريعة؟

فأومأ لها برأسه ثم سألها:

- أيمكننا الذهاب للسينما الآن؟

- سيكون "جوي" ووالدته هناك باكرًا لنتمكن من شراء الفشار قبل أن تبدأ الإعلانات.

70

مكتبة
t.me/soramnqraa

همس "براجي" في أذن "ڤالديس":

- قريبًا يا حبيبتي.

وكالعادة حين حدثها بهذه الكلمات، نظرت إليه بابتسامة غامضة، كان "براجي" متأكدًا أنها فهمت، فهذا هو سرهما. ثم قرأ لها بعض مقالات الجريدة بصوت مرتفع،

الأخبار التي قد اعتاد أن يجدها الآن منذ الانهيار الاقتصادي، "انخفاض في الخدمات الصحية، و"زيادة صفوف بنوك الطعام"، و"تراجع التصنيف الائتماني لأيسلندا"، و"تساقط ثلجي من فوق سطح كاد أن يخنق طفلةً بشمال أيسلندا".

بدا أن هذا العنوان الأخير مثير للاهتمام، ربما لأنه كان شيئًا له نهاية؛ نهاية إيجابية، تتمثل في الجار الذي صادف أن رأى تساقط الثلوج من السقف، فجرى على الفور وأخرج الفتاة الصغيرة التي خرجت من الحادث دون خدش. أبقت "ڤالديس" عينيها على "براجي" وهو يقرأ هذا الخبر، وقرر أنه من الآن فصاعدًا سيبحث عن الأخبار المتفائلة ليقرأها لها. فكر أن كل الناس على الأرجح قد رؤوا ما يكفي من الأخبار السيئة، بما فيهم "ڤالديس" أيضًا. فحتى لو لم تفهم المحتوى تمامًا، فإن الغضب والحزن، اللذين بديا أنهما سيطرا على هذه الدولة التي كانت ذات مرةٍ متفائلة وغنية، قد تغلغلا في وسائل الإعلام بأكملها، ولم يكن ذلك له أثر إيجابي عليها.

كانت بعض الأخبار الجيدة من ناحية أخرى تثير بعض الذكريات؛ قصص مثل قصة الطفلة في الثلج. دائمًا ما أحبت "ڤالديس" الشوارع والمنازل التي تتحول إلى اللون الأبيض في الشتاء، ولعب أبنائهما كل يوم لساعات في الثلج حين كانوا صغارًا. لم يكن هناك من ربات البيوت الكثير ممن كن سعداء بنسيان الأعمال المنزلية، وارتداء الجوارب الصوفية والقفازات والذهاب للعب مع أطفالهم في الخارج كما فعلت "ڤالديس" في الثلج المنعش الذي سقط حديثًا.

أخذ "براجي" فرشاة الشعر من على الطاولة، ومشط شعرها الرمادي بعناية، أحسَّت بالموجات في ظهرها وهو يمشطه مرارًا وتكرارًا، حتى أصبح ناعمًا كالحرير. قسَّم بعد ذلك شعرها، وأخذ يقيس كل ناحية بالأخرى ليصبحوا متساويين في الطول، كما أحبته دائمًا أن يكون، فقد علَّمته "ڤالديس"

ذلك حين طلب تمشيط شعرها أثناء شهر العسل في إيطاليا، كانت سعيدة لاهتمامه بشعرها. بينما تفك ضفائرها، كانت الشمس تشرق من النافذة وقد أظهرته لامعًا كالذهب، كانت شقراء حينذاك، والآن وبعد أن تحول الذهب إلى فضة، لا تزال تفتنه تموجات شعرها وملمسه الحريري بعد فك الضفائر، كان في منتصف الضفيرة الأولى عندما ظهر أحد الموظفين.

فقال الرجل:

- لا تتعب نفسك، فقد حان موعد استحمامها.

من الواضح أن هذا الرجل لم يفهم "ڤالديس"، أو أنه لا يكترث، فنظر "براجي" لوجهها وتأكد أنه رأى دموعًا في عينيها، وقالت بحنق:

- لا أريد الذهاب للحمام.

مسح "براجي" الدموع التي سالت على خديها، ثم قال:

- اعتقدت أن غدًا هو يوم الاستحمام.

اعترض الرجل وتمتم بشيء عن تغير جدول الدوامات قرب عيد الميلاد.

كانت هناك فظاظة من جهة الرجل، أو ببساطة عدم مراعاة، شعر "براجي" بسببها بالشكوك المعتادة التي تستيقظ في ذهنه، فربما كان هذا الرجل وراء الكدمات. قالت "ڤالديس " بينما أخذها الرجل من ذراعها لتمشي معه في الممر:

- لا أريد الذهاب للحمام.

فقال "براجي" وهو يمسك بذراعها الأخرى:

- برفق، يجب أن تكون لطيفًا معها.

فأجابه الرجل:

- ليس من المفترض أن تكون هنا، دائمًا ما يكون الأمر أفضل بكثير في عدم وجودك.

عرف "براجي" أنه لا جدوى من الجدال، فاضطر ابتلاع الكلام في حلقه، لم يستطع تحمل تكرار كلام المستشار الاجتماعي الذي تحدث عن أهمية ترك زمام الأمور إذا تعلق الأمر بأحبائك المرضى.

خفف تدريجيًا من قبضته على ذراعها، وانحنى ناحيتها وهمس لها مرة أخرى:

- قريبًا يا حبي، قريبًا سينتهي الأمر.

71

كان هذا هو المكان الذي تختاره "سونيا" للعيش فيه؛ وادي "فوسفوجور" جنوب العاصمة، منطقة منعزلة، معظم منازلها خرسانية من طابقين، وهي مبنية على الطراز الإسكندنافي الحديث؛ بكثير من الأشجار القديمة، وكلها تقع حول منطقة أسفل الوادي، حيث يركض الناس في الصيف، أو يركبون الدراجات، ويسحبون الأطفال وراءهم على زلاجاتٍ في الشتاء، فكان العيش في أحد تلك المنازل الذكية في الطرف السفلي من "فوسفوجور" يمثل الحياة العائلية المثالية، ما لم يكن لديك جار كـ"ثورجير"، بالطبع.

سُمع صوت الموسيقى من نهاية الشارع، لمْ تملك خيارًا سوى الوقوف هنا، وهناك الكثير من السيارات بالفعل بالخارج. كان المنزل مزينًا بأضواء عيد الميلاد، ووقف أمامه زوج من الرنة المضيئة التي تومض مع الموسيقى التي انطلقت من الباب الأمامي المفتوح، ومعلق بالداخل ورقة ممزقة من كورال الكنيسة مكتوب عليها: "بابا نويل سيأتي الليلة!".

وبعد أن رنت الجرس عدة مرات دون رد، دخلت "سونيا" بتردد.

كان هناك أناس في كل مكان، بحثت في وجوههم عن "ثورجير"، وهي تمسك مقبض الحقيبة الزرقاء بقبضة حديدية. وقفت سيدتان تتحدثان في خصوصية في المطبخ. وفي الصالة جلس رجل يتحدث في التليفون، ولم تستطع "سونيا" فهمه، فهي بالكاد سمعت ما تفكر به من ارتفاع صوت الموسيقى.

كان المرح الحقيقي في غرفة المعيشة، وهي مساحة كبيرة تمتد على طول المنزل، بها جدار بأكمله مواجه للوادي وقد تحول لنافذة كبيرة، ولم يهتم ضيوف الحفل بالمنظر البديع، فقد كانوا مشغولين للغاية بالتصفيق والصراخ على رجل عاري الصدر، يرقص على الطاولة، على رأسه قبعة عيد الميلاد، ويغني:

- بابا نويل سيأتي الليلة.

كان "ريكهارثور" مستلقيًا على أريكة جلدية مع فتاتين على كل ذراع، وحين التقت أعينهما، لم تستطع "سونيا" منع نفسها من إعطائه الإصبع، فتجهم في وجهها ردًا على ذلك، ثم التفت إلى إحدى الفتاتين ودفع لسانه في فمها.

قفز "ثورجير" من بين الجموع حول الطاولة واحتضنها بترحيب كما لو كانت صديقة قديمة وقال:

- "سونيا"! مرحبًا!

وسألها ضاحكًا، مشيرًا بإبهامه إلى الرجل الذي يرقص:

- ما رأيكِ الآن في عضونا البرلماني؟

وقد نظر الرجل باتجاه "سونيا" لتتمكن من رؤية وجهه. وعلى الرغم من أن "هوني ثور جوين أرسون" كان بالتأكيد في وضع أكثر حرجًا، فإن "سونيا" هي

التي أشاحت بنظرها بعيدًا بسرعة، وتمنت ألا يتعرف عليها أي شخص هناك. فأخذت "ثورجير" معها إلى الصالة وسلمته الحقيبة، وهمست له بغضب:

- أنا لا أعرِّض نفسي للخطر بجلبي هذه القذارة إلى البلاد لتسليمها في حفل أمام حشد من الناس.

لكنه بدا منيعًا لغضبها، فقال:

- هل من الممكن أن تهوني على نفسك؟ إنه عيد الميلاد!

وفتح الحقيبة ومزق القاعدة وأخرج أحد الأظرف، ثم اختفى داخل المطبخ، وعاد بسكين وملعقة، تبعته "سونيا" مرة أخرى إلى غرفة المعيشة، حيث قام بتقطيع العبوة بشكلٍ طولي ووضع ملعقة الحلوى داخلها، ثم ألقى الكيس على الطاولة محدثًا سحابةً من المسحوق فوقها.

وصاح قائلًا:

- بوفيه عيد الميلاد، تفضلوا.

استدارت "سونيا" وأسرعت بالرحيل وهي تخطف نظرات من الغرف حولها لحفظ أشكالها. وجدت في الحمام قاعدة مرحاض بخزانة تحته. وبإحدى غرف النوم، كان هناك دولاب من الأرض إلى السقف، ورأت في غرفة النوم الأخرى شبكة تهوية، وقد خرجت بسرعة حتى لا تقاطع الزوجين على السرير، وكان هناك باب في السقف في الطابق العلوي، معلق بحبل، وهذا يعني أنه يمكن الوصول إلى هناك بالقيام ببعض الخطوات.

أثناء نزولها إلى الطابق السفلي مرة أخرى، شاهدت ثُريا كبيرة معلقة فوق الأرض. وبالنظر إلى الأعلى، رأت أنها كانت معلَّقة بقبة أسطوانية منقوشة ومجوفة، وهذا سيفي بالغرض، فقد عرفت كل ما تحتاج معرفته، وبمجرد أن عادت إلى الشارع، تنهدت بارتياح. كان الهواء البارد الممزوج بالغبار البركاني

جيدًا كنسمة هواء نقية بعد الجو المتعرق بالداخل. وعندما نظرت إلى ساعتها، وجدت أن الوقت قد حان لأخذ "تيوماس" من السينما.

72

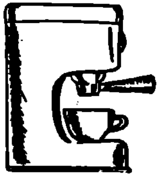

ملأ "براجي" ماكينة إعداد القهوة بالماء بوفرة لأخته المحبة للقهوة، ثم اعتذر قائلًا:

- لا أملك شيئًا أقدمه معها.

فهزت رأسها وربتت على بطنها، الذي ارتفع بشكل كبير في السنوات القليلة الماضية، وقالت:

- جيد! من المريح عدم وجود كعكات أمامي، فإذا وُجِدت لا يمكنني التوقف عن تناولها، فعيد الميلاد قادم!

قال "براجي":

- حسنًا إذن.

فقد كان هناك القليل من الخبيز في منزله منذ مرض "ڤالديس".

مد يده ليحضر الأكياس المربعة الأنيقة على حافة نافذة المطبخ التي غلفتها المكتبة، فبعد أن تركت "ڤالديس" حياتها الطبيعية، اعتاد الذهاب إلى المكتبة بقائمة كتب أعطاها للموظفين، وقاموا هم بتغليف الكتب له وتسمية كل واحد.

أخذت أخته الأكياس وأعطته حقيبة وهي تقول:

- لم أكن أعرف ما الذي يجب أن نقدمه لـ"ڤالديس"، حاولت تذكر ما كانت تحبه، وانتهى بي الأمر بإحضار الكونياك والشوكولاتة.

ابتسم "براجي" وقال:

- تفكير جيد، سأقوم بتهريبها لها.

فسألت وهي واقفة بنفسها تصنع القهوة أمام شقيقها الذي لا يملك مهارات الضيافة:

- هل الوضع بهذه الصرامة حقًّا؟

قال:

- إنهم يحبون أن تسير الأمور بنظام، لا ألومهم؛ إنهم يعملون بشكل جيد. لكنني لا أفهم لماذا لا يسمح للأشخاص الذين لم يتبقَ لهم الكثير بقليل من الرفاهية بين الحين والآخر؟!

فهزت رأسها قبل أن تشرب قهوتها ثم قالت:

- لا أعلم.

وأضافت:

- هل وصلك أي شيء عن شكواك من الكدمات؟

فأجابها "براجي":

- لا شيء، لقد ذكرتِني للتو؛ يقولون إن أدوية سيولة الدم تجعلها معرضة للإصابة بالكدمات بسهولة كبيرة، لكنني لست متأكدًا.

أضافت شقيقته الحليب إلى قهوتها، وقالت وهي تنظر حولها:

- يا إلهي! يبدو المكان فارغًا هنا بشكل رهيب.

قال "براجي":

- أعرف، لكن ستتغير الأمور.

ثم قام وصب القهوة لنفسه.

كان الأمر يثلج صدره حين تأتي أخته لتزوره، فلطالما كانا قريبين، وكان "براجي" يعرف دائمًا أنها حليفته في الحياة. كان الجو دافئًا الآن، حين جلسا في زاوية المطبخ وتحدثا، تمامًا كما كانا يفعلان لما كانت "ڤالديس" معهما.

- كيف حال الأولاد؟

- كالمعتاد؛ تلقيت دعوة، لكنني لست متأكدًا إذا كنت أرغب في القيام برحلة أخرى إلى أستراليا، وسيكون من الخطأ الابتعاد عن "ڤالديس" في هذا الوقت من العام.

- ألن يعود أي منهما لأيسلندا لعيد الميلاد؟

فأجاب "براجي":

- لا؛ يبدو أنهم لم يعودوا مهتمين بأيسلندا بعد الآن، إنهم مشغولون بغرز جذور جديدة هناك.

- الحياة أسهل هناك.

قال "براجي":

- أجل، صحيح جدًّا.

73

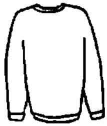

جلس "تيوماس" بجانب شجرة عيد الميلاد، وعلى وجهه نظرة قلق وهو يمسك التابلت الجديد في يديه، ثم قال:

- ألم يكن هذا مكلفًا جدًّا يا أمي؟

- اشتريته من الخارج يا عزيزي، فكان أرخص من هنا بكثير، وهو أحدث شيء يشتريه الجميع.

- أعلم ذلك.

وأخذ يقلبه بضع مراتٍ في يديه، وكأنه يتساءل ماذا يفعل به.

- إن مستواي المادي يتحسن يا "تيوماس"، وكل شيء يسير على ما يرام، ويمكنني الآن أن أشتري لك الهدايا المناسبة.

- ولكن ألن يكون من الأفضل أن تدخري بعض النقود، كما تعلمين، من أجل منزل أفضل مثلًا حتى أستطيع أن أكون معكِ؟

- أنا أفعل ذلك أيضًا.

نزلت "سونيا" إلى الأرض من الأريكة، وجلست تداعب شعره.

- من الأشياء التي تظهِر بها أنه يمكنك أن تكون مسؤولًا عن عائلة هو أن تكون قادرًا على شراء بعض الهدايا الفاخرة، لذا من الجيد أن تحصل على مثل هذه الهدية الرائعة.

- حقًّا؟

- نعم حقًّا.

قبلت "سونيا" رأسه وأخذت نفسًا عميقًا من رائحة شعره.

قررا إقامة حفل بملابس النوم قبل يوم من عشية عيد الميلاد، وقد استيقظت مبكرًا، وهي تضع "سي دي" من أغاني عيد الميلاد وتضيء الشموع في جميع أنحاء الشقة قبل أن توقظه بكوب من الكاكاو. كانا قد قضيا وقتًا رائعًا معًا بفتح الهدايا، وكان مسرورًا لفرحتها باللوح الذي صنعه لها في المدرسة. جلسا يضحكان معًا حتى الصباح، حتى وصل إلى التابلت، كان الأمر وكأن كل همومه تبددت في تلك اللحظة على كتفيه الصغيرين، كانت "سونيا" لتتخلى عن أي شيء حرفيًّا لتدفع أي ثمن لتخفيف عبئه، فلم يكن من الصحي أن يخاف مثل هذا الطفل الصغير من المستقبل.

- ألا ترغب في تجربة الجهاز بينما أحضِّر الغداء؟

أومأ لها "تيوماس" وجلس على الأريكة بهديته.

بمجرد أن وضعت "سونيا" الحمل المدخن على طبق، وسخنت البازلاء، ووضعت السكر البني على البطاطس، وصنعت الصوص الأبيض، كانت اللمسات الأخيرة لوجبة عيد الميلاد التقليدية جاهزة. وقررت أخيرًا أن الوقت قد حان لفتح الطرد المرسَل من والدتها، وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك أي عنوان للمرسِل على العلبة، فإن ختم بريد "أكوريري" لم يتركها في شك من أين جاءت. استخدمت سكين الخبز لقطع الصندوق، ووجدت في الداخل عبوة ناعمة عليها اسم "تيوماس" وعلبة كبيرة مزينة بمشاهد عيد الميلاد. امتلأت عيناها بالدموع حين فتحت القصدير ورأت داخله الخبز التقليدي؛ المقلي والمزين يدويًّا بندفات الثلج؛ الخبز الثلجي. أعادتها طبقات الخبز المنقوشة والمقطعة بحرص والمضفرة بعناية إلى طفولتها، إلى رائحة القلي في مطبخ والدتها، إلى العالم الذي افتقدته منذ فترة طويلة، والذي كان أكثر أمانًا عن العالم الذي تعيش فيه الآن. وفي عقلها صورة النمر يتحرك، ويزأر، ويقطر الدم من فكه، حيث علق برأسها منذ أن رأته في لندن، فهزت رأسها في محاولة لتتخلص من هذه الصورة.

قالت بمجرد أن ردت والدتها على التليفون:

- شكرًا على الطرد يا أمي.

- إنه ليس لكِ، لذا لا يجب أن تشكريني، لم أرد لـ"تيوماس" أن يقضي عيد الميلاد دون الخبز الثلجي.

كان هذا هو الأمر إذًا، لم يكن الخبز الثلجي لها على الإطلاق، وقد بالغت في أملها أن والدتها قد ترسل لها شيئًا.

- في هذه الحالة شكرًا لكِ نيابة عنه، سأبلغه أفضل أمنياتك، عيد ميلاد مجيد.

وضعت "سونيا" التليفون وأخذت بعض الأنفاس العميقة؛ لم ترغب بالسماح لـ"تيوماس" برؤيتها تبكي، على الأقل على والدتها، فقد ذرفت ما يكفي من الدموع عليها تكفيها مدى الحياة.

وبينما تضع "سونيا" الطعام على الطاولة، رن جرس الباب. سمعت صوت "آدم" يأمرها عبر جهاز الإنتركوم:

- جئت لاصطحاب "تيوماس"، هلا أنزلتِه إلى الأسفل؟

- جئت مبكرًا جدًّا، نحن على وشك تناول الطعام..

- وهذه مشكلتي؟ لقد كان معكِ لفترة أطول من كل مرة، والآن جئت لآخذه.

اشتعل الغضب داخلها، مع رغبة عنيفة في كسر شيء ما، أرادت أن تقذف أي شيء على الجدار، لكن غضبها قد تبخر عندما رأت "تيوماس" والحزن على وجهه. كان جاهزًا بالفعل، وكان قد حزم هداياه في حقيبته، والدموع تتدفق على وجهه ولم يحاول حتى مسحها.

وسأل:

- عليَّ الذهاب، أليس كذلك؟

وأومأت "سونيا"، ثم همست له:

- فقط فكر في ليلة رأس السنة، سيكون لدينا أربعة أيام كاملة لنقضيها معًا في بداية السنة الجديدة، لننتظرها.

وعانقت الصبي بشدة وغطته بالقبلات، وقالت وهي تمسح خديه بكمها:

- لا تدع والدك يراك وأنت تبكي.

وقفت متجمدة بلا حراك، وانتظرت حتى سمعت صوت غلق الباب في الطابق السفلي، ثم انهارت على الأرض تبكي وظهرها إلى الباب.

تفاجأت حين سمعت طرق الباب، وللحظة كان هناك بصيص أمل في أن يكون "آدم" قد غيَّر رأيه وأن "تيوماس" قد عاد، لكنها سمعت صوت جارتها تقول:

- هل أنتِ بخير؟

من الواضح أن صوت نحيبها قد خرج إلى الردهة، فقامت "سونيا" وفتحت الباب لترى جارتها في زيها المعتاد؛ رداء منزلي وشعرها ملفوف في البكر. فقالت معتذرةً:

- فقط سوء تفاهم مع والد "تيوماس".

تعاطفت معها الجارة، وقالت:

- شيء قاسٍ أن تكوني دون طفلكِ.

وأعطتها علبة لها غطاء شفاف، فأمكنها رؤية طبقات الخبز الثلجي، وقالت:

- مجرد شكر على كل مساعدات الكمبيوتر.

أخذت "سونيا" الصندوق بامتنان وأحست بالدموع تسيل على خديها، فكان ذلك الخبز الثلجي الذي ستود أن تأكله بسرور.

74

شعرت "أجلا" بأنفاسها تهرب منها حين فتحت "سونيا" لها الباب، بدت جميلة جدًا، وقد آلمها ذلك إلى حدٍ ما. كانت "سونيا" ترتدي ثوبًا أزرق، وكعبًا عاليًا، وشعرها مرفوع، وابتسامة عينيها كافية لإظهار ترحيبها بـ"أجلا". كانت تلك اللحظات الأولى التي تلتقي فيها أعينهما بعد فترة من لقائهما تحمل دائمًا عواطف شديدة، لدرجة أنها تخل بتوازن "أجلا"، فتأكدت أنها على وشك الانهيار.

صاحَبت الحيوية التي كانت في عينيّ "سونيا" في كل مرة نظرت إليها ذلك الشعور الفريد؛ معرفتها بأنهما متصلتان ببعضهما بعضًا بطريقة غير الجميع. كان اتصالًا لا يمكن وصفه بالكلمات، لم يكن في العالم مثل ذلك الشعور بالقدرة

على بث السعادة في شخص ما فقط عن طريق الوجود معه، أو الوقوف عند بابه ممسكًا صندوق عيد الميلاد في يد، ومجموعة من الزهور في اليد الأخرى.

على الرغم من كل هذا، عدَّت "أجلا" أن هذه الخطوة بعيدة جدًّا، فقضاء عشية عيد الميلاد معًا يعد تقريبًا إعلانًا عن ارتباطهما رسميًّا كزوجتين حقيقيتين، وقد تتشابك الأيدي في الشارع، ثم تصرخان في مسيرات حقوق الإنسان تحت راية قوس قزح.

لكن "سونيا" لم تتحمَّل أي جدال، وبررت لها أنه كان من الغباء أن تكون كل منهما بمفردها في ليلة عيد الميلاد. وطلبت أن تعد عشاء عيد الميلاد لهن، وهددت أخيرًا بدعوة أي شخص آخر إذا لم توافق "أجلا" على العرض بنفسها، ولذلك استسلمت.

امتلأ قلبها بالامتنان، وشعرت كأن هناك عشرة آلاف فراشة في بطنها كلما فكرت في بقية الليلة، بوجودها معها الآن، ويدها على الحرير الرقيق الذي يغطي ظهر "سونيا" أثناء تحريك صلصة النبيذ الأحمر لتضعها مع الإوزة.

بعد تناول العشاء وبضع كؤوس من النبيذ الأحمر، قدما الهدايا لبعضهما، ومع كل واحدة قبلة طويلة. اشترت "أجلا" لـ"سونيا" قلادة من الذهب الأبيض مرصعة بماسة واحدة. كانت تتمنى أن تُغرِق "سونيا" بالماس، لكنها تأكدت من أن ذلك سيخنقها، حيث سيأخذ الأمر منعطفًا آخر. كافحت "أجلا" للتأقلم مع الشعرة بين الهدية التي ستسعد بها "سونيا" حقًّا، وبين التي ستأخذها إلى مقارنة اقتصادية. أحضرت "سونيا" لها وشاحًا وزجاجة عطر، وعندما قبلتها مرة أخرى، همست أن هناك هدية أخرى، فقد احتوى الصندوق على بطاقة صغيرة عليها قلب.

قالت "سونيا":

-آسفة لأنني لا يمكنني إيجاد شيء أنيق، لكن هذا هو الشيء الوحيد الذي أريد أن أعطيه لكِ حقًّا.

فتحت "أجلا" البطاقة، وقرأت ما فيها: "أحبك".

جعلتها رؤية الكلمات المكتوبة ترتجف، كان تأثيرها مختلفًا تمامًا عن الهمس عبر التليفون أو أثناء الشغف. واستطاعت "أجلا" أن تشعر بالضيق يتزايد داخلها ويتحول بسرعة إلى غضب. قالت:

- كان العطر كافيًا جدًّا، وأتمنى أن تتوقفي عن الثرثرة عن كوني ثرية للغاية ومن الطبقة العليا.

سألتها "سونيا":

- ألا تعجبكِ؟ ألم تحبي ما كُتب؟

- أنا لا أرتاح مع هذا النوع من الأشياء.

ضربت "سونيا" خدها وسألتها:

- أي نوع من الأشياء؟

فوقفت "أجلا".

- هذه الحاجة إلى تعريف كل شيء، لمَ تحتاجين إلى تسمية كل شيء وتحليل كل جزء من الشعور الإنساني حتى أقصاه؟

- إذن أنتِ لا تحبينني أن أقول ذلك؟

- لا، أنا لا أحب ذلك!

وفجأة ارتفع صوتها إلى صياح، شعرت بالدم يتدفق في وجهها واجتاحها الخزي بقوة، لدرجة أنها بالكاد استطاعت التنفس. علمت أنها لن تقدر على رفع رأسها في العامة إذا عرف أي شخص بكل هذا الهراء الذي حدث بينها وبين "سونيا". ثم اجتاحها سيل من الغضب تركز على "سونيا". فإن لم تكن موجودة، لما كانت في هذا الوضع أبدًا ولن تشعر بمثل ما تشعر به الآن.

سألتها "سونيا" بصوت منخفض وعينين واسعتين تستجوبانها، بينما تجاهلتها "أجلا" وذهبت لارتداء معطفها:

- هل أنتِ ذاهبة؟

لكن تعبيرها الكئيب وضَّح أن سؤالها لم يحتج إلى رد.

عرفت "أجلا" أنها ستترك "سونيا" مستاءة، لكنها اضطرت الهروب، كان عليها الابتعاد عن تلك العينين الرقيقتين اللتين تؤذَيان بسهولة، والهروب من تلك المطالب السخيفة التي تطلبها "سونيا" منها، ومن هذا الحب الذي تسبب في اضطراب حياتها.

كان الشارع مهجورًا تمامًا، وقد تسربت الرياح الشرقية الحادة إلى ملابسها، كان الهواء رطبًا ودرجة الحرارة أوشكت على التجمد، لم يكن ينبغي لها أن توافق على الذهاب إلى "سونيا" في عيد الميلاد، فكانت تتوقع أن ينتهي الأمر إلى كارثة.

بحثت في حقيبتها عن مفاتيح السيارة، لكن لم تجدها، أدركت أنها لا بد أنها وضعتها على الخزانة بجانب الباب، أو على رخام المطبخ بدلًا من وضعها في حقيبتها، فأطلقت "أجلا" بعض اللعنات والشتائم، وهي تصدر صوتًا ككلب غاضب.

فعليها الآن أن تعود أدراجها بطول الشارع في هذه الرياح المتجمدة، والنظر مرة أخرى في عينيَّ "سونيا"، والبحث عن مفاتيح سيارتها، والاعتذار عن عودتها ثم التأسف لها عن غضبها، والمشي مجددًا على طول هذا الشارع البارد، وركوب السيارة والرجوع إلى شقتها الفارغة، حيث تعرف أنها ستبدأ على الفور في النحيب على "سونيا". وعلى الرغم من أنها غالبًا ما كانت تتركها، كان إدمانها لـ"سونيا" شديدًا جدًا، ودائمًا ما تفتقدها على الفور. ارتجفت "أجلا" من البرد وهي تطرق الباب، وفتحت لها "سونيا"، كانت لا تزال جميلة، ولكن بمكياج عينين ملطخ بالدموع، وحول عنقها قلادة "أجلا".

قالت "أجلا":

- حسنًا إذن، أحبكِ أن تقوليها، فقط لا تكتبيها.

75

همست "أجلا" في اليوم التالي:

- أخبريني بسرٍّ عن المثليات.

كان ذلك صباحًا، قرب منتصف النهار، وقد استيقظا بجانب بعضهما لفترة طويلة دون قول أي شيء.

- تقصدين أن تقولي عيد ميلاد مجيد.

- عيد ميلاد مجيد، والآن أخبريني بسرٍّ عن المثليات.

فقالت "سونيا" وهي تجلس نصف جلسة وتحرك ساقيها خارج السرير:

- لا، لن أقول لكِ أي أسرار أخرى، أنتِ لا تصدقينها.

ردت "أجلا" بينما تشدها لتنام مجددًا:

- أخبريني بشيء أصدقه إذن؛ شيء ممتع.

كررت "أجلا" وهي تفكر للحظة قبل أن تأتيها فكرة:

- شيء ممتع، أكل الأناناس يعزز شعورك بالنشوة، لأنه يجعل طعمه حُلوًا..

- حلوًا؟ كيف ذلك؟

- سيكون عضوكِ حلوًا ولذيذًا.

كان هذا كل ما احتاجته. وقفت "أجلا" تلتقط ملابسها من الأرض، وراقبتها "سونيا" بابتسامة على وجهها.

شعرت بالأسف من أجلها، لكنها لم تستطع مقاومة أن تضايقها حين تطلب "أجلا" ذلك بنفسها، وكان لديها مجموعة من القواعد الخاصة بها، التي حكمت ما يمكن قوله وما يجب استبعاده، ولكن يبدو أنها لا ترغب إلا في جعل "سونيا" تكسر تلك القواعد.

ثم صاحت لـ"أجلا" التي كانت في الحمام:

- هل أعد القهوة؟

لم يكن هناك رد، فكررت "سونيا":

- قلت هل تريدين بعض القهوة؟

ظهرت "أجلا" في المدخل وهزت رأسها قائلة:

- لا، عليَّ الذهاب.

قامت "سونيا" من على السرير، لكن ليس بسرعة كافية، فحين وصلت إلى الصالة كانت "أجلا" قد أغلقت الباب خلفها.

ذهبت "سونيا" إلى المطبخ، حيث ملأت ماكينة إعداد القهوة وشغلتها، وبينما كانت تعمل، وضعت كثيرًا من الزبد على شريحة من خبز جارتها. كانت قد ابتلعت للتو آخر قطعة، وهي تشرب قهوتها، عندما اتصلت "أجلا".

سمعت "أجلا" تهمس في التليفون:

- ما قلته عن الأناناس..

ثم صمتت طويلًا، قالت "سونيا" بانتظار ردة فعل:

- أجل؟

ربما كانت بحثت على الإنترنت ووجدت كل أنواع النظريات عن آثار الفاكهة على أعضاء الإناث، أو ربما أرادت أن تحدثها عن مثل هذه الأشياء في صباح عيد الميلاد، فقد كرهت أي شيء يمكن تفسيره بطريقة مبتذلة، إلا حين كانا يمارسان الحب، بالطبع، فوقتها وقعا في إعصار من الشهوة في الظلام. لم تقل "أجلا" شيئًا، لذلك كسرت "سونيا" الصمت:

- تقصدين بشأن الأناناس الذي يجعل طعمه حلوًا؟ هل هذا ما تقصدينه؟

كحت "أجلا" وقالت:

- أجل، هل هذا يشمل الأناناس المعلب أيضًا؟

76

أدار "براجي" محرك السيارة كل عشرين دقيقة وتركه يعمل لمدة خمس دقائق، وهو ما يكفي لتدفئة المحرك وتدفئته هو شخصيًا. فهو يجلس هنا منذ الصباح الباكر، بعد عودته من زيارة "ڤالديس" مباشرةً. بدأ ضوء النهار الخافت الذي اعتادت "ريكياڤيك" الاستمتاع به في هذا الوقت من العام في التلاشي، وقام بتحريك مكان السيارة عدة مرات حتى لا يكون ملحوظًا، مع الحرص على إطفاء أنوارها في كل مرة.

عرف أنها كانت مهمة يائسة، وأن هذه المراقبة كل فترة لن تمنحه أي دليل، لكنه كان بحاجة للقيام بشيء يشعره بأن له قيمة، فقد أُجبِر على أخذ إجازة

خلال عيد الميلاد، وكانت أصعب فترة تمر عليه، ففيها شعر بأقصى درجات الوحدة، لكنه فقط لم يتحمل البقاء في المنزل.

بدا المكان فارغًا لا حياة فيه، على الرغم من أن "ڤالديس" كانت الشيء الوحيد المفقود. أخرج شجرة عيد الميلاد البلاستيكية الصغيرة التي كانت توضع دائمًا في غرفة الطعام، وزينها بالأضواء والدمى، لكن على عكس توقعه، جعله ذلك أكثر ضيقًا، فلماذا يهتم عجوز وحيد في المنزل بشجرة عيد الميلاد؟ عيد الميلاد هو وقت الاحتفال مع الآخرين.

أمضى قدر المستطاع من الوقت مع "ڤالديس" في دار الرعاية، وشارك بما يمكنه القيام به في احتفالات عيد الميلاد هناك، إذا يمكن تسميتها بالاحتفالات. ولكن الآن أصبحت تنام "ڤالديس" لساعات خلال النهار، ولم يستطع تفسير سبب تفضيله الجلوس ومشاهدتها أثناء النوم على أن يكون "حرًا للاستمتاع بعيد الميلاد" كما قال أحد الموظفين.

وقد جلس هنا بدلًا من ذلك يراقب شقق مبنى متهالك على أمل أن تظهر "سونيا جانرسدوتير". لم يظهر شيء طوال الصباح، وكان واضحًا أن الأشخاص الذين يأتون لهذا المكان كانوا في طريقهم لتجمعات عيد الميلاد، كرجال يرتدون أحذية ملمعة، ونساء يرتدين الجوارب مع أطفال بملابس أنيقة. لم يرَ إلا شخصًا واحدًا فقط يغادر المبنى، امرأة طويلة في منتصف العمر عرف وجهها من الأخبار، لكنه تجاهل أنها قد تكون مهمة، فمن غير المحتمل أن يعيش المشتبه به الأساسي في الفضيحة المصرفية الكبرى التي تملأ الصحف، في هذا المبنى أو أن يكون ضيفًا لليلةٍ هناك، ولم يفكر حتى بأي احتمالات أن لها أي علاقة بـ"سونيا جانرسدوتير".

نظر "براجي" في ساعته، كانت قد اقتربت من الرابعة، فمد يده إلى قنينة القهوة، وشريحة المعجنات الدنماركية التي اشتراها، والتي ذكَّرته بالفطائر التي كانت

"ڤالديس" تخبزها دائمًا في عيد الميلاد. أخذ قطعة منها بسكين الجيب الخاصة به، وكان على وشك أن يصب لنفسه بعض القهوة حين ظهرت "سونيا" عند الباب، بمعطفٍ وبنطال چينز، وقبعة سوداء من الصوف، وعلى الرغم من أن هذه الملابس كانت مختلفة تمامًا عما كانت ترتديها في المطارات، تعرف عليها على الفور.

77

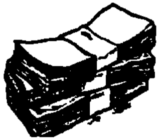

حدق "ثورجير" بها متجهمًا بعدم يقين، وقال:

- أنتِ كثيرة الكلام.

ومع ذلك، استدار للخزنة وراءه، وأخرج منها رزمًا من النقود وأعطاها إياها قائلًا:

- أعتقد أنكِ تستحقين هذه كمكافأة عيد الميلاد.

فردت "سونيا":

- بل إنها مكافأة نهاية الخدمة.

أبقت عينيها على وجه "ثورجير" وهو يحدق بها، وتعلم أنه يفكر فيما قالته للتو، وأضافت:

- أنا أستقيل، لا مزيد من الرحلات، لن أراك مرة أخرى، وكذلك "ريكهارثور" بالتأكيد، يمكننا جميعًا نسيان أنه كان لي أي علاقة بهذا العمل.

أسند "ثورجير" ظهره إلى كرسيه، وفمه مفتوح الآن.

- حقًا؟

- حقًّا.

- هل أنتِ متأكدة من ذلك؟

كررت "سونيا":

- متأكدة جدًا، هناك كيلو مخبأ في مكان ما في منزلك.

ضحك "ثورجير" وكأنها قد ألقت إليه نكتة:

- ما الذي تقولينه؟ إذا كنتِ تقصدين الحفل في تلك الليلة، فإن تلك الشحنة اختفت تمامًا. أتعتقدين حقًّا أنني غبي لدرجة أن أبقي تلك الأشياء بمنزلي؟

استمتعت "سونيا" برؤية نظرة العجرفة على وجهه تتحول إلى الشك ثم الخوف وهي تقول:

- أعني الكيلو الذي دسسته في منزلك، لقد وجدت مخبأ رائعًا، على الرغم من أنني أُبلغك هذا بنفسي، فيمكنك قضاء بعض الوقت في معرفة مكانه، إذا كان في نظام التهوية، أو خزانة الحوض، أو بالأعلى، أو في مكان ما في خزائن المطبخ، يمكنك أن تبذل أقصى ما عندك لإيجاده، لكن ستجدها مباحث المخدرات أسرع، وبخاصة إذا أخبرهم أحد أين هو.

- لن تجرؤ..

قاطعته "سونيا" بحدة:

- بل سأفعل، وهذا بالضبط ما سيحدث إذا اقتربت أنت أو "ريكهارثور" مني أو من ابني مرةً أخرى.

فأصبحت صورة النمر ذي الأنياب وزمجرة التهديد، والتي روّعت منامها طوال تلك الأسابيع، تمنحها الآن قوة خطيرة.

78

امتلك "براجي" كل الأدلة التي احتاجها لإظهار العلاقة التي تربط "سونيا" بـ"ريتش ريكي"، فلم يكن انتظار "ريكهارثور" بالمطار عند وصولها أيسلندا صدفة، كما رأى "براجي" في التسجيلات، لم يكن لديه شك في أنه كان هناك للتأكد من إتمامها الأمر، مما يعني أنها كانت تحضر شيئًا كبيرًا.

تبعها "براجي" من منزلها، وعندما اتجهت إلى "لاجمولي"، عرف إلى أين تذهب. لم يكن بحاجة إلى توسيع أفقه لتخمين أنها كانت تتجه إلى مكتب "ثورجير آلس"، حيث كان "ريكهارثور" أيضًا زائرًا منتظمًا هناك.

أوقف "براجي" سيارته خارج الصيدلية وشاهد "سونيا" تدخل المبنى المجاور، وتفحص الوقت، بالضبط بعد ربع ساعة، ظهرت مجددًا وانطلقت بسيارتها. أراد "براجي" أن يتبعها، لكن لم يكن هناك سبب لذلك، فقد عرف ما يربطها بـ"ريكهارثور"، سيكون من الأفضل الآن استخدام جهوده في العودة إلى المطار ومحاولة معرفة كيف تمكنت من جلب البضائع إلى البلاد من خلال التسجيلات، فأدار السيارة وقطع "لاجمولي" إلى وجهته شبه جزيرة "ريكيانس".

بعد ساعتين بالضبط، كان يجلس "براجي" في غرفة الكمبيوتر المظلمة، يراقب التسجيل الخامس لـ"سونيا جانرسدوتير" وهي تصل إلى أيسلندا، راقبها في كل حركة منذ نزولها من الطائرة حتى اختفت من صالة المغادرة، وبالتحديد تصرفاتها بجانب حزام الأمتعة.

لم يجد أي شيء قد يلفت الانتباه، وعلى الرغم من ذلك، رأى أنها تتصرف بالطريقة نفسها تمامًا في كل مرة، وهذا في حد ذاته كان سببًا للشك، فمعظم الناس تفعل العادات في كل مرة، لكنها كانت دائمًا متنوعة، فهي لا تقف أبدًا في المكان نفسه مرتين لاستلام الأمتعة، وأحيانًا تذهب إلى السوق الحرة وأحيانًا أخرى لا تفعل، وأحيانًا تبدو في عجلة من أمرها وفي أوقات أخرى لا.

أوقف "براجي" هذا التسجيل، وكان على وشك فتح السادس والأخير بعد أن وجده عندما فتح "هرافن" (كبير مسؤولي الجمارك) الباب ودخل. فشتم "براجي" في سره. عرف أنه كان محاصرًا هذه المرة؛ لم يكن هناك مخرج من المحادثة التي كان يتجنبها منذ أسابيع، لذا سأل "هرافن":

- ماذا تفعل هنا في يوم عيد الميلاد؟

أجابه "هرافن" وهو يجلس بجانبه:

- يمكنني أن أسألك الشيء نفسه.

تنهد "براجي" وصمت، وأكمل "هرافن" حديثه:

- التقاعد، ما رأيك يا "براجي"؟ ألم تبدأ بالتفكير في الأمر بعد؟

التفت له "براجي" وقال:

- ما أفهمه أن لديَّ كل الحق في العمل حتى أبلغ السبعين.

نظر إليه "هرافن" بضجر ثم قال:

- كفاك كلامًا عن الحقوق يا صديقي، هناك الكثير ممن يتشاجرون حول حقهم في التقاعد، بينما تتحدث أنت عن الحق في العمل حتى لا يمكنك ذلك!

قال "براجي":

- أنا أستمتع بعملي، وليس لديَّ أي فكرة عما سأفعله إذا اضطررت البقاء في المنزل طوال اليوم.

فأجابه "هرافن" بتنازل:

- صحيح، أعلم ظروفك، لا يوجد الكثير لتتطلع إليه و"ڤالديس" مريضة.
أومأ "براجي" قائلًا:
- إذن فإنني لست مستعدًا لمناقشة أمر التقاعد حتى أكون مجبرًا عليه حقًّا.
تنهد "هرافن":
- يبدو أنك على حق في ذلك يا "براجي"، فالموقف واضح، نحن في انتظار أغسطس، أليس كذلك؟
أكد "براجي" كلامه قائلًا:
- أجل، سأبلغ السبعين في الثاني من أغسطس.

79

شعرت "سونيا" باندفاع الأدرينالين حين ضربت اللكمة وجهها، لكن غضبها لم يتركز على مَن يهاجمها، بل على نفسها، فكان يجب عليها أن تتوقع شيئًا كهذا، وأن تعرف أن "ثورجير" سيُسلط "ريكهارثور" عليها، كيف لها أن تكون غبية لدرجة أنها لم تفكر حتى في ذلك؟ فقد صدقت أن التهديد بزيارة مباحث المخدرات سيكون كافيًا، وأنه ليس هناك ما تخشاه، لذا فتحت الباب حين طَرق دون توقعات أو شكوك. وحين أطاحت بها اللكمة على الأرض رأت بقعًا سوداء ترقص أمام عينيها، فذهلت من سرعة "ريكهارثور"، حيث أمسك بأحد كاحليها وسحبها إلى منتصف أرضية غرفة المعيشة وبدأ في ركلها.

صرخ فيها بين الضربات قائلًا:

- أين وضعتِ الكيس أيتها اللعينة؟

تكورت "سونيا" داخل نفسها تحاول حماية وجهها ورقبتها بيديها، وهي تفكر بأسرع ما يمكن. كان واضحًا أنهم ينوون إما إخراج المعلومات منها أو إسكاتها إلى الأبد.

فقالت:

- لدى محاميَّ رسالة مني، وسيذهب بها إلى الشرطة إذا مت أو أصبت.

ولكن يبدو أن كلماتها ليس لها تأثير على "ريكهارثور"، فاستمر في ركل جنبها وساقيها الآن بعد أن تكورت للأمام. ثم حاولت التحرك ناحية الأريكة، لتحمي جانبًا واحدًا على الأقل من جسدها، لكن "ريكهارثور" أمسك بجزء كبير من شعرها وسيطر عليها حتى أخمص قدميها. انتشر الألم وأطلق تشنجات بجسدها كله، ورفضت رئتاها منحها الهواء الذي تحتاجه للصراخ.

- أيتها العاهرة، أين خبأتها؟

عرفت "سونيا" أن الأمور إن بدت سيئة الآن فهذا ليس بشيء مقارنةً بما ينتظرها إذا تحدثت، فإخبار "ريكهارثور" بالحقيقة يعني ضياع أي آمال في الخروج من الفخ. كان عليها أن تقنعهما بأنها لا تزال تسيطر على "ثورجير"، وأنه تحت رحمتها، وبطريقة ما يمكنها أن تضاهي قبضته عليها. وهددها "ريكهارثور" وهو يشدد قبضة يديه على حلقها:

- يبحث "ثورجير" بجنون مع كل الناس هناك، فلا تظني أنكِ ستفلتين بهذا.

جاهدت "سونيا" للبقاء، لكنها سرعان ما أدركت أن ذلك سيجعل الأمور أسوأ، فإنه يشدد قبضته أكثر كلما قاومت، لذا حاولت البقاء ثابتة، تقاوم من أجل التنفس، بينما تقول لنفسها إن "ريكهارثور" يحاول تهديدها، وسيتوقف قبل أن يقتلها، لأنها لديها بعض القوة أخيرًا.

بدأ العالم يظلم حولها، وكانت على وشك أن تفقد وعيها، لكنها فكرت في "ثورجير" ومن معه وهم يبحثون بشكل جنوني، كانت صورة ممتعة بعض الشيء، وأمدتها ببعض القوة، فلن يستطيعوا العثور على أي كوكايين في منزل "ثورجير"، لأنها في الحقيقة لم تضع أي شيء هناك.

80

قال "إلڤار" للمرة العاشرة في ذلك الصباح:

- لا يملكون دليلًا ملموسًا.

- سيُخفَّف الحكم يا "إلڤار"؛ لا تقلق.

- إنها فقط أعصابك، أرجوكِ فكري في الأمر لبضعة أيام.

كانا يعيدان الأحاديث نفسها وهو يبذل قصارى جهده لإقناع "أجلا" في الرجوع عن قرارها، فكان غاضبًا في البداية، ثم حاول أن يجادلها، وانتهى الأمر بالتوسل.

فقالت:

- أريد أن ينتهي ذلك.

وأملت أن يعود موظفو النائب العام إلى الغرفة حتى ينتهي هذا الخلاف مع "إلڤار". رد "إلڤار" بصوت أجش:

- لكن هذا يمكنه مد القضية بأكملها إلى ما لا نهاية.

وقد وصف لها مرارًا كيف يمكن أن يتغير مسار القضية في اتجاه إذا ما اعترفت، وفي اتجاه آخر إذا التزمت الصمت. ابتسمت مرة أخرى معتذرة، وقالت:

- هكذا أريد أن يسير الأمر.

فجلس أخيرًا. بدا متعبًا؛ بشعره المبلل ووجهه الرمادي، ثم قال باستسلام:

- أيعقل أن يكون لديكِ عقدة ذنب يا "أجلا"؟ ألا تعتقدين أن الأمر يستحق الانتظار، ليوم أو يومين فقط؟ وربما التحدث إلى شخص ما؟

- التحدث؟ لمن؟

- لطبيب نفسي مثلًا.

ابتسمت "أجلا" مجددًا ووضعت يدها على يده وربتت عليها، وشعرت بالأسف تجاهه، فكل هذا لن يكون جيدًا لسمعته، على الرغم من أنها كانت في الحقيقة تنقذه من شيء أسوأ بكثير، فخوض هذا الطريق معناه أنها كانت على الأقل قادرة على توجيه مسار الأحداث والتحكم في الأضرار بعض الشيء.

تنهدت بارتياح حين دخلت "ماريا" الغرفة ومعها المحقق "جوين" أخيرًا. بدوَا منشرحين ومرتاحين، وبدأ "جوين" بترتيب الأوراق على الطاولة وهو يحمل كوبًا من القهوة بيده الأخرى، ثم قال:

- نحن في انتظار "أولافور"، فهو يريد مراقبة جميع تطورات القضية.

جلست "ماريا" على حافة الطاولة بجوار "أجلا" تؤرجح إحدى ساقيها ذهابًا وإيابًا، حتى ارتفعت تنورتها بضعة سنتيمترات وظهر جزء أكبر من ساقها. نظرت "أجلا" بعيدًا، وركزت على تثبيت عينيها على وجه "ماريا"، لكنها بدلًا من ذلك وجدت نفسها تنظر إلى صدرها مباشرةً، فكان ضيقًا وظاهرًا بشكل مريب من بلوزتها التي كانت أزرارها مفكوكة.

سألتها "ماريا" بابتسامتها الغامضة التي جعلت "أجلا" تريد صفعها:

- مستعدة لعقد صفقة أو اتفاق سريع؟

أجابت بذكاء، وهي تقف لتذهب إلى ماكينة إعداد القهوة:

- ليس قبل أن أتناول قهوتي.

81

كانت المرأة في المستشفى لطيفة وصادقة. شعرت "سونيا" بالامتنان لتعاطفها، وإن كان في غير محله. وقد خُيط الجرح في رأسها، وتم فحصها بالكامل بأشعة "إكس راي"، وحاليًا تجلس على حافة السرير بكيس ثلج في جنبها وضمادة فوق عينها، لكنها أرادت الذهاب للمنزل.

قالت المرأة:

- تتردد معظم النساء في إدانة المُعتدي، ويتصدون له وحدهم طوال الوقت، وهذا لا يحسِّن أي شيء، بل يزيد الأمور سوءًا.

فردت جارة "سونيا":

- لم يتطلب الأمر أكثر من فرادة عجين، وبضع كلمات حادة.

لم تتركها جارتها منذ أن وضعت كل قوتها في الضربة التي وجهتها لـ"ريكهارثور" على رأسه بفرادة العجين، ثم أخرجته من المبنى.

وأكملت:

- حدثيني عن الأمر.

لم ترد "سونيا" التفكير في الوقت الحالي، ولكن من المؤكد أن جارتها قد أنقذت حياتها. آخر شيء تذكرته هي يد "ريكهارثور" حول رقبتها، وقبضته تشتد، حتى أظلم كل شيء. ثم استيقظت هنا، في قسم الطوارئ بالمستشفى، الذي اعتقد كل من فيه؛ جارتها وموظفو الطوارئ، أن صديقها هو من ضربها، وقام أحدهم بالاتصال بالمسعفين.

وسألتها السيدة اللطيفة:

- متأكدة أنكِ لا ترغبين بقضاء ليلة هنا على الأقل؟

هزت "سونيا" رأسها بالرفض، فقد اشتاقت إلى سريرها، وأرادت أن ترقد تحت أغطيته حتى تسترد عافيتها بسلام، وهي تفكر في المستقبل وما تملكه من خيارات، فبعد أن تحررت من الفخ، صار لها مستقبل مرة أخرى. كانت خطتها حقًا إخفاء كيلو في منزل "ثورجير" والإبلاغ عنه، لكنها تعلم أن الأمر لن يقتصر على ذلك فقط، وسيكون عليها الاختفاء من البلاد لفترة حتى يستقر الوضع، وبخصوص ما فعلته، أدركت أن للأمر عواقب أخرى ومختلفة، فلم يتم حتى تهديدها، وكان ينبغي لها أن تتصرف بطريقة أفضل من فتح الباب دون التحقق ممن كان وراءه أولًا.

فسألتها المرأة من الطوارئ:

- ألديه نسخة من مفتاح شقتكِ؟

هزت "سونيا" رأسها بالرفض مجددًا، وقالت:

- لا، وكنت غبيةً بما يكفي لفتح الباب.

أومأت جارتها. وكانت "سونيا" بالكاد تسمع عبارة "حدثيني عن الأمر" إذا تكرر.

وأكملت المرأة بتعبير جاد على وجهها:

- سيعود، وسيخبركِ كم يحبكِ، لكن العنف ليس حبًا.

كادت "سونيا" أن تبتسم لو لم يكن وجهها مصابًا للغاية، فإن ما كان هو أكيد أن "ريكهارثور" لن يأتي لها يومًا بمقصدٍ ودي.

جاء الطبيب الشاب إلى غرفة العلاج، وقال لها:

- عليكِ التغذية بالسوائل في الأيام القليلة المقبلة بسبب كسر الفك السفلي.

وأشار إلى ذقنها، ففهمت "سونيا" أنه يشير إلى كسر في الفك.

وأضاف وهو يعطيها العلاج لتحديد موعد آخر:

- لا يوجد شيء يمكننا القيام به حيال الأنف المكسور، وقد كتبت له بعض المسكنات.

قادت جارتها السيارة إلى المنزل، وكانت "سونيا" تصرخ من الألم عندما خرجت من السيارة، وتجر نفسها على السلم، ثم كافحت "سونيا" لوضع مفتاحها في قفل الباب، فبوجود عينها تحت الضمادة، كان من الصعب عليها وضع المفتاح في الباب، فأخذت جارتها المفتاح منها، وفتحت الباب وتبعتها إلى غرفة النوم، وقالت:

- جيد أن الصغير لم يكن هنا.

وهي تأخذ غطاء السرير لنفضه.

أدركت "سونيا" أنها اعتقدت أن "ريكهارثور" هو والد "تيوماس"، وإذا لم تكن متعبة للغاية، ربما صححت هذا الاعتقاد الخاطئ، أو ربما لا، وقررت أن سوء الفهم ليس أمرًا سيئًا دائمًا، حين فكرت أنه سيكون من الصعب أن تشرح لها أن الضرب كان حول تهريب الكوكايين وليس لمشكلة بين زوجين. زحفت "سونيا" إلى السرير ورقدت على جانبها الأقل إصابةً بينما وضعت جارتها الغطاء عليها. أرادت "سونيا" أن تسألها عن اسمها، ولكن بدا من الفظاظة أن تسأل في تلك اللحظة، فقد كان شيئًا يجب أن تعرفه، لكنها لم تنتبه من قبل، فقررت أن تتحقق من الاسم على صندوق البريد عندما تسنح لها الفرصة في المرة القادمة.

وقالت الجارة بصوت صارم، فلم تكن هناك فرصة لمجادلتها:

- سأحتفظ بمفتاحكِ وأُطل عليكِ الليلة، كما قال الطبيب.

وأضافت وهي تغلق باب غرفة النوم:

- إذا احتجتني، فقط ناديني بصوت عالٍ بما يكفي وسأسمعكِ.

وغطت "سونيا" في سبات، مدركةً أن أحلامها ستكون مليئة بالهروب من مخالبِ ضخمة، وأسنان وحشية ملطخة بالدماء.

82

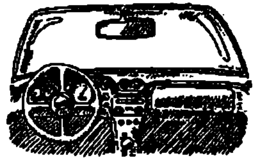

أصدرت "سونيا" صوتًا من بوق سيارتها خارج البيت الأبيض في "فيستورجاتا" بـ"أكرانيس" وانتظرت "تيوماس" ليأتيها مسرعًا. رأت أن السياج المنخفض الذي وضعوه عندما كان "تيوماس" صغيرًا قد اختفى، تمامًا كالأحواض التي كانت تزرعها بأزهار الصيف كل ربيع، وقد امتلأت الحديقة القريبة من الشارع بحصى باهت، ولم يبقَ إلا شجيرة واحدة حزينة ذات فروع متدلية ترتجف في الريح. كان منزل أحلامهما، وهو مبنى واسع بنوافذ عريضة تطل على حديقة خلفية، حيث كانت تشاهد "تيوماس" وهو يلعب بكرته. كانت مغرمة بهذا المنزل.

عاش "تيوماس" فيه منذ أن كان عمره ثلاثة أيام، وعلى الرغم من أنها كانت تتوق إلى أن يكون معها، اطمأنت لمعرفة أنه ما زال هنا، حتى وإن لم يكن المنزل

نفسه الذي عاشت فيه، فحسب كلام "تيوماس"، قام "آدم" برمي كل شيء واستبدل به مفروشات جديدة.

ضغطت "سونيا" على بوق السيارة مرة أخرى، وتفحصت وجهها في المرآة. شعرت بتحسن بعد نومها ليومين، وتناولها حساء الدجاج من يد جارتها التي أعدته بكرم، والتي لم تمل من إخبارها كيف ضربت "ريكهارثور" على رأسه بفرادة العجين واستدعت سيارة إسعاف، لكن لم يتحسن مظهرها، وقد هدأ التورم تاركًا فقط دائرة سوداء تحت عينيها، وكدمة؛ تحول لونها إلى ألوان علبة مكياج كاملةٍ لا يمكن إخفاؤها.

تفاجأت بنقرٍ على النافذة، فأنزلتها. كان "آدم".

تساءلت وهي مستعدة لخيبة أمل:

- أهناك مشكلة؟ ألن يأتي "تيوماس"؟

وانحنى "آدم" لتفقد وجهها، وقال:

- بلى، إنه قادم، فقط أردت أن أراكِ.

اعتقدت "سونيا" أنه كانت هناك ابتسامة على وجهه وهو يغادر، لكنها لم تكن متأكدة، لماذا بحق الجحيم قد يخرج لرؤيتها؟ إنه عادة ما يبذل قصارى جهده لتجنب مقابلتها. هل رأى من نافذة المنزل ما بدا عليه وجهها؟ لماذا إذن لم يسأل ماذا حدث لها؟

قطعت أفكارها صيحة سعيدة من "تيوماس" بمجرد دخوله السيارة، لكن تحولت صيحة السعادة تلك لصرخة رعبٍ بمجرد أن رآها، فأمسكت بوجهه بين يديها وقالت:

- لا بأس، لقد سقطت من على السلم يا "تيوماس"، لكنني بخير. أعلم أنه يبدو سيئًا لكنه لن يستمر طويلًا، كل شيء على ما يرام.

83

تصرفت "أجلا" بغرابة طوال المساء، لكنها كانت جيدة مع "تيوماس"، فلم تعلق بشيء ما بخصوص عدم معرفتها مسبقًا بوجوده. مزحت معه وتحدثا عن كرة القدم، ولعبا الورق معًا بينما كانت "سونيا" تستحم، لكن موقفها تجاه "سونيا" كان غريبًا، فبعد أن نام "تيوماس"، شعرت "سونيا" بالقلق أن تعود إلى غرفة المعيشة، لا يمكن أن يكون "تيوماس" ضايق "أجلا"، فقد قالت لـ"أجلا" التفسير نفسه الذي قالته لـ"تيوماس" عندما كانت هنا بالأمس؛ أنها سقطت على السلم، وبدت وكأنها تصدق ذلك، لكنها هذا المساء كانت غريبة؛ باردة وبعيدة، فوجهها يبدو غير طبيعي، قالت "سونيا" عندما عادت إلى غرفة المعيشة:

- آسفة لأن العشاء كان حساء فقط، أعلم أنكِ تفضلين اللحم، لكني ما زلت لا أستطيع مضغ أي شيء.

ردت "أجلا" وهي ترتشف كأس النبيذ:

- كان العشاء جيدًا.

تساءلت "سونيا": "كم كأسًا قد شربتْ حين كنت أضع "تيوماس" في الفراش؟".

سألتْ "سونيا" "أجلا" وهي تجلس بجانبها على الأريكة:

- ما الأمر؟ أأبدو قبيحة؟ ألا يعجبكِ مظهري الجديد؟ ألا تعتقدين أنه من الأناقة أن يمتلك الشخص عينًا زرقاء؟

ظهر على وجه "أجلا" ظل ابتسامة، كانت "سونيا" لِتُقبّل بسرور تلك الابتسامة الباهتة إن لم تكن شفتاها مصابتين للغاية، ولكن بعد لحظة اختفت

هذه البسمة من وجه "أجلا" ومرت اللحظة، وتحركت "أجلا" قليلًا، تاركةً مسافة بينهما. قالت "أجلا" متلعثمة، وهي تبحث عن الكلمات المناسبة:

- ربما لا تكون فكرة رائعة أن نقحم الفتى في هذا.. أعني في علاقتنا.

كان ذلك هو الأمر إذن، "تيوماس" هو السبب وراء فتور "أجلا" طوال المساء. فمالت "سونيا" نحوها وربتت على ذراعها بحنان:

- لِمَ لا يا "أجلا"؟ رأيتِ كم كان سعيدًا، إنه لطيف للغاية، وكان مسرورًا جدًّا لوجود شخص جديد يلعب معه.

- ليس الصبي هو المشكلة يا "سونيا"، من فضلكِ تفهمي هذا.

- إذا واصلنا رؤية بعضنا بعضًا يا "أجلا"، فإن عاجلًا أم آجلًا سيكون "تيوماس" جزءًا من حياتنا، وأنتِ تعرفين أنني أخطط إلى أخذه بشكل دائم.

قالت "أجلا" وهي تميل إلى كأسها:

- لقد كنت سعيدةً بالأشياء كما كانت.

ثم أخذت جرعة من النبيذ، وأكملت:

- لست متأكدةً من أن الوقت المناسب لتطوير هذه العلاقة إلى مستوى آخر.

شعرت "سونيا" بغضب ينبع من داخلها، كما لو كان يخرج من بئر عميقة في بطنها، ويرتفع تدريجيًّا إلى رأسها. ثم قالت:

- مستوى آخر؟ أتعنين أننا سنأخذ جزءًا أكبر في حياة بعضنا؟ هذا ما يحدث عندما ينام الناس معًا لبعض الوقت. هكذا تتطور العلاقات.

ردت "أجلا":

- أنتِ تتحدثين دائمًا عن الحب، وأنا لست مستعدة لهذا النوع من الالتزام.

- لا أفهم! إنك موصومة كمختلسة في كل الصحف، ولكنكِ تخجلين من الوقوع في الحب؟

وضعت "أجلا" كوبها على الطاولة وقالت:

- لا أظن أن الأمر سيجعل العناوين أفضل، أتريدين أن تكوني بجانبي على الصفحات الأولى؟

بدا أن الغضب الذي كان منذ لحظة على وشك الانفجار في رأس "سونيا" يتحول الآن إلى رياح باردة، عصفت داخل عقلها، وفجأة أصبح كل شيء أكثر وضوحًا مما كان عليه لفترة طويلة. وقالت وهي تقف:

- من الأفضل أن تذهبي الآن يا "أجلا"، تذهبي ولا تعودي؛ لم أعد أستطيع القيام بهذا.

وقفت "أجلا" وذهبت "سونيا" معها إلى الباب دون التفوه بكلمة، وبمجرد أن أغلقته خلفها، اتكأت عليه وانتظرت أن تنفجر بالبكاء، وأن يملأها الحزن، ولكن بدلًا من ذلك، ملأها شيء آخر، استغرقها الأمر بعض الوقت لتحديد ماهية تلك العاطفة؛ كانت الحرية، الحرية المؤلمة.

84

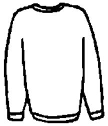

لم يكن هذا النوع من الحرية غريبًا على "سونيا"، فقد كان الأمر نفسه عندما أخبرت "آدم" بانتهاء علاقتهما، ووقتها كان مستعدًا لـ"إصلاح الأمور" ومعاملة أمر خيانتها مع "أجلا" على أنه خطأ من نوع ما، لكن عندما أخبرته "سونيا" أنها كانت تحب "أجلا"، وأنها كانت أكثر ميلًا للنساء، أُصيب بالجنون، ولم تستطع "سونيا" لومه على ذلك.

صرخ في وجهها، وهو شيء لم يفعله من قبل، وبينما كان يمر بغرفة المعيشة راميًا كل شيء على الجدران، أدركت "سونيا" أن هذا ما كانت تخشاه

دائمًا، لطالما كان هناك تلميح لطبيعة "آدم" العنيفة وراء مظهره الخارجي. وكانت هناك أوقات جز فيها على أسنانه بغضب وضغط قبضتيه، حيث تراجعت "سونيا" دائمًا سواء كان النقاش حول خروجها للعمل بدوام جزئي، أو قدوم "نادي الموضة" إلى منزلهم.

بعد فترة وجيزة من ولادة "تيوماس"، توقفت عن الجدال معه لأنها كرهت أن يرى الطفل كل مشاعر الغضب هذه، كانت تعتقد أن هذا العنف الساكن سيخرج إلى السطح يومًا ما، فبدأت في معاملته بنفاق حين كان هناك أمر يحتاج للتفاهم أو حين طلبت إذنه لشيء ما. ولكن في اليوم الذي انفجر فيه غضبه أخيرًا، كان عندما أخبرته أن الأمر قد انتهى. في النهاية أدركت "سونيا" أن غضبه الداخلي لم يكن خطيرًا جدًّا، يمكنه الآن تحطيم الأشياء بقدر ما يريد، والصراخ حتى تتألم رئتاه، فلم يعد يشكل تهديدًا عليها، كانت حرة.

85

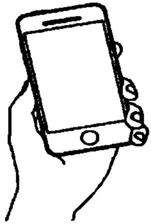

قالت "سونيا" عندما اتصلت "ليبي" مرة أخرى لإقناعها أن جميع الفتيات بـ"نادي الموضة" يأملون أن تأتي إلى "أكوريري" لقضاء ليلة الأسبوع الأول من شهر يناير:

- نعم، بكل سرور.

فقالت "ليبي"، مقسمةً المقطعين إلى ثلاثة:

- را-يِ-ئِ-غُ، إن الجو مظلم وبارد للغاية هذا الشهر، وبمجرد انتهاء ضجة عيد الميلاد، يجب أن يكون لديكِ شيء تنتظرينه حتى لا تموتين من الاكتئاب. واو.. ستكون الفتيات مسرورات جدًّا لمعرفة أمر قدومك.

قالت "سونيا":

- سأكون هناك حالما أستطيع.

لم تجد سببًا يمنعها من قضاء عطلة نهاية الأسبوع في الشمال، بعد أن أصبحت حرة ولا تفكر بشأن المال.

قالت "ليبي":

- تعلمين؟ لقد أمضيت نصف اليوم مع والدتكِ بالأمس بينما كانت تصنع الفطائر.

كما لو كان هذا شيئًا ستسعد بسماعه. وأكملت:

- عندما التقيت بها ذلك اليوم في "جليرارتورج"، عرضت أن أمر عليها يومًا لأكل الفطائر، وقد اتصلت بي لآتي على الفور، وكأنني أحد المشاهير. وجدت الحلوى، والدوناتس وباقي هذه الأصناف، تمامًا كما تفعل والدتك.

ردت "سونيا" وقد تجهم وجهها:

- حقًّا؟

بدا الأمر كمحاصرة والدتها لـ"ليبي" بمشاعر الود، والأشياء اللطيفة. استطاعت تخيل ما تحدثا عنه.

وقالت "ليبي" بمرح:

- وقد تحدثنا عنكِ.

انتظرتها "سونيا" أن تكمل، فبدا أن لديها المزيد لتقوله:

- يبدو أنها حزينة للغاية لانفصالكِ عن "آدم".

تنهدت "سونيا" وأجابتها:

- حسنًا ، لطالما شعرتُ أنها كانت تحبه أكثر مني.

فضحكت "ليبي" وأجابتها:

- بناءً على ما تقوله عنه، ربما يكون هذا صحيحًا.

ثم صمتت للحظات وانتظرت "سونيا" أيضًا لحظات طويلة هذه المرة، ثم سألتها:

- هل هو.. هل صحيح ما تقوله أمكِ عن أنكِ شاذةٌ؟

كان تساؤلًا مصحوبًا بشكٍّ وتردد. فكرت "سونيا" في رد له بينما أكملت "ليبي":

- أنا فقط أسأل لأنني لم أكن متأكدة إذا كانت تعني ذلك حقًّا أم أنها قصدت أن تقول شيئًا سيئًا عنكِ.

ردت "سونيا":

- شيئًا سيئًا؟

ثم تفاجأت "ليبي" مجددًا وقالت بتلعثم:

- لا! أعني.. ليس لديَّ أي شيء سلبي ضد هذا النوع من الناس، على الإطلاق. لست متحاملة أبدًا. الأمر فقط، حسنًا، أنا فقط.. لست متحاملة على الإطلاق.

قالت "سونيا":

- حسنًا، هذا جيد.

- أجل، صهري هكذا، ونتعامل معه بشكل طبيعي، وهو يعيش مع رجل لطيف حقًّا، يحبه الأطفال، وينادونه "عمي" وكل شيء، ويسعدنا حقًّا أن الأطفال ينشؤون على هذا كأمر طبيعي وكل شيء.

قالت "سونيا":

- يبدو ذلك جيدًا بالنسبة إليَّ.

ولم تجد ما تضيفه.

سألت "ليبي":

- فالأمر صحيح إذن؟

- أجل.

- و.. آآ.. تعيشين مع.. امرأة؟

فقالت "سونيا":

- لا، لم ينجح الأمر.

أجابت "ليبي":

- أوه.

قالت "سونيا":

- لا بأس، إنها طبيعة الحياة.

أصبح بإمكان "ليبي" في المرة التالية التي يثرثرون فيها وهم يأكلون الفطائر، أن تخبر والدتها آخر الأخبار؛ بأن ما وصفته والدتها بأنها "علاقة غير طبيعية" قد انتهت.

86

كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل عندما غادرت "أجلا" بار "سليب واي" وتوجهت إلى وسط المدينة. لم تخطط لأي شيء، لكنها كانت وحيدة جدًا للبقاء في المنزل عشية رأس السنة. كان قد نفد الخمر تقريبًا، بقايا زجاجة "كامباري" وست عبوات من البيرة لن تكون كافية لإبقائها حتى منتصف الليل. وجدت طاولة خاوية في بار فندق، فجلست تثمل حتى المساء. أثناء هذا، أحضر لها النادل وجبة عيد الميلاد. أخبرته أن يختار لها من القائمة المتنوعة، من بين لحم الدجاج، ولحم الضأن المدخن.

في الحادية عشرة تقريبًا، بدأت تفرغ غرفة الطعام، وذهب السياح الأجانب إلى حافلاتهم السياحية. فكرت لوهلة في ركوب حافلة منهم والتظاهر بأنها سائحة أتت لرؤية الأضواء الشمالية، ومشاهدة الهوس الآيسلندي بالألعاب النارية، لكن الفكرة قد تلاشت بالسرعة التي أتت بها في رأسها، وبدلًا من ذلك ذهبت إلى البار وطلبت إضافة زجاجة شمبانيا إلى فاتورتها.

وحين خرجت إلى الشارع، حشرت الزجاجة في جيب معطفها وارتدت قفازاتها الجلدية. كانت ليلة باردة وسماؤها صافية. بدا وسط المدينة هادئًا بشكل غريب، وكان لا يزال معظم الآيسلنديين في المنزل يشاهدون العرض الكوميدي السنوي في التليفزيون، بينما كان السياح في طريقهم إلى سفوح تلال "أوسكيوهليث" المشجرة للاستعداد لمنظر الليل في المدينة. وبينما كانت تمشي بجانب نوافذ المحلات المظلمة في منطقة "فوسين"، خُيل إليها أنها ميتة، وتتجول في منطقة تسكنها وحدها فقط، وأن تلك الشوارع الفارغة كانت في الحقيقة مكتظة بالناس الذين لا يمكنهم سماعها، أو رؤيتها، أو لمسها إلى الأبد. انزلقت قدمها على الرصيف الجليدي بمجرد أن انفجر صاروخ أضاء السماء بالشهب الفضية اللامعة على أحد الأسطح البعيدة بمنطقة "روك فيلدج"، فمدت يدها تستند على الحائط. اطمأنت لمعرفة أن هناك أشخاصًا على قيد الحياة في مكانٍ ما، مع أن ذلك زاد من وحدتها، فمَن أطلق الألعاب النارية كان بلا شك يقف في حديقة خلف أحد البيوت الخشبية الصغيرة مُرحِّبًا بالعام الجديد، على أملٍ أن يكون أفضل من الذي مضى.

ولما وصلت ميدان "أويستوورڤويتلوور"، فتحت "أجلا" زجاجة الشمبانيا، وأوقعت بعضًا منها على قاعدة تمثال "جوين سيجورتسن"؛ بطل الحركة الاستقلالية بأيسلندا، ثم شربت جرعة كبيرة. كان الميدان مهجورًا، وجعله

التمثال الأسود المجوَّف الخاص بمبنى البرلمان يبدو وكأنه سجن أكثر من كونه رمزًا للديمقراطية، وقالت لنفسها إن هذا البلد اللعين أصبح سجنًا كبيرًا الآن.

سارت على طول البحيرة باتجاه منتزه "هليومسكولاجارثور" الذي سيكون في أي وقت من العام موطنًا للفرق الموسيقية وللزهور النابضة بالحياة. وما إن وصلت حدائقه، كان قد امتلأ الهواء برائحة الألعاب النارية، وبصوت انفجاراتها والعديد من ألوانها التي ظهرت في انعكاس مياه البحيرة. كانت الدرجات المؤدية بالأسفل إلى الحدائق مليئة بالجليد، لذا جلست "أجلا" على مقعد، وخلعت حذاءها وجواربها، وارتدت الحذاء مرة أخرى لكن بجواربها فوقه. كانت طريقة جيدة للتعامل مع الجليد الخائن تحت أقدامها، مع أن هذا سيؤدي إلى تمزيق الجوارب.

شربت المزيد مِن زجاجة الشامبانيا، ثم وقفت وأكملت السير إلى المتنزه المظلم، حيث ستتمكن من رؤية ألعاب رأس السنة وهي في طريقها إلى منزلها. وعند نقطة بمفترق طرق، شعرت بغثيان مفاجئ، فمالت إلى الأمام للقيء، وبمجرد أن استقرت معدتها، بصقت، ثم غسلت فمها بجرعة من الشمبانيا. كانت تشعر بالدوار فاستندت على قطعة معدن رمادي لصندوق كهرباء قريب، وشربت بعض الشمبانيا مجددًا.

سمعت دق الأجراس بينما شربت آخر قطرة من الشمبانيا. لم تستطع تحديد مكانها بالضبط، فبدا الأمر وكأن أصوات أجراس الكاتدرائية وأجراس جميع الكنائس في الجهة المقابلة من البحيرة قد امتزجت، مكونة صدى نغمة واحدة في مياه راكدة، تتنافس مع رعد الألعاب النارية فوقها.

قررت إغلاق عينيها للحظة لأنها غير قادرة على إبقائها مفتوحة، لكن وهي تفعل ذلك، شعرت بساقها تنزلق إلى أسفل الصندوق الكهربائي حتى استلقت

على الأرض. كان من المريح الاسترخاء أثناء انفجار الألعاب النارية فوقها، ولم تشعر بالبرد، وكانت هناك لحظة سلام عميقة في قلبها.

تفاجأت بيد دافئة توضَع على خدها، كانت امرأة ترتدي ملابس جميلة تنظر إليها وتخبرها أن تستيقظ. هزت "أجلا" رأسها، ودفعت المرأة بعيدًا. كانت مرهقة، آلمتها عيناها كما لو كان هناك رمال تحت جفنيها.

قالت المرأة:

- لا يمكنكِ النوم هنا. قد تموتي. إنها ليلة باردة.

لوَّحت "أجلا" بيدها للمرأة لتتركها، لكنها شعرت بيدٍ تُمسك بذراعها تساعدها لتنهض. وحين فتحت عينيها، رأت أن السيدة ليست بمفردها. بل محاطة بحشد من الناس. بدوا أنهم في طريقهم لحفلٍ تنكري. فكلٌ منهم يرتدي ملابس مطرزة بالذهب وبرَّاقة للغاية، لدرجة أن بريقها أذى عينيها. حاولت جاهدة أن تبتعد عنه وقررت الاستسلام. لكنها بالكاد أغلقت عينيها حين هزَّها أحدهم لتستيقظ. نظرت بنصف عين لترى "ماريا" والمفتش "جوين" يقفان أمامها. تأكدت أنها سمعتهما يهددان بإيذائها إن لم تقف.

انطلق عبر البحيرة صاروخ ألعاب نارية، أنار كل ما حولها. وبمجرد أن انطفأ، اختفى "جوين" و"ماريا" مع الوهج وظهرت "سونيا" أمامها؛ تطلب منها بلطف أن تذهب معها. كانت ترتدي ثوبًا أزرق بحزام ذهبي، وتاج فوق رأسها. أرادت "أجلا" بشدة أن تسألها لماذا تبدو متألقة، لكن بطريقة ما، رفضت الكلمات أن تخرج من بين شفتيها وبدلًا من ذلك، تمتمت بشيء غير مفهوم.

سأل رجل ما من وراء "سونيا":

- ألا يجب أن نطلب لها سيارة أجرة؟

أدركت بعدها أنها لم تكن "سونيا"، بل امرأة ما كانت واثقة أنها تعرفها، لكنها لم تستطع التذكر.

سألتها المرأة:

- أين تسكنين؟ يجب أن تذهبي إلى المنزل؛ ستتجمدين هنا حتى الموت.

- دعونا نتركها، فقط اتصلوا بالشرطة ويمكنهم القدوم لأخذها.

قال شخص آخر للبقية:

- هيا بنا.

شعرت "أجلا" بالغثيان مجددًا. فسندت على أطرافها الأربعة لتتقيأ.

وعندما نظرت إلى الأعلى، كان قد ذهب الجميع وعادت الحديقة مظلمة وصامتة. فقالت لنفسها: "جن، فقط بعض الجن اللعين".

حاولت بعدها الوقوف على قدميها وتمشت بحذر على الجليد ناحية الجامعة.

لم تتذكر شيئًا أكثر من ذلك حتى وصولها المنزل ومحاولتها لخلع حذائها. ثم ذهبت إلى المطبخ لإحضار مقص لتقطع ما تبقى من جواربها. أثناء ذلك، لاحظت مقصوصة ورقية ملقاة على عتبة باب شقتها؛ فالتقطتها. ثم حاولت أن تقرأ ما كتبه "يوهان" بخط يده:

"هاكونا ماتاتا! من مصدر موثوق، سيتم رفض قضية التعويضات. سنة سعيدة".

87

كانت واحدة من أجمل حفلات رأس السنة التي يمكن لـ"سونيا" أن تتذكرها، اشتد فيها الهواء، وسرعان ما امتلأ هذا الهواء بالدخان وبباروود الألعاب النارية، الذي عادة ما تجرفه نسمة من الرياح، الريح الشرقية نفسها التي أتت بالرماد البركاني الذي لوث المدينة أكثر بكثير مما فعلته الألعاب، لكنها كانت بلا رائحة هذه الليلة.

ارتدت هي و"تيوماس" ملابس دافئة وخرجا إلى الشارع في المساء، مبكرًا بما يكفي لرؤية الأشخاص وهم يخرجون من منازلهم بمجرد انتهاء العرض الساخر لأحداث العام في التليفزيون. لم يبتعد بعض الناس عن أعتاب منازلهم، فظلوا واقفين في المداخل أو على شرفات بالشماريخ التي تومض باللون الأزرق أو الأخضر، بينما استعد بعض الأشخاص الآخرين بطريقة أفضل، حيث نظموا أنفسهم في أماكن لإطلاق الصواريخ في مواقف السيارات أمام عماراتهم، أو على الأرصفة خارج المنازل. أما مَن كان سيستخدم الألعاب النارية ثقيلة الحجم، وقفوا على الجانب الآخر من الطريق، انضمت لهم "سونيا" و"تيوماس" يستعدان لإشعال تلك الألعاب. تساءلت "سونيا" إذا كانت قد اشترت هذه الألعاب كنوع من المنافسة مع "آدم"، فكان من المقرر أن يعود "تيوماس" إلى المنزل ظهر اليوم التالي، ومع هذا وعدته بحضور عرض آخر للألعاب في الليلة التالية. لم يفرق لها شيء، ولم تضع في حسبانها إلا ولع الفتى الصغير بالألعاب النارية، وصياحه وفرحة عينيه وهو يطلق صاروخًا آخر نحو السماء. أصدر الصاروخ صوت طيران ثم انفجر إلى مجموعة من الألوان التي ارتفعت فوق سطح المبنى.

أخذ الجيران أدوارهم، وأطلقوا وابل صواريخهم واحدًا تلو الآخر، فامتلأت السماء بأضواء من كل لون، وتكونت سلسلة من الأشكال المتغيرة باستمرار، كالزهور والقلوب والأشجار في شكل شلالات متلألئة.

وأخيرًا سُمِع وسط الضوضاء صوت أجراس الكنيسة، ودوى "نشيد الوداع" الإسكتلندي العالمي عبر النوافذ والمداخل. فمالت "سونيا" تجاه "تيوماس" واحتضنته وهي تهمس له في أذنه:

- كل عام وأنت بخير يا عزيزي، دعنا نأمل أن يكون العام القادم أفضل بالنسبة لنا.

88

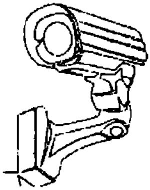

تمشى "براجي" في صالة السفر، كان لا يزال يشعر بالتخمة بعد وليمة العشاء المشوية لرأس السنة التي أعدها لنفسه ليلة أمس.

وقد رآها على كاميرات المراقبة؛ "سونيا جانرسدوتير". أراد الآن إكمال اليوم معها، وعلى الرغم من أنها كانت تغادر البلاد، فكر أنه من الجيد تذكير الناس أنه موجود، لإضافة القليل من الضغط، ومنحهم سببًا للقلق. أرادها أن تعلم أنها مراقَبة، وأن عاجلًا أم آجلًا ستقع قدمها. قال "براجي" وهو يقترب من مكان جلوسها:

- مرحبًا يا "سونيا".

التفتت وأخذت لحظة للتعرف عليه، حدقت أولًا في زيه، كان الأمر كأن عينيها قد التصقت به، وفي اللحظة نفسها، رأى ملامح وجهها؛ عين سوداء تقع في نصف الخد، وغرز مخيطة في حاجبها وشفتها، وكدمة داكنة حول أنفها، وكانت ترتدي سترة برقبة طويلة، فخمن أن هناك بعض العلامات على رقبتها أيضًا. كانت الأفكار تعصف في عقله، لكنه تمكن من الحفاظ على هدوئه من الخارج، وسألها:

- ذاهبة إلى الخارج؟

فأجابت:

- نعم، إجازة شتاء متأخرة في فلوريدا للاستمتاع ببعض أشعة الشمس والاسترخاء.

فقال "براجي":

- أتمنى لكِ رحلة سعيدة.

وكأنه قد توقف فقط لحظة لإلقاء التحية، وعلى الرغم من ذلك، تمزقت مشاعره إلى نصفين داخله، فمن ناحية عرف أنها مهربة ذكية، ومن ناحية أخرى شعر بالأسف حيال هذه المرأة الصغيرة التي لا تقوى على حماية نفسها، فهي تجلس بكدمات في وجهها، لكن مظهرها المحطم هذا لم يفعل شيئًا سوى تعميق شكوكه، فمن المحتمل أن تكون ضايقت إحدى الإخوة المهربين؛ مثل "ريتش ريكي".

89

تنهدت "سونيا" بارتياح بينما ارتفعت الطائرة عن الأرض، وغمرتها الطمأنينة التي لم تشعر بها منذ فترة طويلة، فلمدة عشرة أيام، لن يتمكن أحد من الوصول إليها، ولم يكن هناك ما يقلقها، كان ذلك هو ما تمنته. والآن لديها رحلة لطيفة في السماء يمكنها خلالها أن تغط في نوم عميق، فقد تحررت من الفخ.

لن يجرؤ "ثورجير" على إرسالها لجلب المزيد من الشحنات والمخاطرة بزيارة مباحث المخدرات له، لأنها أصبحت حرة، ومع ذلك ستضطر بالتأكيد التعامل بحذر خلال الأشهر القليلة القادمة، فستحرص ألا تكون خارج المنزل وحدها، وتُحكم غلق الباب عندما تعود إلى المنزل، لكن لن يكون هناك المزيد من الرحلات، ولن تضطر إلى مشاهدة الرجال وهم يملؤون بطون الفتيات بأكياس الكوكايين بالقوة، ولن تضطر أبدًا إلى مشاهدة نمر وهو يمضغ ذراع رجل. فقد تحررت، ونجت، ونجحت.

انعطفت الطائرة بشدة إلى الجنوب الغربي فوق شبه جزيرة "ريكيانيس" البعيدة، فبدت كعمل فني تجريدي، كأن ظلمة حقول الحمم المتعرجة تتناقض مع الأغطية الثلجية البيضاء التي غطت كل شيء. ويبدا طريق شبه الجزيرة بين "ريكيافيك" ومطار "كفلافيك" الذي يبعد نصف ساعة بالسيارة، وكأنه ثعبان رمادي يمتد في البلاد إلى أبعد ما يمكن. لم يكن هناك الكثير من الزحام يوم رأس السنة، غير مغادرة الكثيرين للخارج أو عودتهم إلى منازلهم.

ارتفع في الهواء الساكن المتجمد عمود بخار من محطة "سفارتسينجي" للطاقة الحرارية الأرضية، من هذا الارتفاع، بدت البحيرة الزرقاء تحته كنقطة ساطعة صغيرة. وبينما تعلو الطائرة، تبعد الأرض تحتها وتتسطح المناظر الطبيعية، فظهرت الجبال على طول الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة، كتلال ضئيلة، فقد قلصت المسافة كل شيء، بما في ذلك الخوف والعجز اللذان شعرت "سونيا" بأنها قد تركتهما خلفها؛ بعيدًا، على الأرض.

90

قالت "أجلا" عندما فُتِح باب الزنزانة وظهر "إلفار" خارجها ومعه حارس:

- ظننت أنني سأبقى هنا لأيام.

ظلت هنا يومًا وليلة، وسُمح لها بالخروج فقط حتى الممر، ولها أن تخرج مرتين لمدة نصف ساعة في الفناء.

رد "إلفار" بعبوس على وجهه:

- هذا ما يحدث عندما تتخلفين عن موعد التحقيقات.

فأسرعت "أجلا":

- أنا فقط لم أستيقظ!

فقد نامت بالفعل، ودون قصد فقدت شعورها بالوقت. جلست تشرب لدرجة الشفقة، فقد ابتاعت صندوقًا دون ترخيص، حتى صار من الصعب إيقافها، ففي الآونة الأخيرة زاد الحزن داخلها بشكل كبير، دون أي أمل في الانحسار، ما يطلق عليه بالواقع البعيد عن عالمها الحالي، وإذا نامت ترى أحلامًا سيئة؛ إما

لموظفي النائب العام أو لـ"سونيا". ودائمًا ما استيقظت على ألمٍ حاد في حلقها، لا يطفئه سوى بضع جرعات من زجاجة "جاجيرميستير" على طاولة السرير. في بعض الأحيان، تستطيع العودة إلى النوم، وأحيانًا تستلقي مستيقظة، وقلبها يخفق، تحدق في جثة الذبابة التي لم تقم بإزالتها بعد.

قال "إلفار" وقد لانت النظرة على وجهه بعد اعتذار "أجلا":

- لكن معظم الناس لا ينامون لعدة أيام متتالية. دعينا نقول إن هذا نوع من الاحتجاز الرمزي، كنوع من الدعاية ولتهدئة الصحافة.

عرفت "أجلا" بالتأكيد الإعلاميين وكاميراتهم، وأن سيكون لها بعض الصور الرائعة بالأصفاد اليوم في الصحف. قام مراقب السجن بتنبيهه بالتنحنح.

قال "إلفار":

- أجل، إنها هنا، لائحة الاتهام.

ثم ناول الحارس "أجلا" حزمة من الأوراق، مثبتة معًا من زاوية واحدة، وقرأت الصفحة الأولى:

- من النائب العام للمدعي الحكومي، طبقًا لقانون 2008/135:

تدين محكمة "ريكيافيك" الإقليمية كل من "يوهان جوهانسون"، المدير الإداري، إقامة قانونية مسجلة في لوكسمبورج؛ "دافيث موليرٍ"، رئيس قسم الأسواق، إقامة قانونية مسجلة في "ريكيافيك"، و"أجلا مارجيرسدوتير"، رئيسة قسم الاستثمار، إقامة قانونية مسجلة في لوكسمبورج، بالجرائم التالية المخالفة للقوانين التي تحكم تداول الأسهم، للتآمر حول التلاعب بأسواق الأسهم التي أصدرها البنك على مدى 189 يوم تداول، من 1 مارس 2007 إلى 1 فبراير 2008 في السوق الأيسلندية باستخدام شبكة التداول "NASDAQ OMX Iceland hf" (المشار إليها فيما يلي باسم "كويهويتلن")، عن طريق الكيانات الخارجية،

"أيسلندا للتجارة المحدودة"، و"إم إل القابضة". و"أفانس للاستثمار". مما نتج عنه مستوى غير طبيعي للأسعار، وتلاعب في أسعار الأسهم، وتقديم أو محاولة تقديم معلومات سعر سهم غير صحيحة أو مضللة.

وكان بعد الصفحة الافتتاحية صفحات أخرى بها تفاصيل تشرح لوائح الاتهام بدقة، كانت سيئة، تمامًا كإقامتها التي استمرت أربع وعشرين ساعة في زنزانة.

لم ترد "أجلا" تنفيذ عقوبتها فور ما أن ينطق بالحكم، لكن هذه هي الطريقة التي سيسير بها الأمر، كما ينبغي أن يكون.

91

حارب "براجي" صوت ضميره المزعج حين فحص كل ممتلكات المرأة، فهو يستمتع بذلك أحيانًا، ولا يستطيع إنكار أنه تلذذ في بعض الأحيان بأخذ أمتعة الناس ورؤية كل ما يحملونه، وهو يشاهد غضبهم في ازدياد. كان هناك أشخاص معينون لم يستطع منع نفسه من الاستمتاع بمعاملتهم هكذا، لكن الأمر كان مختلفًا مع المرأة البائسة التي بدت غاضبة أثناء جلوسها على كرسي بلاستيكي في الغرفة البيضاء في انتظار مصيرها.

فبعد أن رآها في صالة السفر، عرف متى ستكون رحلة عودتها، وكان بانتظارها في صالة الوصول عندما نزلت. وبينما هو يزيل بطانة آخر حقائبها، رن تليفونها، فسألت:

- أيمكنني الرد؟

فأومأ لها "براجي" برأسه.

وضعت التليفون على أذنها، ومع ذلك استطاع سماع صوت الرجل الغاضب على تليفونها، على الرغم من وقوفه عند طاولة التفتيش، وسمعها تسأل:

- هل سيتطلب هذا الانتظار حتى الربيع؟

من الواضح أن الرد لم يكن ما توقعته، فقالت:

- سأكسب الحضانة، فلا تقلق بشأن ذلك.

واستطاع سماع أن كلماتها لم تُستقبل بود، كان واضحًا أن والد طفلها على الخط. شعر بالأسف الشديد على المرأة المسكينة، ولكن على الرغم من هذا، كان هناك شيء حولها أثار غرائزه، ودفعه إلى الانقياد خلف شعوره الغريزي الذي أخبره أن لديها ما تخفيه. كان بمثابة كلب بوليسي يقوده أنفه إليها مباشرة. أنهى "براجي" فحص أمتعتها بعدما أخرج كل شيء في الحقيبة، وكعادة الأشياء إن خرجت، فلن تعود مرة أخرى، لذا فإن ما تبقّى ذهب في كيس بلاستيكي، ثم قالت:

- ليس من الجيد أن يعيش "تيوماس" مع أب يكره والدته.

وأتى الرد مزعجًا بما يكفي لإنهاء المكالمة وإلقاء تليفونها في حقيبة اليد التي وضعها "براجي" أمامها.

وتنفست بسرعة وبصعوبة، وكانت على وشك البكاء. سألها "براجي":

- هل أنتِ بخير؟

وهزت رأسها بالنفي.

92

عندما نظرت "سونيا" إلى الوراء، شعرت أحيانًا بأن ما فعلته مع "أجلا" كان نتيجة لعلاقتها المتوترة مع "آدم"، وليس بسببها، فكانت قد سئمت بالفعل من زواجهما قبل وقت طويل من تطور الأمور مع "أجلا"، وشعرت هي و"آدم" بالملل، فكان يقضي بضع ليالٍ في الأسبوع في المدينة، ولا تسأله أين كان، على افتراض أنه كان ينام على أريكة مكتبه في البنك، بالإضافة إلى وجود رشاش استحمام، وخزانة ملابس مليئة بالقمصان النظيفة هناك، أحيانًا كانت تفتقد رفيقها القديم، الشاب ذا الوجه المشرق الذي وثقت به وعشقته، لكن هذا الشخص قد ذهب منذ فترة طويلة، وكأنه تبدل بشخص آخر. كانت "سونيا" تعرف جيدًا أن العمل في البنك كان وراء ذلك، فقد جاء ذلك بمسؤوليات ثقيلة، شعرت في بعض الأحيان أن "آدم" يكافح للتأقلم معها، وفوق كل ذلك، تعود على تعاطي الكوكايين خلال الأسبوع أيضًا، فكان يتعاطى قبل تناول الطعام، مما كان يضعه في حالة غاضبة.

تذكرت حين تمنت أن يرجع الزمن أن يعودا أصدقاء مرة أخرى مثلما كانا حين وُلد "تيوماس"، عندما ضحكا بسعادة لامتلاكهما طفل جميل كهذا، عندما احتضنها "آدم" بشدة وأخبرها كم هو رجل محظوظ، لكنها لم تبذل أي محاولة لإعادته كما كان، وفي نقطة ما، توقفت عن تمني حدوث ذلك، فقد ذهب مع الريح، كحياتها كلها، وانتظرت حدوث شيء ما، وما حدث كان "أجلا".

رأت "آجلا" عدة مرات دون أن تلاحظها على نحو خاص. ما صدمها أن "آجلا" كانت من هؤلاء الأشخاص الذين يكونون أكثر جمالًا عندما لا يبتسمون. كان لها وجه طويل، بجبهة عالية وشفة علوية غليظة، وبطريقة ما، ناسب التعبير الجاد هذه الملامح أفضل، فبدت أكثر جاذبية عندما تكون ملامحها حزينة. تذكرت "سونيا" أنها وجدتها عابسة وغريبة في حفل عيد الفصح التي أقامته هي و"آدم" لكبار رؤساء البنك، وبدت أنها الوحيدة التي لم تسعد بالكوكايين. وفي نهاية الحفل، بينما كان الضيوف السعداء يركبون سيارات الأجرة التي طلبها "آدم" لنقلهم إلى المدينة حيث سيكملون الحفل، عادت "أجلا" على عجل، وظنت "سونيا" في البداية أنها نسيت شيئًا.

وقالت وهي تلتقط أنفاسها:

- لقد أدركت للتو أنكِ لن تأتي إلى المدينة معنا.

- لا، سأبقى مع "تيوماس"، فهو عند صديقه في الجوار، لذا أفضل أن أكون هنا في حالة إن استيقظ وأراد العودة إلى المنزل.

أرادت "سونيا" أن توضح أنها أم، وأن طفلها أهم من أي حفل في المدينة، وأنها لم تهتم بأن زوجها لا يسهر معها. لكن "أجلا" لم تكن تبحث عن تفسير، وقالت:

- أردت فقط أن أشكركِ على حسن ضيافتكِ وعلى الوجبة الرائعة، فتناول الطعام المنزلي أمر رائع، لا شيء يضاهي لحم الضأن المشوي مع الخضروات.

ثم عانقت "سونيا" بسرعة وذهبت، عادت إلى سيارة الأجرة حيث كان الركاب يغنون.

وقفت "سونيا" هناك تشعر بثقل في حلقها، كانت "أجلا" الضيف الوحيد الذي تكلف عناء شكرها على الوجبة، وبعد ذلك شعرت بدفء تجاهها كلما التقيا.

فسواء كانت "أجلا" نتيجة أو سببًا لانهيار ما كان بينها وبين "آدم"، فعلاقتها مع "أجلا" لم تمنحه النهاية التي أرادها. اتضح أن "آدم" كان يحمل

أمل البدء مرة أخرى، والرجوع للوقت الذي كانا فيه سعيدَين معًا، وإلا فلماذا ثار بشدة عندما انهار كل شيء؟ لا بد أنها جرحته بعمق أكثر مما تخيلت.

93

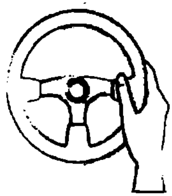

وجدت "أجلا" أنها ترتجف وهي تعود إلى سيارتها، كانت هذه المرة الثالثة التي رنت فيها جرس باب "سونيا" دون أن تجد أحدًا، ونظرت إلى الأعلى، رأت أن نوافذ الشقة كانت مظلمة كما كانت من قبل؛ يجب أن تكون في الخارج إذن. كانت على الأرجح في رحلة عمل في مكان ما خارج البلاد. جلست في السيارة تحدق في المبنى أمامها، وتتندم. ندمت على عدم سؤال "سونيا" قط عن عملها، كانت فقط تعرف أن الأمر يتعلق بالكمبيوتر؛ أنها تبيع أنظمة الكمبيوتر. لم تهتم "أجلا" أبدًا بتفسيرات "سونيا" حول ماهية هذه الأنظمة. في الحقيقة، لم يتحدثا في الأمر أبدًا، والآن، تملكها الندم.

وبينما غرقت "أجلا" في التفكير، أتت سيارة إلى المبنى ووقفت أمام المدخل، استغرقها الأمر بعض الوقت لتدرك أن "سونيا" كانت هي التي تقود، فهي دائمًا تغير السيارات، وكأنه إلزام، تستبدل باستمرار بالسيارة التي تملكها سيارة رديئة مثلها، وبين ذلك استخدمت سيارات إيجار. أتت هذه المرة في سيارة "فورد" قديمة.

بدت "سونيا" متعبة حين خرجت من السيارة، وأنها بحاجة إلى كل طاقتها لفتح الصندوق ورفع حقائبها، كانت معها حقيبتان، بالإضافة إلى كيس

بلاستيكي مليء بالأشياء، لا بد أنها كانت بالخارج لبعض الوقت. شعرت "أجلا" بالارتياح لوجود سبب يبرر عدم عودة "سونيا" إلى المنزل وعدم ردها على تليفونها. بالطبع اتصلت بها؛ عدة مرات أيضًا، لكن إن كانت "سونيا" بالخارج، تفهمت أنها لم ترغب في الإجابة، فكانت المسكينة دائمًا مفلسة، واستخدام التليفون في الخارج مكلفٌ، وكان هذا تفسيرًا مريحًا أكثر من احتمال أن "سونيا" قصدت فعلًا ما قالته ولم تعد تريد رؤيتها.

خفق قلبها وهي تقاوم رغبتها في القفز من السيارة، والركض إلى "سونيا" واحتضانها بشدة وعدم تركها، وبعد ذلك تساعدها في حمل الحقائب للأعلى، ثم النوم معها، وأخذها بين ذراعيها طوال الليل. كان الأمر مغريًا جدًّا، تسلسل أفكار طبيعيًا، وهو استنتاج معتاد دائمًا ما يتبع جدالهم، فقد قررا إنهاء الأمور عدة مرات، وقالا أشياء مؤذية لبعضهما، حتى إنهما صرخا، لكن الأمور كانت تمر دائمًا، ويعودان تلقائيًّا إلى العناق والضحك والقبلات، لكن هذه المرة كانت الأمور مختلفة، لم تجرؤ "أجلا" على الذهاب لـ"سونيا"، وهي تملؤها الرغبة، ليتم إخبارها مرة أخرى أنها لا تستطيع القيام بذلك، وأنها لا تريد رؤيتها مرة أخرى. لم ترد "أجلا" التأكيد على أن كل شيء بينهما قد انتهى.

شاهدت "أجلا" "سونيا" وهي تدخل الحقائب واحدة تلو الأخرى، وظهر بداخلها شعور غير مألوف، ارتفع حتى حلقها، وقد ابتلعت ريقها عدة مرات، لكن ألم الاحتراق لم يزل. فأدارت السيارة وانطلقت، وكانت قد وصلت المنزل تقريبًا حين أدركت ماذا كان هذا الشعور، أرادت البكاء، تمنت تخفيف الألم في حلقها وقلبها عن طريق فتح فمها عن آخره والصراخ. فكرت في الأمر لحظة، ثم صرفت عنها هذا الضعف، رفضت البكاء في نهاية علاقتها بهذه المرأة. أيقنت أنها لن يكون لها دور أبدًا في حياتها، وأيًا كانت رغباتها، كان ذلك هو الواقع المرير للأمر.

94

شعرت "سونيا" بالإجهاد بمجرد أن نقلت آخر حقيبة داخل الشقة، وكانت على وشك وضع مفتاحها في القفل عندما سمعت الباب يُفتح خلفها وظهرت جارتها، وصاحت:

- شكرًا للرب أنكِ عدت؛ لم تتوقف المشكلات في "اللاب توب".

أرادت "سونيا" أن تصرخ وتخبرها أنه يوجد عدد كبير من محلات صيانة "اللاب توب" في المدينة، ولكن بعد رحلة المستشفى والليلة التي تبعتها، لم تستطع أن ترد بطريقة غير مهذبة، فقالت "سونيا":

- دعيني آخذه، وسألقي نظرة عليه غدًا.

أسرعت المرأة إلى شقتها وعادت بـ"اللاب توب" في يدها، بمجرد أن بدأ تليفون "سونيا" يرن، وقد استخدمته كعذر، فأخذت "اللاب توب" وهي تشير إلى التليفون، شاكرة لعدم الاضطرار إلى سماع قائمة بمشكلات الجهاز، والتي في كثير من الأحيان تبدو في شرحها وكأنها صفات وحش غريب.

ما إن أغلقت الباب، ردت على التليفون وسمعت "ثورجير" على الخط:

- لقد فتشت كل شبر في المنزل، لا يوجد به كيلو مخبأ؛ أنتِ مخادعة.

سألته "سونيا" وهي مستمتعة بفكرة أن "ثورجير" أمضى أسبوعين يبحث في كل زاوية وركن، أسبوعين قضتهما هي تحت أشعة الشمس.

- أنت متأكد؟

أجابها:

- بل على يقين، حتى إنني جئت بكلب مدرب لمسح المنزل كله.

فسألته "سونيا" بدهشة:

- كلب تتبع؟

أجاب "ثورجير":

- هذا صحيح، لقد أحضرت واحدًا.

لم تستطع "سونيا" إخفاء دهشتها:

- أحضرت كلب تتبع؟ أنت اشتريته؟

- دعينا نقول إنني استعنت ببعض الأصدقاء من الخارج. فبالنسبة إلى الكوكايين، يعد الكلب لعبة أطفال في تجاوز الجمارك.

- أتقول لي إن بخيلًا مثلك دفع نقودًا في كلب باهظ الثمن؟!

- إنه استثمار يستحق، فقد يكون هناك حمقى آخرون مثلك تأتيهم الفكرة نفسها، وهو مفيد أيضًا للبحث عن الأشياء التي تختفي، لا يمكنك تخيل عدد الأشخاص الذين يحاولون خداعكِ في هذا العمل.

قالت "سونيا" وهي تحاول أن تبدو ساخرة، لكن ليس بعد أن بدأ قلبها ينبض بالخوف:

- هل أنت جاد؟

- والآن وقد عرفت أنه لا يوجد شيء في منزلي، وأن تهديداتكِ فارغة، ستذهبين إلى لندن هذا الأسبوع لجلب شحنة، فقط للعلم.

ردت "سونيا":

- في أحلامك.

وأنهت المكالمة.

95

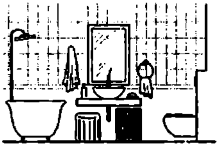

استيقظ "تيوماس" وظن أنه سمع أصوات، ثم أدرك أنه بحاجة ماسة إلى الذهاب للحمام، لا بد أن يكون ضغط مثانته هو الذي أيقظه، والأصوات التي كان متأكدًا أنه سمعها، ولا تزال تتردد في رأسه، لا بد أنها جزء من حلمه، فقد سمحت له جليسة الأطفال التي كانت معه في المساء بعلبتين من المشروبات الغازية، والآن يجب أن يكون ممتنًا لأنه لم يبلل السرير كما حدث في المرة السابقة التي شرب فيها الكثير قبل النوم. فرك عينيه وخرج إلى الممر، كان الضوء الليلي الذي دائمًا ما وضعه قبل أن ينام مضيئًا، ولكن كان هناك أيضًا ضوء قادم من الحمام.

دفع "تيوماس" الباب وفتحه، وأعماه سطوع الإضاءة للحظة.

فسمع والده يقول بنبرة اتهام:

- لا يمكنكِ مساعدة نفسكِ! يبدو أنكِ لا تعرفين أبدًا متى تتوقفين!

رأى دماء على الحوض، و"ديسا" جالسة تبكي على حافة حوض الاستحمام، ببقع دم أسفل ثوبها الأصفر، ووالده جالس بجانبها، وجهه ملتوٍ بغضب، وممسكًا منشفة على وجه "ديسا". صرخ "تيوماس" في رعب وشعر بتبوله الساخن ينساب على ساقه، مشكلًا بركة صغيرة على أرضية الحمام. كان يتنهد من البكاء ووالده يُحَمِّمه، بينما نظفت "ديسا" حوض الحمام، بينما لا تزال المنشفة على وجهها.

فسأله "تيوماس" مترددًا:

- هل ضربتها يا أبي؟

هز والده رأسه وقال:

- لا يا حبيبي، بالطبع لم أضرب "ديسا"، لقد أصيبت فقط بنزيف في الأنف.

وسُمع صوت "ديسا" يدوي:

- إنه مجرد نزيف يا عزيزي.

سأل "تيوماس":

- ولماذا كنت غاضبًا جدًّا؟

قام والده بلفه بمنشفة، وحمله كما لو كان طفلًا وأعاده إلى غرفة نومه، ثم قال:

- لقد كنا فقط نتناقش لأن "ديسا" يمكن أن تكون متوترة بعض الشيء، وعندما نزف أنفها تضايقت منها قليلًا.

لم يكن "تيوماس" متأكدًا مما قصده والده عندما قال إن "ديسا" كانت متوترة قليلًا، ولم يفهم سبب غضب والده لنزيف أنفها، فهو نفسه كان يعاني نزيف الأنف أحيانًا، ولم يغضب والده منه أبدًا، أو يقل إنه كان ممتلئًا قليلًا أو أي شيء من هذا القبيل، فلا يستطيع الإنسان إيقاف نزيف الأنف.

سأله والده:

- هل تريد بنطال بيجامة سوبرمان؟

أومأ "تيوماس" برأسه على الرغم من أنه كان متأكدًا من أنها صغيرة عليه جدًا، ولا تصل إلى كاحليه، ولكن هذا لا يهم الآن، فهو لا يزال يشعر أنه على استعداد للبكاء، ويمكنه سماع شهق "ديسا" في الحمام، لكن والده قال إنه سيصنع الشوكولاتة الساخنة لكليهما، فذلك سيهدئهما. فأخذ "تيوماس" إلى المطبخ وأجلسه على أحد المقاعد المرتفعة قبل أن يسكب الحليب في الكوب، وقال:

- سنبذل جهدًا أكبر أيها الصغير.

وللحظة أشفق "تيوماس" على والده، فقد بدا متعبًا للغاية، فعندما وضع قطعة من الشوكولاتة في الحليب، اهتزت يداه، وما زالت قطرات الدم على قميصه.

وأضاف:

- إنها مسألة وقت حتى نوقف أنا و"ديسا" هذا الهراء.

96

نظرت "سونيا" إلى الشباب المنشغلين في أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم، وتمنت لو كانت حقًّا الشخصية التي تدَّعيها؛ واحدة من خبراء الأجهزة. بدوا جميعًا منتبهين بشدة، مع ذلك مسترخيين وسط الأسلاك والأدوات وعلب مشروبات الطاقة والعديد من أجهزة الكمبيوتر.

فقالت للشاب الذي أخذ الكمبيوتر الخاص بجارتها بكل صدق:

- لا أعرف ماذا به، سيكون رائعًا إذا استطعت إجراء عملية تجميل له.

فبعد أن قامت بما تفعله عادة؛ من إعادة تشغيل للكمبيوتر ثم استخدام المكنسة الكهربائية لإزالة الغبار من لوحة المفاتيح وفتحات التهوية، لم تنجح هذه المرة، ولم يصل في عملية البدء إلا عند منتصف الطريق فقط.

فسأل الشاب:

- هل أقوم بتثبيت المزيد من الذاكرة؟

وافقت "سونيا" دون أدنى فكرة عما كانت توافق عليه، وقالت:

- افعل ذلك من فضلك.

فبالطبع مزيد من الذاكرة مفيد لأجهزة الكمبيوتر كما هو للناس، أليس كذلك؟

أخذت الإيصال الوردي الذي حدد الرجل فيه موعد الاستلام، وأملت أن تستطيع إقناع جارتها بأن إصلاحه قد يستغرق بعض الوقت هذه المرة. قطع تفكيرها حول الكمبيوتر رنين تليفونها، وشعرت بتدفق مفاجئ من الأدرينالين حين ظهر اسم "آدم" على الشاشة، وبالنظر إلى طريقة محادثتهما الأخيرة، لم

تكن "سونيا" في حالة مزاجية للمجادلة والصراخ، لذلك لم تجب، فتبعتها رسالة نصية ظهرت بمجرد أن خرجت من السيارة:

"أرجوكِ، أرجوكِ أن تتصلي بي!".

لا تبدو هذه النبرة بأنه سيقوم بالصراخ عليها، يجب أن يكون هناك شيء ما، فضغطت "سونيا" رقم "آدم" بإصبع مرتجفة، فأجاب على الفور وقال بصوت أجوف، وكأنه على وشك البكاء:

- لقد اختفى "تيوماس".

- اختفى؟! ماذا تقصد بـ"اختفى"؟!

فأجابها "آدم":

- لم يكن في سريره هذا الصباح، وليست عادته أن يغادر المنزل دون إذن، وهو ليس في المدرسة.

استقرت صورة "تيوماس" وهو بالخارج في ليلة شتاء مظلمة في ذهن "سونيا" وهي تسأله.

- ولا تعرف متى ذهب؟ مساء أمس؟ أو أثناء الليل؟ هل اتصلت بأصدقائه؟

- لقد اتصلت بكل مكان، زملائه في المدرسة، وفريق كرة القدم، وبكل شخص يمكنني التفكير فيه، لقد اختفى!

سمعت "آدم" يلهث، وارتجفت من الصوت، لم يكن "آدم" من النوع الذي يستسلم للخوف، ولم تره يذرف حتى دمعة واحدة. قالت "سونيا":

- سأذهب مباشرة إلى المنزل، في حالة إن كان ذاهبًا إلى هناك، يجب أن يكون في الطريق إليَّ، فلن يذهب إلى أي مكان دون أن يخبرني.

97

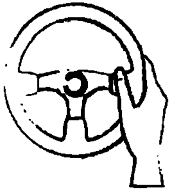

قادت "سونيا" السيارة بضع دقائق حتى أصدر تليفونها صوت رسالة، فتحت الرسالة وتوقفت عند إشارة المرور بجوار سوبر ماركت "نواتون" في الطرف العلوي من "لاوجافجور"، حدقت للحظة في الصورة ذات الجودة الرديئة على الشاشة، تحاول أن تفهم ما كانت تنظر إليه، وأن تعي ما حدث، لأن النقاط السوداء عادت ترقص أمام عينيها مرة أخرى.

فقد تحول أكبر مخاوفها إلى حقيقة، كان هذا أسوأ كوابيسها، وما كانت تأمل أن تكون تهديدات فارغة لم تعد كذلك.

فاجأها صوت بوق سيارة خلفها، فنظرت إلى الأعلى ورأت الضوء الأخضر، لكنها فشلت في ربط أفكارها بالواقع اليومي لحركة المرور في "ريكيافيك"، غير أن في ذلك الوقت كان عالمها ينهار من حولها.

كان في الصورة "تيوماس" مبتسمًا، ويحمل آيس كريم في يده، وبجانبه "ريكهارثور"، محيطًا كتف الصبي بذراعه. تردد البوق للمرة الثانية، فقادت سيارتها بسرعة كبيرة، ولفت السيارة في منعطف عند محطة حافلات "هليمور"، وأسرعت بكل عزمٍ نحو مكتب "ثورجير" في "لاجمولي"، لكن السيارة انزلقت منها في أخدود ثلجي، وغرزت في ثلجٍ على جانب الطريق ثم توقفت. مع توقف محرك السيارة، أدركت "سونيا" أنه كان صوتها الذي سمعته بوضوح وبصوت عالٍ.

- لا، لا ، لا ، لا! لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن أن يكون "تيوماس" في خطر.

خرجت من سيارتها، بالكاد تفادت سيارة أطلقت بوقها وهي تفتح الباب، نظرت حولها، لكن لم يبدُ أن هناك أي شخص قد يتوقف ويساعدها في إخراج السيارة من الثلج. وشاهدت محطة وقود عبر الطريق، وشابًا يعمل في كشك، فلوحت له حتى رآها. ثم أخذت الدواستين المطاطيتين من مكان القدمين وحشرتهما خلف عجلات السيارة، وعادت إلى الداخل. مع اقتراب الشاب، أشارت له إلى مقدمة السيارة، أنه يجب أن يدفعها. وعندما وصل، بدأت في الرجوع ببطء قدر استطاعتها، على الرغم من أن كل ذرة بها طالبتها أن تسرع، فكانت تضع قدمها بقوة على الأرض، ولكن في الثلج، لم يكن هناك أي فائدة في الإسراع، عرفت أنها يجب أن تتروى، وأن تترك السيارة تتأرجح ذهابًا وإيابًا حتى تخرج نفسها بقوة الدفع، وفي الثانية التي خرجت فيها السيارة، قفزت "سونيا" بها إلى الطريق وانطلقت بعيدًا، تاركةً الفتى المضطرب واقفًا هناك مع الدواستين المطاطيتين في يديه. تمحورت كل أفكارها حول "تيوماس" والخطر الذي كان فيه، وتردد: "لا، لا، لا، لا!" داخل رأسها. بدا أن الإنكار هو القشة الأخيرة التي يتمسك الجميع بها حين يدركون أن وضعهم ميؤوس منه.

وأخذت تكرر في ذهنها: "لا لا لا! لا يمكن أن يحدث هذا!".

98

لم يكن هناك سكرتير في غرفة الاستقبال، فاقتحمت "سونيا" مكتب "ثورجير" وبقايا الثلوج لا تزال على حذائها. بدا كأنه نام بملابسه؛ ارتدى قميصًا مهلهلًا وملطخًا، على الرغم من أن هذا الشكل كان يليق بملامح وجهه

المجعدة أكثر من البذلة النظيفة الفاخرة التي يرتديها عادة. صاحت "سونيا" وعواطفها تتقلب من غضب إلى خوف وتعود مرة أخرى:

- أين هو؟

لا تعرف هل تهاجم "ثورجير" بقبضتيها، أم تنزل على ركبتيها وتتوسل إليه أن يطلق سراح طفلها، وألا يؤذي "تيوماس".

قال "ثورجير" بهدوء، كما لو كان يتحدث عن حالة الطقس:

- إنه سليمٌ معافى، وفي أيدٍ أمينة، وسيعود ما إن تصلي إلى لندن لاستلام الشحنة.

كانت عيناه واسعتين وصادقتين. حدقت به "سونيا"، متسائلةً كيف يكون مرتاحًا هكذا، ثم قالت:

- وإذا ذهبت إلى الشرطة؟ إذا استسلمت وأخبرتهم بكل شيء عن الأمر برمته؟

رد "ثورجير":

- لن تذهبي إلى الشرطة؛ أنتِ لستِ بهذا الغباء. و"ريكهارثور" قادر تمامًا على رعاية الأطفال، ولكن إذا انزعج منهم.. حسنًا، لا أضمن أي شيء.

ارتجف صوت "سونيا" واستطاعت أن تشعر بالدموع تنهمر على خديها وهي تقول:

- أنت بلا ضمير.

قال "ثورجير" ضاحكًا:

- لا تتفوهي بهذه المهاترات، بالطبع لديَّ ضمير، يمكنني فقط إغلاقه عندما أحتاج لهذا.

- أين مكان الاستلام؟

- "الناسور"، في الردهة، منتصف الليلة.

فصرخت:

- لا تؤذِه، من فضلك، لا تدع "ريكهارثور" يضره.

قال "ثورجير":

- بالطبع لن أفعل. لن يتأذى ما دمتِ مطيعة، وتفعلين ما يملى عليكِ.

ونظر بجدية إلى "سونيا" وهي تمسح وجهها بكمها.

ثم أكمل قائلًا وعيناه تمتلئان برودةً وقوة:

- لكن إذا قمتِ بأي تصرف غبي، سنقوم بما يتوجب علينا فعله.

سقطت "سونيا" على ركبتيها وهي تنتحب.

لم يكن هناك مخرج، كانت لا تزال عالقة في الفخ، وكان الوحش ممسكًا بها بين فكيه الدمويين، مستعدًا للفتك بأهم جزء بها.

99

وضع "براجي" دائرة حمراء حول اسم في قائمة ركاب اليوم التالي.

قال لـ"أتلي ثور":

- أيمكنك أن تجد لي شخصًا من الدوام الآخر ليأخذ مكاني؟ هناك شخص ما هنا أراقبه.

فسأل "أتلي ثور" وهو يدير أسطوانة تنظيف الوبر اللاصقة على الـ"بلوفر" الأسود:

- هل أطلبِ منه أن يعمل في الدوام الليلي في الأسبوع القادم؟

كان هذا بناء على تعليمات "براجي". كان من المفترض أن يظهِر الموظفون احترامًا للزي الذي يرتدونه.

فيجب أن تكون ربطة العنق عند الحلْق، وفي الشتاء عندما يرتدون "بلوفرات" سوداء فوق قمصانهم الموحدة، عليهم أن ينظفوها من الوبر قبل كل وردية، ويجب أن يكون حزام الأدوات ظاهرًا فوقه، فطبقًا لكلام "براجي"، هم يمثلون مصلحة الجمارك. وكان أي قميص مقفول بإهمال، أو "بلوفر" مهلهل فوق حزام الأدوات، دلالة على عدم احترام السلطة التي يمثلونها.

رد "براجي" بعد تفكير وقال لـ"أتلي ثور" وهو جالس على الكمبيوتر لإجراء التبديل:

مكتبة
t.me/soramnqraa

- سيكون ذلك جيدًا.

فرد عليه بتحية عسكرية:

- في الحال يا كابتن أهاب.

وبمرح ضربه "براجي" بقائمة الركاب المطوية.

شعر بالإثارة نفسها القديمة وهو يخرج إلى سيارته، وأخبره حدسه أنه سيوقع بها هذه المرة، فقد سافرت في رحلة ظهر ذلك اليوم وكان من المقرر أن تعود في اليوم التالي؛ رحلة استلام نموذجية، وعلى الرغم من ذلك، اندهش من أنها لم تختفِ عن الأنظار بعد أن تم تفتيشها مرتين خلال أسبوعين فقط، ولكنه عاد يفكر أنه لم يفهم قط كيف يفكر المهربون، يبدو أن أولئك الناس يقومون بمجازفات تتجاوز حدود المنطق، وبما أنها تم تفتيشها مرتين دون نتيجة، ربما اعتقَدت أنهم لن يقوموا بذلك مرة ثالثة. وإذا كان الأمر كذلك، سيأتيها رأي آخر، فسيكون "براجي" بانتظارها، بربطة عنقه والـ"بلوفر" شديد السواد، دون رحمة.

أخذ نفسًا عميقًا من الهواء البارد الخالي من رائحة وقود الطائرات، بسبب الرياح الشديدة التي تخللت شعره، وكان هناك صرير فرامل طائرة نفاثة على المهبط، والصوت الثقيل للطائرات ممزوج بتكسير الجليد وهي تقلع، وعلى الرغم من كل شيء، كانت الحياة جيدة جدًا وسرعان ما ستصبح أفضل بكثير، فهو ذاهب لرؤية "ڤالديس" وهو في طريقه للمنزل.

100

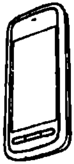

عندما أخرجت "سونيا" تليفونها من حقيبتها لغلقه قبل الإقلاع، رأت أن هناك ثلاث رسائل من "آدم"، سيكون عليها الانتظار، عليه أن ينتظر حتى تهبط في لندن، يجب أن يكون الآن قد اتصل بالشرطة للإبلاغ عن اختفاء "تيوماس". شعرت بالأسف عليه، فلم يكن يعرف شيئًا، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن مكان "تيوماس"، فهي على الأقل كانت تعلم أن "تيوماس" مع "ريكهارثور"، وعزاؤها لنفسها هو وعد "ثورجير" لها بأنه لن يتأذى، وستبذل قصارى جهدها لضمان عودته إلى المنزل بأن تتسلم الشحنة في الوقت المناسب. وبمجرد أن تكون معها، سيعيدون "تيوماس" إلى المنزل بالتأكيد، وبدون شك سيؤدي شرح الصبي للمكان الذي كان فيه إلى المزيد من الأسئلة، ولكن هذه مشكلة يمكنها الانتظار، وإذا تدخلت الشرطة يمكن لكل ذلك أن يكون متصلًا بها، مع أن هذا ليس مؤكدًا، فاختطاف طفل شيء غريب يمكنه أن يوجه تركيز الشرطة إلى مسألة أخرى.

كل ما استطاعت "سونيا" فعله هو التعامل مع التداعيات غدًا عندما تصل إلى المنزل بالشحنة ويكون "ثورجير" راضيًا، أو راضيًا بقدر الإمكان بعد كل ما حدث.

ارتعدت "سونيا" بينما صعدت الطائرة، ولم تشعر بأعصابها حين انطلقت، ومن وقت ما ارتفعت العجلات عن الأرض، لم تنعم بالهدوء المعتاد، فإنها الآن تتمنى أن تستطيع إسراعها حتى تكون في لندن في الحال، مستعدة لجمع البضائع في أسرع وقت حتى يصبح "تيوماس" حرًا في وقت أقرب، حرًا وآمنًا.

101

كانت دائمًا مفاجأة لـ"أجلا" إذا طرق أحد بابها، واندهشت هذه المرة لرؤية "ماريا"، أخصائية الجرائم الاقتصادية، تقف في الخارج. سألتها:

- أيمكنني التحدث معكِ؟

فتنحت "أجلا" جانبًا لتسمح لها بالدخول. كانت قد بدأت بالشرب عندما عادت إلى المنزل، زجاجة وراء الأخرى، ثم نامت على الأريكة، لذا عرفت أنها لم تكن في أفضل حالاتها؛ بلوزتها مهلهلة وشعرها أشعث. على العكس تمامًا، بدت "ماريا" أنيقة، وشعرها مرتب، ترتدي بذلة وكأنها تم كيُّها للتو.

نظرت "أجلا" إلى الساعة، كانت العاشرة تقريبًا، ومن المرجح أن تكون "ماريا" قادمة مباشرة من العمل. إذا كان هناك شيء واحد يمكن أن يصف موظفي النائب العام، فإنهم يعملون كالعبيد.

سألتها "أجلا" وهي تفتح الثلاجة:

- تريدين بيرة أم ماء؟ هذا كل ما لديَّ.

قالت "ماريا":

- ستفي البيرة بالغرض.

فتحت "أجلا" الزجاجة وناولتها إياها دون سؤالها إذا أرادت كوبًا لتشرب فيه، ولم تلاحظ "ماريا" وشربت من الزجاجة مباشرةً، أشارت "أجلا" لها نحو غرفة المعيشة وعرضت عليها مقعدًا لتجلس، ثم سألت:

- هل أحتاج للاتصال بـ"إلڤار"؟

هزت "ماريا" رأسها وهي تجلس على الأريكة، وقالت:

- لا، عندي سؤال واحد فقط، وأردت أن أسألكِ على انفراد.

جلست "أجلا" على كرسي بذراعين وانتظرت. تهيأت "ماريا" للكلام، وارتشفت بيرتها، ثم انحنت إلى الأمام وهي تنظر في عينيَّ "أجلا". وبدأت حديثها بصوت منخفض:

- أيمكن للأمر أن يكون.. أن تكوني تحت ضغط من "آدم"؟

نظرت "ماريا" بثبات في عينيها، واضطرت "أجلا" إجبار نفسها على عدم النظر بعيدًا، أجابت:

- لست متأكدة مما تقصدينه.

فقالت "ماريا" بملامح جدية:

- أعني هل تتعرضين لضغط ما، أو حتى للابتزاز؟

الآن لم تكن هناك ابتسامة غامضة تخفي شيئًا، ولا كمين يجب الانتباه إليه، بدت صادقة. قالت "أجلا" وهي ترفع الزجاجة وتتناول جرعةً طويلةً:

- لا أفهم ماذا يكون هذا الابتزاز الذي تتحدثين عنه.

أكملت "ماريا"، وقد بدأت "أجلا" تفهم إلى أين تأخذها:

- بحث واحد من موظفينا في الأشرطة التي تم العثور عليها بين أشياء "يوهان"، فكنت أتساءل إذا كان لدى "يوهان" أو "آدم" شريط لكِ، أو شيء آخر قد يضعكِ في موقف صعب..

ضحكت "أجلا" وقالت:

- ولهذا السبب أتحمل كل المسؤولية؟ أتعتقدين أنه تمت دعوتي في أيٍّ من رحلات هؤلاء الأولاد؟

- هل عرفْت بمقاطع فيديو "يوهان"؟

- ألم يعرف الجميع؟

رأت "أجلا" أن "ماريا" قد تفاجأت بالأمر، من الواضح أنهم عثروا على التسجيلات فقط.

- أعتقد إذن أنه قد يكون هناك أشياء أكثر من التي ضبطناها، أو قد تكون هناك بعض الأدلة الأخرى التي تظهرك في صورة قد تشوه مكانتك.

قالت "أجلا" وهي تنهي زجاجتها وتقف لتحضر أخرى:

- لا يمكنني تخيل ما يمكن أن يكون سيئًا لدرجة حملي على أخذ الحكم بالسجن مكان شخص آخر.

قالت "ماريا" بينما جلست "أجلا" مرة أخرى:

- الخوف من الإحراج يمكنه أن يدفع الناس لفعل أغرب الأشياء.

وافقت "أجلا" وقالت:

- بالطبع، هناك صورة لي في مكان ما بورقة بقيمة خمسة آلاف ملفوفة وعالقة بأنفي، لكن هكذا كانت الأمور في ذلك الوقت. لن أقضي مدة السجن لشخص آخر، إذا كان هذا ما ترمين إليه.

- لا، ليس هذا ما أعنيه، ما أقصده هو.. بعض الأمور الشخصية، ربما شيء أنت في صراع فيه مع نفسك، والذي قد يضعك في موقف صعب، ربما علاقتك بـ"سونيا جانرسدوتير"؟

ارتعش قلب "أجلا"، وشعرت بتوهج خديها، ثم قالت بتهكم:

- علاقة؟ لا توجد علاقة.

كانت لتقف وتدير ظهرها إذا أمكنها الوثوق بساقيها لحملها، لكنها شعرت بسحب كل الطاقة فجأة، فبقيت جالسة بثبات، تحدق في الأرض.

فقامت "ماريا" بتصحيح نفسها:

- دعينا إذن نقول معرفتك بها. "سونيا" هي زوجة "آدم" السابقة، لذلك يمكن لهذا أن يضعكِ في موقف محرج على المستوى الشخصي؟ ربما يمسك "آدم" أو "يوهان" شيئًا عليكِ من شأنه جعلكِ تنفذين خطوات للحفاظ على سرية الأمر؟

واضح أنهم تنصتوا على تليفونها وسمعوا كل شيء، كل ما حدث بينها وبين "سونيا" من همسات عاطفية وجدالات، فتملَّك الخزي من "أجلا"، وكأن دلو ماء قد سُكب عليها، ذلك ما كانت تخشاه طوال الوقت، أنه في وقت ما سيجلس شخص أمامها، يعرف كل شيء عنها وعن "سونيا"، ولكنه أصبح حقيقة الآن. أدركت أن ذلك لم يغير شيئًا على الإطلاق.

قالت وهي تنظر إلى الأرض:

- لم يعد هناك شيء من هذا القبيل.

ثم نظرت إلى "ماريا"، تقابل نظرتها الحادة التي اخترقتها كالسكين. لم تكن النظرة التحقيقية المعتادة التي استخدمتها "ماريا" في المكتب؛ كان هناك تعاطف في عينيها، ولكن بطريقة ما، آلم "أجلا" أكثر.

فقالت:

- لقد أسأت فهم الأشياء، إن "سونيا".. إنها استثناء في حياتي، شيء مختلف، وليست شيئًا دائمًا أو.. ماذا أقول؟ على أي حال لقد انتهى الأمر، انتهى تمامًا، لأنني لست.. ليست هذه ميولي.

ردت "ماريا":

- فهمت.

ووقفت وهي تقول:

- أردت فقط أن أتأكد من عدم تعرضكِ لأي ضغط.

وقفت "ماريا" منتظرة أن تقف "أجلا" هي الأخرى، لكنها ظلت جالسة؛ لم تكن ساقاها لتحملها مسافة الباب ورؤية "ماريا" خارجًا.

102

شعرت "سونيا" وكأنها تختنق؛ مهما حاولَت ملء رئتيها والتنفس بشدة، شعرت أنها غير قادرة على التنفس بشكل طبيعي، كان الشعور نفسه عندما أمسكها "ريكهارثور" من حلقها وضغط بشدة، وبشكل غير مباشر، هذا ما يفعله حتى الآن، فصورته هو و"تيوماس" مطبوعة في ذهنها، وعلى الرغم من عدد المرات التي تمتمت فيها لنفسها أن كل شيء سيكون على ما يرام، وسيصبح أفضل، لم تكن قادرة على إقناع نفسها بأن هذه حقيقة، فقد نجحت باللحاق برحلة لندن المسائية، وأخذت المترو مباشرة إلى المدينة، ثم أسرعت إلى الفندق، ووصلت في الوقت المناسب للرجل ذي الشعر الرمادي لتتسلم الحقيبة التي تحمل الشحنة. لم يكن لديها غرفة محجوزة في فندق، وقد تخلصت من آلة التعبئة بعد رحلتها الأخيرة، ولم يكن بحوزتها أي حقائب؛ كان أسوأ تحضير على الإطلاق، لكنهم أرادوا التوصيل في اليوم التالي، فكان عليها أن تجد شيئًا؛ فكرة ذكية لم تجربها من قبل، يفضل ألا تتضمن حمل البضاعة إلى البلاد بنفسها، لأنه من المؤكد أن هذه المرة ستوقع الجمارك بها. يبدو أن الضابط

المسن يتبع خطواتها بإصرار، وتأكدت أنه يشتبه في شيء، فقد توقع بوضوح أنها تتطلع لفعل شيء ما، لكنها لم تستطع معرفة ما الذي وضعه في طريقها بالضبط.

دفعت ثمن غرفة في فندق بوسط لندن لأنها لم ترغب أن تمشي في شوارع لندن بالبضائع في حقيبة رياضية، بحثًا عن مكان رخيص للإقامة. وبمجرد أن كانت في غرفتها، اتصلت بـ"آدم"، فسألت بصوت مرتعد بمجرد أن أجاب "آدم":

- هل هو في البيت؟

- نعم، عاد بعد العشاء مباشرةً، قال إنه ذهب في نزهة مع رفاقه، أخبرته ألا يفعل ذلك مرة أخرى دون أن يخبرني إلى أين سيذهب. لقد كنت على اتصال بالشرطة، وأخبرتهم أن كل شيء على ما يرام، وقالوا إنه لا يجب علينا إزعاجهم مرة أخرى.

ابتلعت "سونيا" ريقها، لا بد أن "تيوماس" كذب على والده بشأن المكان الذي كان فيه، كان من المستحيل قول لماذا فعل ذلك، ربما هدده "ريكهارثور" وقال له أن يبقى صامتًا.

- أيمكنني التحدث معه؟

- "سونيا"، هل أنتِ معنا على هذا الكوكب؟ نحن بعد منتصف الليل، إنه نائم! أولًا يختفي الصبي، ثم تفقدين أعصابكِ وتختفين لساعات طويلة، كنت على وشك الانهيار وتليفونكِ مغلق، ثم تتصلين بعد منتصف الليل متوقعةً التحدث معه! أنتِ غير منطقية.

تنهدت "سونيا" وقالت:

- أنا في لندن، الأمر متعلق بالعمل.

- أذهبتِ إلى لندن بمجرد أن علمتِ باختفاء ابنك؟ وتقولين إنكِ تريدين الحصول على حضانته؟

وقصد السخرية منها في لهجته.

- لقد اضطررت يا "آدم"، لا توجد طريقة لشرح الأمر.

أجاب:

- هذا صحيح، هناك الكثير حولكِ لا يمكن تفسيره.

فأجهشت "سونيا" بالبكاء، فبعد ما حدث اليوم استحقت هذا التوبيخ.

ثم قالت بتوسل:

- "آدم"، حافظ عليه.

تهكم "آدم" ووضع التليفون.

استلقت "سونيا" على السرير وانفجرت في البكاء، وحاولت بصعوبة استبدال صورة "تيوماس" في عقلها وهو في قبضة "ريكهارثور" الفولاذية، بصورة أخرى له وهو نائم في المنزل، آمن في البيت الأبيض في قرية "أكرانيس" ووالده بجانبه.

103

دفن "تيوماس" وجهه في فراء الكلب، وتنفَّس بعمق، أحب رائحته، لم يفهم لماذا قال بعض الناس إن الكلاب رائحتها كريهة. فقد كان هذا الكلب نظيفًا ودافئًا، وكان سعيد لوجوده على سريره، مسح "تيوماس" على فراء رأسه الأسود وهمس له:

- كلب مطيع.

نخر الكلب، ووقف وهز نفسه، وكان ذلك ممتعًا، كان رائعًا الاستيقاظ بجانب شخص، والآن أفضل بكثير، لأن ما بجانبه هو كلب. كانت الكلاب مغرمة جدًّا بالناس، وهم ينظرون بقوة في عينيك، ويراقبون كل حركة، ويلعبون بذيولهم، ومستعدون للعب دائمًا. لم يكن هذا الكلب مختلفًا في أي شيء، كان دائمًا يريد اللعب، ظلا يلعبان بالكرة طوال المساء في الحديقة. لا يبدو أن الكلب اهتم بالبرد أو

بالأرض المتجمدة تحت أقدامه، كل ما أراد القيام به هو جلب الكرة مرارًا وتكرارًا، والنزاع عليها، ثم مطاردتها في لعبة غميضة لا تنتهي.

كان امتلاك كلب حلم "تيوماس" لفترة طويلة، وكان يتوقع دائمًا أنه عندما يستسلم والده ويوافق أخيرًا سيحضر جروًا، لكن عندما قال والده أمس إن هذا الكلب يحتاج إلى منزل، وكأنه حلمٌ تحقق، رأى "تيوماس" أن من الأفضل تربية كلب بالغ، فلن يحتاجوا إلى تدريبه على الحمام أو أي شيء، ويمكنه القيام بكل أنواع الحيل بسهولة كبيرة. استطاع أن يجلس ويتدحرج ويرقد ميتًا عندما قيل له.

تنازع "تيوماس" مع الكلب على جورب قديم، وعندما فاز الكلب، انتهى بهم الأمر بمطاردة غاضبة حول المنزل. فنادى والده من المطبخ:

- مهلًا! "تيوماس"! اهدأ قليلًا!

فهمس "تيوماس" للكلب ليهدأ، كان الأمر أشبه بوجود أخ. وفكر أن يطلق عليه "تيدي".

104

كان هذا هو المتجر الرابع الذي لم يكن فيه آلة تفريغ الهواء، وكان الوقت ينفد من "سونيا"، إنها الحادية عشرة وعليها أن تكون في "هيثرو" في الثانية، وقد أجّلت خروجها من الفندق وتركت حقيبة المخدرات تحت السرير، بعلامة عدم الإزعاج معلقة على مقبض الباب.

أخذتها سيارة الأجرة في جميع أنحاء المدينة، وهي تبحث عن الآلة دون فائدة، عليها الآن أن تجد طريقة أخرى. شغلت تليفونها ذا خاصية الدفع الفوري واتصلت بـ"ثورجير".

سألها:

- ماذا تريدين؟

أوضحت له أنها بحاجة إلى يوم إضافي لحزم الشحنة كما ينبغي، للتأكد من مرورها بأمان. قال:

- انسي الأمر.

استطاعت "سونيا" معرفة صوت تناوله المخدرات، بدا سريع الانفعال ومزاجه متعكرًا، وكان الوقت لا يزال مبكرًا. لن يكون ذا فائدة لو حاولت التحدث إليه في وقت لاحق في اليوم.

- من فضلك يا "ثورجير"، سأحضرها غدًا.

- إذا لم تأتِ إلى هنا الليلة، فسيذهب "ريكهارثور" في نزهة أخرى مع الصبي، لكن هذه المرة، لن يحضر له المثلجات.

أنهت "سونيا" المكالمة وقلبها ممتلئ باليأس. كان من السهل التعامل مع "ثورجير" دائمًا في السابق، وسَمح لها أن تفعل الأشياء بطريقتها، والآن بعد أن تغير كل ذلك، عرفت أن تهديده لم يكن فكرةً عظيمة، وانبثق في ذهنها صورة النمر يحرك ذيله القوي ذهابًا وإيابًا.

رمشت "سونيا" بعينيها الجافتين وحاولت أن تفكر بوضوح، فلم تنم طوال الليل، تملكها الأرق بينما دارت الأفكار المظلمة في عقلها، وأصاب جسدها ألم التوتر. بدت عالقة في الفخ أكثر من أي وقت مضى، كسمكة معلقة في شبكة

صيد، تقاتل لتحرير نفسها، لتجد أنها أصبحت أكثر انغماسًا فيها. كان دائمًا خوفها من أن يتصرف "ثورجير" و"ريكهارثور" بناءً على تهديداتهم مع ابنها، لكنها لم تصدق أبدًا أنهم سيفعلون ذلك حقًّا، اشتد بها الألم حين فكرت كيف قضى "تيوماس" اليوم بأكمله مع "ريكهارثور"، ثم كذب على والده حول المكان الذي كان فيه، ستتحقق منه عندما تتاح لها الفرصة بلطف، لأن ذلك كان أفضل أسلوب مع "تيوماس"، لمعرفة ما حدث خلال الساعات التي قضاها مع "ريكهارثور". ثم ستفعل كل ما في وسعها لتضمن عدم حدوث ذلك مرة أخرى. لكن السؤال الأكثر إلحاحًا الآن: كيف؟ كيف تعيد الشحنة إلى أيسلندا؟ كان لديها ساعتان فقط لتعرف، عليها إيجاد فكرة، وبسرعة.

طلبت من سائق التاكسي أن يعيدها إلى الفندق، ومن هناك ركضت إلى أحد متاجر شارع "أكسفورد". انتقلت من ممر إلى ممر بحثًا عن شيء يمكنها أن تغلف فيه الكوكايين. لحسن الحظ، كان في هيئة مسحوق هذه المرة، لا القطع التي حملتها من قبل، لذا يجب أن تجد نوعًا من الحاويات لتعبئته.

فحصت حبوب البن بعناية، لكنها كانت كلها في علب معدنية، ويمكن لمجموعة من الأسطوانات في أمتعتها أن تبدو على الماسح الضوئي كالمتفجرات، مما يعني أنه سيتم فتح العلبة في "هيثرو". تجاوزت صفًّا آخر من الرفوف ووجدت نفسها عند الثلاجات، فعادت وتعمقت في المتجر، وتفحصت الرفوف بحثًا عن أي شيء يناسب غرضها. ماذا سيحدث إذا لم تجد شيئًا واضطرت السفر بالشحنة معبأة بشكل سيئ، وأصدرت الماسحات الغبية صافرة الإنذار عند مرور حقيبتها؟ أو ماذا لو أمضت وقتًا طويلًا في حزم البضائع وفاتتها رحلتها؟ في كلتا الحالتين، سيرسل "ثورجير" "ريكهارثور" لإحضار "تيوماس". هل سيعاقبونها حقًّا بإيذائه؟ كافحت "سونيا" من أجل التنفس، فقد منع التوتر داخلها من أن يدخل الهواء رئتيها. كانت متأكدة من أنها كانت على وشك الإغماء.

سألتها امرأة في منتصف العمر وهي تمسك ذراع "سونيا" بخفة:

- هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟

نجحت "سونيا" في التقاط أنفاسها. كانت على آخرها لدرجة أنها أرادت رمي نفسها بين ذراعيَّ المرأة. وفي تلك اللحظة، رأت ما كانت تبحث عنه.

لفظت أنفاسها وقالت:

- سأكون بخير، شكرًا، كنت فقط أبحث عن هذا.

وأشارت إلى صف من أوعية بلاستيكية بها خلطة لصنع الوافل، فأسقطت المجموعة بأكملها في سلتها. حدقت المرأة بها في دهشة وقالت:

- حسنًا، أنتِ حقًّا تحبين الفطائر.

كان من المريح العثور على الحاويات المناسبة. كل ما تحتاجه الآن بعض الأشياء الأخرى لتتمكن من تغليف البضائع بسرعة وأمان. بحثت في المتجر، وأسقطت فويل تغليف شفاف، وأكياسًا بلاستيكية، وقفازات يمكن رميها، بالإضافة إلى بعض علب القهوة، قبل التوجه إلى مكان الدفع. كان الصف قصيرًا، ولكن يبدو أنه استغرق دهرًا. انحنت "سونيا" إلى الأمام لمعرفة ماذا كانت المشكلة، رأت أنه نظام الخدمة الذاتية، وكالعادة انتقل أحد موظفي المتجر من عملية دفع إلى أخرى لمساعدة العملاء. يبدو أن كل شخص احتاج إلى مساعدة. ضغطت "سونيا" على أسنانها ونظرت إلى ساعتها، تبقى لها تسعون دقيقة.

حين جاء دورها، هرعت إلى الماكينة، ووضعت بسرعة الرمز الشريطي الخاص بأوعية خليط الوافل على الماسح ليقرأها، ولكن عندما وصلت للقهوة، رفض الماسح الضوئي التعرف على العبوات، فمسحت العبوة وحاولت مرة أخرى، ثم حاولت في عبوة أخرى، كل مرة بالنتيجة نفسها، وأصدرت الآلة نغمة

غريبة بدلًا من صوت الرنين الذي أصدرته حين قبلت منتجًا بنجاح. بحثت "سونيا" عن أحد المساعدين، فرأت أن الرجل كان مشغولًا في عملية دفع أخرى في الطرف الآخر من المتجر، وللحظة خطرت لـ"سونيا" فكرة تعبئة الأشياء في حقيبة وتمشي دون أن تدفع لتوفر لنفسها بعض الوقت، ولكن هذا قد يعني تأخيرًا أطول، فلم يكن الوقت مناسبًا لقضاء ساعات في مركز شرطة لندن وهي تفسر جريمة سرقة بسيطة، كان هناك الكثير على المحك.

حاولت مسح القهوة مرة أخرى، لكنها لم تعمل، فقررت ترك القهوة وفحص بقية الأشياء، ولكن بعد ذلك رفضت الآلة مسح القفازات، كانت ضرورية. وفجأة بدأت تلهث، وحاربتها عضلات صدرها، كانت متأكدة أنه لا يصلها ما يكفيها من الأكسجين، وقبل أن تدرك ذلك، زمجرت بإحباط ثم ركلت الآلة. أسرع إليها البائع وخلفه حارس أمن، كلاهما يطلب منها أن تهدأ، وإلا سيتم اصطحابها خارج المبنى.

تمتمت "سونيا" مرارًا وتكرارًا وهي تحاول توضيح أن لديها طائرة عليها أن تلحق بها:

- أنا آسفة، أنا آسفة للغاية.

فقام المساعد بفحص القهوة والقفازات لها، وتولى عملية الدفع بينما كان حارس الأمن يراقب ما يحدث بعينين ضيقتين. وواصلت "سونيا" الاعتذار طوال الوقت.

تمنت أن تشرح لهما الرعب الذي بداخلها، وأن تقول لهما بأنه إذا لم تلحق هذه الرحلة، فسيكون هناك خطر على ابنها؛ ابنها الذي كان أمل كل حياتها.

105

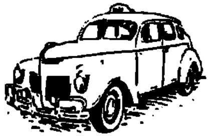

لم يكن لديها فرصة لتبديل الحقائب، وليس هناك أي طريقة لتكون في المطار مبكرًا بما يكفي لمراقبة الشخص الذي كان سيتحقق من حقيبتها. فكرت بالفعل في أخذ رحلة المساء بدلًا من هذه، لكنها تم حجزها بالكامل، لذلك كان عليها أن تلتزم برحلة الظهر التي معها تذكرتها، كل ما يمكنها فعله الآن هو أن تأمل في تحقيق الأفضل وأن تثق في حظها. عرفت أنها ليست طريقة ذكية للعمل، نادرًا ما كان الحظ حليفًا لأشخاص مثلها.

بالعودة إلى غرفة الفندق، أفرغت "سونيا" أوعية خليط الوافل واحدًا تلو الآخر في الحمام، وهي تعلم طوال الوقت أنها لا تفكر بطريقة صحيحة، فلحظة تتساءل إن كان هناك خطر بالفعل؛ وتتصرف بهستيريا، ولحظة أخرى تفكر أنه من الجنون أن تأخذ الكثير من المسحوق إلى أيسلندا دون سابق تحضير. ولكن كان عليها أن توازن هذا مع مخاطرة ترك "تيوماس" لـ"ريكهارثور". لم تملك حتى طريقة لمعرفة إذا كان "ثورجير" يعني حقًا ما قاله، أن "ريكهارثور" قد يؤذي طفلًا، لكنها لم تجرؤ على خوض التجربة، فهي تذكر جيدًا كيف عاملها "ريكهارثور". وفضلت المخاطرة بالسجن على تعريض "تيوماس" للمعاملة نفسها.

فبعد التفكير في كل الاحتمالات، قد يكون أفضل حل لابنها إذا انتهى بها المطاف في السجن، وهو بالتأكيد جنونٌ منها، لكن ذلك أفضل من أن يكون لها أي علاقة بالطفل وهي في ذلك الموقف. وكما أوضحت الأربع وعشرون ساعة الماضية، لا تسير تجارة المخدرات وتربية طفل بسعادة معًا.

خلعت "سونيا" ملابسها وكومتهم في زاوية الغرفة وارتدت القفازات، أفرغت مسحوق الكوكايين بعناية في الأوعية الثمانية لمزيج "الوافل". وكان ضيق الوقت

ميزة لها، فكلما تمت تعبئة البضائع متأخرًا، قل احتمال انتشار الرائحة، فرائحة الكوكايين تخترق كل نوع من البلاستيك بما يكفي لتنبيه الكلاب البوليسية، لكنه على الأقل كان يستغرق بعض الوقت. وإذا كانت حذرة وتأكدت من عدم وجود أي أثر خارج الأوعية، فستستغرق الرائحة بعض الوقت لاختراق البلاستيك السميك. وكان هذا بافتراض أن مصلحة الجمارك قد أحضرت كلابًا بوليسية جديدة.

أخذت الأوعية معها إلى الحمام، وغسلتها بعناية، ثم خرجت من الحمام وارتدت قفازات جديدة لوضع كل واحد في كيس بلاستيكي، وقامت بنثر القهوة في كل حقيبة، ولفت المجموعة بأكملها بالغطاء البلاستيكي الشفاف، ثم ألقتهم في حقيبة سياحية مزينة بصورة ساعة "بيج بن"، ووضعت منشفة الفندق ومعطفها في الأعلى.

كانت الساعة الواحدة تقريبًا عندما ركبت سيارة الأجرة للذهاب إلى المطار، كانت متأخرة، لكن يبدو أنها ستلحق برحلتها. شعرت بالغثيان عندما تحركت سيارة الأجرة، ففتحت النافذة لاستنشاق بعض الهواء. اجتاحت النافذة رائحة مكونة من مزيج روائح الطعام وأبخرة العادم وقليل من رائحة الأوراق الرطبة المتعفنة، ولكن دون كل ذلك، ووسط الهواء البارد، تمكنت من تحديد أثر ضئيل وخافت لقدوم الربيع.

106

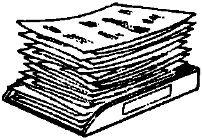

تركت "أجلا" لـ" إلفار" كل الحديث، لم يكن لديها ما تقوله على أي حال. تصدرت أفكارها زيارة "ماريا" في الليلة السابقة، وخصوصًا أسئلة علاقتها بـ"سونيا"، ونظرة التعاطف التي اخترقتها بعينيها، ومعرفة أن "ماريا"، وربما آخرين في مكتب النائب العام قد استمعوا إلى مكالماتها. وحين فكرت بجميع الأوقات

التي اتصلت فيها بـ"سونيا" وهي ثملة لتوبيخها ثم مغازلتها، استطاعت "أجلا" أن تشعر بتدفق الدم في وجهها، تأكدت من أن لونه كان أحمر ساطعًا تحت مكياجها.

جلس "إلڤار" خلف كومة من المستندات، أصبحت ضخمة الآن بعد أن قاربت سلسلة التحقيقات على النهاية. فهي مستمرة منذ شهور عديدة، وقد اكتملت تقريبًا. قبل ذلك كانت استعدادات النائب العام لقرار الاتهام في المحكمة الإقليمية، وسينظر "إلڤار" في إعداد دفاعها.

وقّعت "أجلا" الأوراق التي ناولها "إلڤار" إياها، وهي تومئ برأسها ردًّا على أسئلة المحقق "جوين " حول ما إذا كانت فهمت وضعها كمدعى عليها أم لا، وكل ما تبعه من تفاصيل. في الواقع لم تفهم كل شيء، لكن "إلڤار" سيشرح لها التفاصيل لاحقًا. أرادت فقط الخروج في أقرب وقت ممكن والهروب من نظرات "ماريا" الاستقصائية، ونظرة الانتصار على وجه المحقق "جوين" الباسم.

خلال الأسابيع المقبلة، لن يكون هناك شيء تدلي به، ولا أسئلة للإجابة عنها، ولا تقارير، وفوق هذا لن تحتاج إلى الذهاب إلى العمل، ولن يكون هناك "سونيا" لتعقد حياتها أكثر. كان من الجيد إنهاء ذلك الأمر قبل أن يعرف به العالم كله. لحسن الحظ كان موظفو النائب العام ملتزمين بقواعد السرية فيما يتعلق بحالة التحقيق، لذا لن يعرف أحد أمر صداقتها مع "سونيا".

وللاحتفال بعدم وجود أي شخص وأي شيء للتعامل معه بعد الآن، وأن هناك احتمالًا ضئيلًا أن يريد أي شخص العمل معها، قررت أن تمر بمحل الممنوعات في طريق عودتها إلى المنزل، للتخزين والإغلاق على نفسها بضعة أيام. قد تقوم حتى بالاتصال بـ"ثورجير" ليقوم بإحضار شيء من أجلها للترفيه قليلًا، فقد أرادت القيام بشيء لاستعادة نفسها.

107

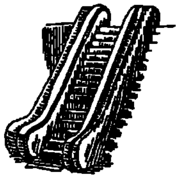

وقف "براجي" عند نافذة المراقبة وأحكم ربطة عنقه أثناء مراقبته السلالم المتحركة وصولًا إلى صالة الوصول. تركت الطائرة، وراقبها على أجهزة المراقبة وهي تمشي على طول الممر، ستظهر على السلم المتحرك في أي لحظة. تفاجأ حين رأى أنها ليست متأنقة كالعادة؛ ارتدت الچينز وحذاء مسطحًا، وكانت على عجالة من أمرها بطريقة لم يرها من قبل، فبعد أن شاهد الكثير من تسجيلات وصولها إلى أيسلندا، شعر أنه يعرفها جيدًا الآن، وفي هذه الليلة كان بها شيء غير عادي. أخرجت تليفونها بمجرد أن خرجت من الطائرة وجرت الممر كله تقريبًا وهي تتحرك بشكل ملحوظ أسرع من الركاب الآخرين، ولم تفعل شيئًا من هذا من قبل. استطاع "براجي" أن يشعر بالإثارة في كامل جسده، ووقف الشعر على مؤخرة رقبته حين ظهرت على السلم، فقد حان الوقت. وكان اليوم هو اليوم المشهود. حتى الآن تأرجح بين ضميره الذي انزعج لتفتيشها كثيرًا، وحدسه الذي أخبره أن هذه سمكة صيد كبيرة. على الرغم من ذلك، كان شعوره الغريزي، الذي كان يعتقد أنه بدأ يخيب ظنه، قويًا جدًّا الآن، ولم يعد لديه أي شك. كانت لاعبة خطيرة، وقد حان الوقت للقبض عليها متلبسة.

وحتى لا يمنحها أي فرص للألعاب البهلوانية مع الحقائب، خرج لصالة الأمتعة وذهب نحوها مباشرةً. لاحظت أنه ظل يقترب حتى عندما لم يتبقَ إلا خطوات قليلة بينهما. رأى تنهدها، كانت كبالون مثقوب. ترهل كتفاها وأسقطت حقيبة يدها على الأرض. من الواضح أنها كانت تتوقع هذا الاستقبال بالضبط.

سألها بأدب ولكن بحزم:

- هل يمكنني أن أطلب منكِ أن تضعي حقيبتكِ على السير الناقل؟

وبحالةٍ مزرية، استسلمت وأشارت إلى حقيبة رياضية قبيحة مزينة بأشهر ساعة في لندن، ثم تبعته إلى غرفة التفتيش دون التفوه بكلمة.

108

لسبب ما، أرادها الضابط أن تجلس على الجانب الآخر من الطاولة هذه المرة، فقام بمجهود لتحريك كرسي إلى الطرف الآخر من الغرفة ووضعه بمقابلة الحائط، ثم وقف حول الطاولة المعدنية، وارتدى قفازات "اللاتكس" وفتح حقيبة يدها.

شعرت "سونيا" بتضارب في المشاعر؛ بالارتياح لأنه بدأ بحقيبة اليد بدلًا من الذهاب مباشرة إلى الحقيبة الرياضية، لأن ذلك سيؤخر انهيارها الحتمي للحظات قليلة، لكنها أرادته أيضًا أن ينهي الأمر حتى تتحرر من هذا الضغط الرهيب. ومع ذلك لم يكن في عجلة من أمره، فقد أخرج كل شيء من حقيبتها وصفَّ كل شيء على الطاولة، ثم قام بقلب الحقيبة رأسًا على عقب، وهزَّها، وفصل الجيب الخارجي، وتحسس بيده في حالة كان شيء في الداخل، ثم أعاد كل شيء إلى حقيبة اليد، ببطء، كما أخرجها كلها، ثم وضعها جانبًا.

أتى دور الحقيبة الرياضية، فنظر إليها، وتأكدت "سونيا" أنها رأت الترقب في تعبيراته، وكأنه يعلم أن هذه المرة سيوقع بها. كانت توقعاته في محلها، وبالنسبة إلى ضابط جمارك، يعد القبض على شخص بستة كيلوجرامات من الكوكايين هديته

لعيد الميلاد وعيد ميلاده دفعةً واحدة. كان رجلًا مسنًّا، الشخص نفسه الذي أوقفها مرتين من قبل. بدا شخصيةً منضبطةً ذات أسلوب هادئ، لكن بوجه لطيف. اعتقدت "سونيا" أنه على وشك التقاعد، وتساءلت إذا كان غالبًا ما يمسك بأشخاص يحملون مثل هذه الكمية. وهو يفتح الحقيبة الرياضية، علقت السوستة الرخيصة بضع مرات حتى اضطر سحبها بشدة، ثم فتح الحقيبة وأخرج معطفها، وقال:

- معطف.

ووضعه على الطاولة، تبعته منشفة الفندق وانضمت إلى المعطف على الطاولة، وتغيرت نغمة صوته حتى تساءلت "سونيا" إذا كان يتم تسجيلهما:

- منشفة.

نظرت حولها ورأت عدسة كاميرا مثبتة في السقف المقابل لهم مباشرةً، لكن بدا الأمر غريبًا أن يقف الضابط بظهره للكاميرا، مما يحجب النظر عن الحقيبة ومحتوياتها. نظر الضابط داخل الحقيبة حيث كانت الأوعية ملفوفة بعناية بالبلاستيك، فأخرج إحداها وأمسكها بالقفاز في يده، ثم سأل دون أن يبدو أنه وجه سؤاله إلى "سونيا":

- ماذا لدينا هنا؟

كان الأمر وكأنه يتحدث إلى نفسه، وأخرج سكين جيب وقطع الفويل الشفاف من على أحد الأوعية. قالت تعبيراته أنه كان يتوقع منها شيئًا أفضل، وكان على "سونيا" الاعتراف بأن إحضار الكوكايين في أوعية بلاستيكية كأي تاجر هاوٍ لم يكن شيئًا تفتخر به.

بلا شك كانت تلك الحقيبة الرياضية القبيحة بصورة "بيج بن" تُصوَّر الآن من كل زاوية ممكنة، كدليل إدانة، وكمادة لتقارير الأخبار التليفزيونية، لم يكن ذلك يوم حظها كمهرِّبة بالتأكيد. فتح الضابط غطاء الوعاء. وأخذ قليلًا من

المسحوق على طرف سكين، وأمسك قنينة بلاستيكية صغيرة في اليد الأخرى، وخلع غطاءها بإبهامه ثم أسقط المسحوق من السكين بداخله، ثم ضغط على الغطاء حتى سمع نقرته، ورج القنينة بقوة ورفعها إلى الضوء وقال:

- مئة بالمئة كوكايين.

ثم نظر إلى "سونيا" التي أومأت برأسها. اتسعت عيناها حين بلل طرف إصبعه بلسانه، وغمسه في المسحوق ووضعه في فمه، فهي تعلم أنه ليس من المفترض أن يفعل المسؤولون هذا النوع من الأشياء، ثم فرك بطرف إصبعه على اللثة فوق أسنانه ورفع حاجبه في عجب يقول:

- صافٍ تمامًا، أليس كذلك؟ لقد تخدرْت حتى أنفي.

ردت "سونيا":

- نعم، فهو لم يتم خلطه بعد.

وتساءلت متى يجب أن تطلب محاميًا، وهل كان عليها أن تطلب "ثورجير" أم شخصًا آخر. ثم سأل الضابط وهو يضع نظارته لقراءة الأرقام على القنينة:

- كم يوجد هنا؟

قالت "سونيا":

- ستة كيلوجرامات.

- إذن لديكِ قيمة ثلاث أو أربع شقق في المدينة داخل هذه الحقيبة؟

- أفترض ذلك، لم أفكر في الأمر على هذا النحو من قبل.

كان هذا صحيحًا، لم تتساءل "سونيا" أبدًا عن القيمة الحقيقية لما كانت تنقله، لم تفكر إلا بنصيبها، ولا بما يحدث للمخدرات بعد تسليمها. أعاد الضابط الغطاء على الوعاء، وأعاده إلى الحقيبة الرياضية. قالت "سونيا":

- هل أطلب محاميًا الآن؟

لكنه هز رأسه بالنفي، وقال:

- دعينا ننتظر لحظة، أريدكِ فقط أن تعرفي أن هذا الأمر لا يهمني كثيرًا، وأنني أفعله لأنني مضطر لذلك، لأن زوجتي مريضة جدًا.

وأدخل يده في جيبه وسلمها ورقة مطوية، فأخذتها وفتحتها.

كانت ورقة مطبوعة بجدول المناوبات، باسم "براجي سميث" أسفل قائمة التواريخ والأوقات. سألته وهي ما زالت لا تفهم ما يعنيه كل هذا:

- هل أنت "براجي سميث"؟

قال:

- نعم، وأعرض خدماتي كلجنة استقبال مقابل شريحة مقبولة من الكعكة.

ثم ساد صمت طويل بينهما.

لم تستطع "سونيا" تحديد المدة التي قضياها دون حديث في غرفة التفتيش، وهما ينظران إلى بعضهما بعضًا. كلاهما يحمل الشك في عينيه، و"سونيا" تنتظر التأكيد بأنها أساءت فهم أو سماع ما قاله، ثم قالت في النهاية:

- ماذا؟

لأنها ببساطة لم تتمكن من العثور على كلمات أفضل للتعبير عن نفسها. كان هناك صوت مزعج من الحقيبة الرياضية وهي تُقفل بسرعة. فقال:

- أنتِ حرة للذهاب.

أخذتها وانتظرت؛ ما زالت لا تصدق ما سمعت.

ثم همست مشيرة إلى العدسة خلفها:

- أليس هناك تسجيل لكل هذا؟

قال وهو يذهب إلى الباب:

- ليس بعد الآن.

مشيرًا لها أن تأتي معه.

وفي نهول، تبعته "سونيا" على طول الممر، ومرا من خلال باب إلى غرفة أخرى، ثم خلال باب ثانٍ، حتى صالة الوصول، فقد عبرت معها الكيلوجرامات الستة، وطريق إلى البلاد. شعرت وكأن هدية قد سقطت بين يديها، وقفت خارج مبنى المطار وأخذت نفسًا عميقًا من الهواء البارد. استطاعت أن تشعر بألم في بطنها، ولم تشعر برأسها.

109

كرر "ثورجير" للمرة الرابعة:

- عليكِ أن تدفعي له من حصتكِ.

كان ما زال يعاني دوارًا من أثر المخدرات، وكان يتحدث معها بلهجة غاضبة، هي نفسها التي استخدمها معها منذ أن هددت بإبلاغ مباحث المخدرات عنه.

همست "سونيا" بغضب:

- ألا تفهم كم هذا مهم؟ هناك طريق مفتوح عبر مطار "كفلافيك"، يمكنني إحضار عشرة أو خمسة عشر كيلوجرامًا في رحلة واحدة.

وقف "ثورجير" وأدار لها ظهره، ثم فتح ثلاجة صغيرة في زاوية مكتبه وأخرج بيرة، ثم سأل وهو ما زال غاضبًا:

- ما الذي يفترض أن نفعله بخمسة عشر كيلوجرامًا دفعة واحدة؟

- حسنًا، لما لا؟ يبدو أن هناك الكثير من الطلب.

أجاب "ثورجير":

- بالضبط، ليس هناك ما يكفي من الطلب، لم يعد الأمر كما كان قبل الأزمة، الأمر كله يتعلق بإبقاء العملاء المنتظمين سعداء واستمرار التدفق النقدي، فيكون الجميع سعداء عندما يكون الجميع سعداء.. فيظل الجميع سعداء.

بدا أن الدوار يؤثر حتى على صحة اختياره لكلماته، وفتح علبة البيرة وشربها دفعةً واحدة. قالت "سونيا" مستخدمةً نغمة الإقناع التي طالما نجحت مع "آدم":

- لا تدع غضبك مني يضيع منك فرصة جيدة يا "ثورجير".

وللحظة اعتقدت أن لها التأثير نفسه على "ثورجير"، فقد جلس ونظر إليها باهتمام. ثم قالت:

- أعرف أن لديك موزعين آخرين أيضًا، وأن هذا يزيد من المخاطرة، وأتفهم ذلك تمامًا، ولكن بهذا الطريق المفتوح، وبوجود ذلك الرجل، لا توجد مخاطرة، يمكنك التأكد من الحصول على بضاعتك، ويفوز الجميع. يمكنني أخذ بعض ما ينقله الآخرون إليك.

فرد "ثورجير":

- يا لكِ من حمقاء! أحقًا تعتقدين أن الآخرين ليس لديهم اتصالاتهم الخاصة، وطرقهم للقيام بالأشياء؟ صديقكِ هذا من الجمارك ليس مميزًا، كيف تعرفين أنه لا يستغل كل بغل آخر.

110

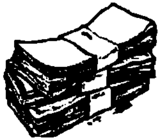

قالت "سونيا":

- هناك شيء واحد أريد أن أسألك عنه.

أغلق "براجي" المحرك واستدار لمواجهتها.

- هل هناك بغال أخرى تستمد منها النقود؟ أم أنا الوحيدة؟

فعلق:

- بغال؟! أهذا ما أنتِ عليه؟ بغلة؟

تجاهلت "سونيا".

- بغالٌ أو جِمَالٌ أو حمير، هل تهم التسمية؟ أنا في قبضة هؤلاء الرجال، أنا مدينة لهم وهذه هي الطريقة التي يجب أن أدفع بها ديوني.

- فهمت.

ثم أخرج مشطًا ومرره خلال شعره الرمادي، وقال بابتسامة:

- لا.

- لا ماذا؟

- لا، ليس لديَّ أي شخص آخر في هذا العمل، أنت الأولى والأخيرة.

وابتسم ابتسامة عريضة. لم تستطع "سونيا" إلا أن ترد الابتسامة في المقابل، ثم أوضحت:

- الأمر هو، يقولون إنه يجب أن أدفع لك من حصتي، لذا يجب أن تكون أقل بكثير من المبلغ الذي تريده.

فقال بحدة:

- لا يمكن.

ثم خف صوته مرة أخرى، وقال:

- قلت لكِ إنني بحاجة إلى ذلك المال، إنه لزوجتي، فهي مريضة جدًّا.

قالت "سونيا":

- أنا آسفة لسماع ذلك.

وكانت تعني ذلك، فقد شعرت بالحزن عليه بصدق، على الرغم من أنها تعرف أنه يجب ألا يكون التعاطف على قائمة أولوياتها، ولكن كان هناك شيء حوله جعلها تشعر بالأمان تجاهه. حدقا في صمت في غابة "أوسكيوليذ" من زجاج السيارة الأمامي لفترة من الوقت، ففي آخر النهار تحول الثلج على الفروع إلى اللون الرمادي، أو الفضي تقريبًا.

كسر "براجي" الصمت، وسألها:

- هل تحدثتِ إلى الرجل الذي يتخذ القرارات؟

قالت:

- لقد تحدثت مع مَن يدفع لي، أنا لا أعرف مَن هو أكبر رجل.

- هكذا هو الأمر إذن.

وفوقهم صوت طائرة صغيرة قادمة للهبوط على الأرض من طراز "سيسنا"، قادمة إلى المطار مباشرة من الغابة.

- إنه "ثورجير آلس"، أليس كذلك؟

عجزت "سونيا" عن الكلام لبضع ثوانٍ، ثم تلعثمت:

- كيف.. كيف تعرف ذلك؟

ابتسم "براجي" بلطف، ثم قال:

- لم يكن من الصعب معرفة ذلك، إذن من هو رئيس "ثورجير"؟

قالت "سونيا":

- لا أعرف.

لم تفكر في ذلك أبدًا، بقدر ما كانت تشعر كم هي متورطة، كان "ثورجير" يعد هو بداية ونهاية جميع مشكلاتها، فهو الشخص الذي اتصل بها من البداية، متظاهرًا بالمساعدة، كان هو الذي ألقى بها في الفخ، والآن هو صاحب الأمر والنهي.

قال "براجي":

- في هذه التجارة، معرفتك بمَن يعمل معكِ دائمًا ما تكون في اتجاه واحد فقط، وهي إلى أسفل، فالرجل في القمة يعرف مَن أنتِ، على الرغم من أنكِ لا تعرفينه، ولكن يمكنكِ المراهنة على أنه شخص مهم، دائمًا ما يكون كذلك حين يتعلق الأمر بكميات كبيرة مثل هذه.

ثم أدار السيارة، وأردف قائلًا:

- فإذا كنتِ تسعين وراء القوة، انظري إلى الأعلى.

111

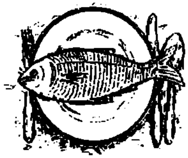

في طريقها إلى المنزل، شعرت "سونيا" فجأة بجوع شديد، فكرت في كل ما يمكنها طهيه بسرعة وسهولة، ولم توافق على أي صنف، فلم تكن في مزاج يسمح بشراء الطعام وطهيه. تضورت جوعًا، واستغاث جسدها من أجل الغذاء، لكنها لم تشتهِ شيئًا، وشعرت بالغثيان حين فكرت في الوجبات السريعة في المدينة. ما

أرادته حقًا هو الطعام المسلوق التقليدي، كسمكة مسلوقة مع البطاطس المسلوقة والزبد. بدت الآن الأشياء التقليدية المملة رمزًا للأمان الذي تبحث عنه. توجهت من "ميكلابروت" إلى المنحدر، ثم لتقاطع طريق زهرة البرسيم، عند المستشفى الوطني وعادت على طريق "ميكلابروت" مجددًا، متجهة غربًا هذه المرة، حيث دارت في شوارع البلدة الضيقة القديمة باتجاه الميناء.

في مطعم "سيجريفن" للأسماك، اختارت قطع سمك السلور من الثلاجة. أثناء شواء وجبتها أمامها، شعرت بلعاب فمها يسيل، وبمجرد أن كانت بين يديها، لم تنتظر أن تأكلها بالشوكة، بل أكلتها مباشرة من السيخ. قطّرت من قطع السمك الملتهبة بعض الزبد على ذقنها، توقفت عن الأكل فقط حين مسحتها بظهر يدها وهي تلتهم وجبتها كأنها فريسة. كانت أعصابها من حديد، لكن التوتر أبقى شهيتها مفتوحة دائمًا، وعندما وصلت إلى آخر قطعة ووقفت لتغادر، بدأت تشعر بالانتفاخ الشديد، وعلمت أن لديها الآن قرارًا مهمًا لتأخذه.

قد انقلب اندفاعها الشديد للحرية ضدها، وعليها الآن تقبُّل زيادة الحصص. ما قاله "براجي" كان صحيحًا بالتأكيد، فلم يكن "ثورجير" في القمة، يجب أن يكون هناك مَن هو أعلى منه.

بدا "براجي" متأكدًا من هذا. رأت أنه يجب أن يعرف الكثير عن هذا العمل، فإذا خرج "ثورجير"، قد تجد نفسها في مكانة أقوى للتفاوض مع مَن كان رئيسه. الأمر مشابه لعملية التظلم في أي شركة، ودائمًا ما كان الانتقال إلى القمة مربحًا. ولجعل هذا الأمر ممكنًا، كان سلاحها لا يزال بين يديها. ما زال الكيلو الذي هددت به "ثورجير" مخبأً في صندوق ودائعها الآمن. مع ذلك كان عليها أن تعترف أن هناك احتمالًا حقيقيًا، أن يكون الشخص الذي يحرك "ثورجير" في الجزء الآيسلندي من العملية أسوأ منه، وقد يكون لديهم من البلطجية أسوأ من

"ريكهارثور"، وربما حتى أسوأ من "خوسيه"، مع وحش بالقدر نفسه من الشراسة تحت تصرفهم، وقد تجد نفسها وسط جيش صغير من رجال العصابات؛ يقفون في طريقها، وطريق "تيوماس" أيضًا. لكنها لا تستطيع رؤية مخرج آخر في الوقت الحالي، فـ"براجي" أراد حصته، وبإصرار "ثورجير" على عدم التفاوض، كان الخيار الوحيد هو إزالة "ثورجير". لطالما اعتقدت أنها واقعة في فخ، لكنها في الحقيقة كانت شبكة، شبكةً يشتد إحكامها حولها كلما قاتلت لتتحرر منها.

كالعادة في الكثير من الأحيان، تتحول أفكارها إلى "أجلا". بحسب التكهنات الإعلامية، سرقت "أجلا" الملايين، إن لم تكن تريليونات من البنك، وحولتها إلى الملاذات الضريبية الآمنة في الخارج. دائمًا ما كانت تعرض على "سونيا" النقود، وفكرت "سونيا" أحيانًا أن تأخذها، أو تأخذ قدرًا ضئيلًا ثم تختفي خارج البلاد، وتأخذ "تيوماس" معها، تاركةً كل شيء آخر وراءها لتبدأ حياة جديدة. لكن كانت هناك عقبات لا نهاية لها في طريق تلك الخطة لم تستطع التغلب عليها. كيف يمكن لها قطع "تيوماس" عن الحياة هنا في أيسلندا؟ لم تستطع أخذه بعيدًا عن أصدقائه ولغته والبيئة التي يعرفها جيدًا، ووالده أيضًا، فعلى الرغم من أنها أرادت إبعاد "آدم" عن حياتها، كان لا يزال والد "تيوماس" وسيظل كذلك دائمًا.

اتخذت قرارها؛ حان الوقت للإطاحة بـ"ثورجير" وانتظار ما سيحدث.

112

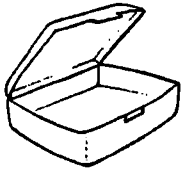

قال "براجي":

- اتركي لي الأمر.

ووافقته.

جلسا في سيارته بمكان مقابلتهما، "أوسكيوليذ"، وعلى الرغم من ذلك، لم تقوَ على إعطائه الكيلو. كان الأمر سخيفًا. شعرت "سونيا" أنها تودع أمانها، وكأن كيلو الكوكايين الذي جمَّعته تدريجيًّا عن طريق إخفاء كمية صغيرة من كل شحنة نقلتها، صمام ضغط، أو ضمان يمكنها دائمًا استخدامه إذا حدث الأسوأ، وكان اعتراضها تمامًا على تسليم كل ما تملك من الهيروين لشخص بالكاد تعرفه، فيمكنه ببساطة أن يختفي به ويبيعه بنفسه، وهذا سيتركها خاوية الوفاض ومحاصَرة بطريقة أقوى من قبل، وهذه المرة "ريكهارثور" و"ثورجير" غاضبان، دون وجود طريق واضح للهروب. أمسكت "سونيا" بالصندوق البلاستيكي الذي يحتوي على الكيلو بإحكام لدرجة تغير معها لون أصابعها.

ثم سألت:

- كيف سيحدث ذلك؟

رد "براجي" بلطف:

- كما أخبرتكِ، لديَّ اتصالات، ويمكنني التأكيد أنه سيتم اقتحام مكتب "ثورجير آلس" بمجرد وضع هذا في مكانه هناك.

وأشار إلى الصندوق في يديّ "سونيا".

- ثم ستتخلصين منه.

- و"ريكهارثور"؟

- اتركي لي هذا الأمر، لن يزعجكِ "ريكهارثور" لفترة.

كان صوته عميقًا ومطمْئنًا، وأرادت "سونيا" الاستناد على كتفه والبكاء. كان هناك شيء حول شعره الرمادي وهذا الصوت العميق جعلها تريد أن تثق به، وأعطاها شعورًا بأنه يريد مساعدتها، بينما يمكنه حقًّا أن يكون معتديًا آخر، شخصًا آخر أراد منها جزءًا، وأراد أن تزيد نصيبه من الأرباح. فقالت:

- لقد استغرقت وقتا طويلًا لجمع كل ذلك، إنها بوليصة تأميني.

أومأ "براجي" وقال:

- أفهم ذلك.

ومد يده.

قامت "سونيا" بتجميع قواها، وسلمته الصندوق، وقالت:

- شيء آخر؛ لا تبدأ فعل أي شيء إلا بعد الثالثة غدًا، فسيكون "تيوماس" معي، إنه ولدي الصغير، سنظل داخل المنزل خلال عطلة نهاية الأسبوع، لذا سنكون بأمان.

أومأ "براجي" مرة أخرى. حين خرجت "سونيا" من سيارته، شعرت أن الأرض ترتجف تحت قدميها، وللحظة كانت وكأنها تحلق في الهواء.

113

قال "براجي" بمجرد أن جلس أمام مكتب "هالجريمور":

- ذكرت أنه يجب أن أخبرك إذا سمعت أي شيء عن "ريتش ريكي".

قال "هالجريمور" دون أن يرفع رأسه من شاشة الكمبيوتر أمامه:

- لقد فعلت، وكلانا يعرف لِمَ يسمى "ريكي الثري".

تلك هي الطريقة التي تعاملا بها دائمًا: مباشرين ومحددين.

قال "براجي" وقد أعدَّ قصته جيدًا حتى إنه لم يتمكن من معرفة الفرق في صوته وهو يكذب:

- دعنا نقول إنني كنت على اتصال مع "ريكي"، وقد أشار إلى مجرم لديه مخزون من البضائع: "ثورجير آلس".

ثم رفع عينيه من الشاشة واعتدل ثم سأل:

- كمية كبيرة؟

أجاب "براجي":

- لم يكن متأكدًا، لكن إذا قام فريق المخدرات اليوم بمأمورية، سيجدون جائزة كبيرة، بل جائزةً كبرى.

- لطالما ظننت دائمًا أن "ثورجير" هو مجرد وغد يتقاضى الكوكايين مقابل الدفاع عن البغال في المحكمة. هل أنت متأكد أن "ريكي" ورفاقه لم يوقعوا بـ"ثورجير" فقط للتخلص منه؟

- لست متأكدًا. من الواضح أن الوقت قد حان لخروج "ثورجير" من اللعبة، لكنني أعتقد أن خلافاتهم تعني أنه يمكنك تحقيق نتيجة كبيرة إذا طرقت بابه.

فقال "هالجريمور":

- كمية تزيد عن استهلاكه الشخصي؟ يجب أن تكون كذلك إذا كنا سنقتحم ونفتش منزله.

قال "براجي" مبتسمًا:

- أعتقد أنه يمكنني أن أؤكد لك أن هناك ما يكفي لذلك إن اقتحمت في الحال، وبخاصة إذا ركزت على القبو.

حدَّق "هالجريمور" للحظة في منتصف المسافة وهو يفكر ثم قال في هيئة سؤال:

- و"ريكي" لا يريد للخبر أن ينتشر أنه هو مَن كشف السر؟

مال "براجي" إلى الأمام وخفض صوته وقال:

- سيقدر الأمر إذا ذُكِر في ملف القضية، وعُرِفَ على نطاقٍ أوسع، أن "ريكي" هو الذي أفشاه.

- إذًا فـ"ريكي" يريد خروج "ثورجير"، وتريد أنت خروج "ريكي".

- يمكنك أن تقول هذا.

- هممم.

نظر "هالجريمور" بتأمل في "براجي" للحظة ثم أومأ برأسه، ووقف "براجي" وذهب دون أن يقول كلمة أخرى.

114

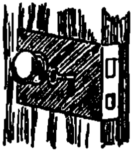

قال "تيوماس" بصوت أعلى من موسيقى "السالسا" المرتفعة:

- إنه لطيف للغاية!

وضحكت والدته. لطالما غمرتها السعادة عندما كان معها، وأضحكها كل ما يقوله أو يفعله.

- إنه ناعم ولطيف للغاية، ويقوم بكل أنواع الحيل ويمكنه المشي على ساقيه الخلفيتين، ويدعى "تيدي".

لفت والدته بضع لفات "تشا تشا تشا" على الأرض، والتف "تيوماس" حولها، وقفز على الأريكة ولوح بيديه فوق رأسه. أمسكته والدته، ورفعت قميصه وأخذت تنفخ ببطنه وتدغدغه بينما تلوّى وصرخ ضاحكًا، ثم قفز مرة أخرى على الأرض وأمسك يديها، يحاول أن يتبعها في بعض خطوات "السالسا"، وعندما انتهى اللحن وقع كلاهما على الأريكة، يضحكان وهما متعرقان، ثم قالت:

- أنت أفضل ما لديَّ في العالم كله.

ضحك "تيوماس" وقال:

- وأنتِ المفضلة لديَّ، أنتِ والكلب.

ضحكت والدته وقبلت شعره، وقالت:

- يمكنك اختيار ما سنتناول للعشاء من الحقائب وسأصلح الباب.

ذهب "تيوماس" إلى المطبخ وبدأ بالبحث داخل حقائب التسوق، قالت والدته إنهم سيقضون عطلة نهاية الأسبوع بأكملها في البيت وأنه يجب عليهم شراء كل ما

يحتاجونه. فملؤوا عربة التسوق بكل أنواع الطعام والوجبات الخفيفة. كان هناك الكثير، والآن لم يعرف "تيوماس" ماذا يختار للعشاء. وضع طبقًا من البيض على الرخامة، فيمكن لوالدته أن تحضِّر الأومليت مع المشروم، حيث اشتريا سلة بأكملها، وربما يمكنهم تحضير الـ"إسباجيتي" أيضًا.

ناداها وقال:

- ماما! هل من الجنون حقًّا أن نأكل البيض والمكرونة معًا؟

لم يسمع ردها بشكل صحيح، فخرج إلى الصالة ورآها راكعة عند الباب تحمل مسامير بين أسنانها، وتركب حلقة حديدية كبيرة على الباب. فسألها:

- ماذا تفعلين؟

أسقطت المسامير من بين شفتيها لتجيبه، وهي تلتقط القطعة الحديدية لتريه إياها:

- أحاول فقط أن أجعل المكان أكثر أمانًا.

وأوضحت قائلة:

- هذا قفل حديدي، وهو أكثر أمانًا من السلسلة.

أمسكت شنيور، ووضعته في الكهرباء، ثم بدأت في إحداث ثقب في الجدار بضجيج يصم الآذان. كان كبيرًا جدًّا في يديها، وكانت بحاجة إلى دفعه بكل قوتها، فتطاير الغبار من الحائط إلى شعرها، وشَعَر "تيوماس" بالأسف على والدته، على الرغم من أنها قالت إنها ليست بحاجة لرجل، إلا إن وجود أحدهم لكان مفيدًا الآن.

وفي اللحظة التي توقفت فيها عن الحفر في الجدار، طرق الباب، تفاجأت والدته بشدة لدرجة أنها جلست على الأرض ثم قالت من وراء الباب:

- مرحبًا؟

بدت خائفة، وللحظة استحوذ الخوف على "تيوماس" أيضًا، هل يحاول شخص خطير الدخول؟ ربما لهذا السبب كانت أمه تضع قطعة القفل الحديدية هذه هناك.

تبخر خوفه عندما سمع صوتًا رفيعًا يتمتم بشيء غيرِ واضح من الممر خلف الباب.

قالت والدته بارتياح واضح وهي تفتح الباب:

- إنها جارتنا.

كانت المرأة ترتدي روبًا وتمسك طبقًا:

- أردت فقط أن أشكركِ لإصلاح "اللاب توب"، لا أعرف حقًّا ماذا فعلتِ به، لكن هذه الماكينة مختلفة تمامًا الآن، أصبح أفضل بكثير!

قالت والدته:

- لقد زودت سعة الذاكرة فيه.

تنهدت المرأة وقالت:

- حسنًا، إنكِ ذكية جدًّا.

وامتلأت عينا "تيوماس" بالفخر. قدمت الطبق مرة أخرى وقالت وهي تنظر إلى "تيوماس" بابتسامة:

- كنت أعلم أن الفتى سيكون هنا معكِ في نهاية هذا الأسبوع، لذا اعتقدت أن كعكةً ستكون مفيدة.

قالت والدته وهي تأخذ الطبق:

- إنها فكرة جميلة، أليس كذلك يا "تيوماس"؟

أومأ "تيوماس" بالموافقة، وابتسم للمرأة التي أرسلت له قبلة في الهواء.

قالت والدته:

- سيقضي "تيوماس" على هذه الكعكة في الحال. الأولاد في سنه لا يشبعون أبدًا.

قالت الجارة:

- كلنا نعرف هذا.

115

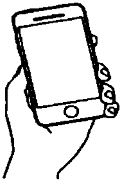

همست "سونيا" في التليفون:

- كيف جرى الأمر؟

كان "تيوماس" يلعب في غرفة المعيشة، وأغلقت باب المطبخ خلفها عندما اتصل "براجي".

أجاب:

- تم اعتقال "ثورجير"، لا يزالون يفتشون منزله، لكنهم وجدوا ما يكفي لإبقائه في الحجز لفترة من الوقت، على مَن يحركه أن يتواصل معكِ بنفسه الآن.

- أيمكننا التأكد من هذا؟ ماذا لو لم يحدث شيء؟

أكد لها "براجي" بصوته العميق الذي وجدته مطمْئنًا للغاية:

- فقط سترين، سيحدث شيء ما، لأنه لا يوجد الكثير ممن يجلبون بضعة كيلوجرامات في وقت واحد بطريقة منتظمة.

وأضاف:

- أنتِ مهمة حقًا.

مهمة؟ هي؟ لم يخطر ببال "سونيا" شيء كهذا من قبل، لطالما نظرت إلى نفسها على أنها ترس صغير في آلة ضخمة، بالنظر إلى كيف تعامل معها

"ريكهارثور" و"ثورجير"، شعرت أنها بالنسبة إليهم مجرد عاهرة لا قيمة لها، ولكن الآن بعد أن قال "براجي" بأنها مهمة، كان عليها أن تثق فيما قال. تساءلت كم سيستغرق الأمر قبل أن يتصل بها أحد. ربما لن يحدث إلا عندما يكون هناك نقص في الكوكايين، فيخبرها أحدهم أن تذهب لتحصل على المزيد، وربما لن يتصل أحد. تقلبت الفكرة في عقلها، ربما لم يكن هناك أحد وراء "ثورجير"، ولن يكون هناك طلب لرحلة أخرى، وعندها تكون قد تحررت من فخ واحد فقط، لتُحبس في آخر، فما زال ضابط الجمارك يريد حصته، بالكاد تتخيل أنه قد يذهب وراءها لأقصى الحدود، ولكنها لم تجد طريقة لمعرفة ما يعرفه عنها، ربما لديه تسجيل من غرفة التفتيش، من وقت ما وجدت البضائع. وإن كان وامتلكه، سيكون موقفه سيئًا أيضًا، فمن غير المحتمل أن يستخدم ذلك ضدها.

الغريب حقًّا هو أنه عندما راجعت مشاعرها، وجدت أنها تريد مساعدته حقًّا، بسبب زوجته المريضة، أم أنها كانت تضحك على نفسها؟ ربما أرادت فقط القيام برحلة مختلفة؛ تكون فيها على يقين من مرورها عبر الجمارك بأمان، وبضغطٍ أقل. إذا كانت صادقة مع نفسها لن ترغب في أي ضغط على الإطلاق، فقد تجرعت التوتر، ربما لأكثر مما ينبغي.

قالت "سونيا" وهي تستعد لإنهاء المكالمة:

- سأخبرك عندما يحدث أي شيء.

قال "براجي":

- هناك شيء آخر، إذا كنتِ ترغبين في تهدئة أعصابكِ، يمكنكِ زيارة رجل موجود حاليًا في الجناح الثالث، قسم "بي٥" في المستشفى الوطني.

116

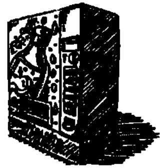

قالت "سونيا" لـ"تيوماس" وهي تعطيه محفظتها.

- أريدك أن تنتظرني هنا لبعض الوقت، وإن أردت يمكنك الحصول على شيء من ماكينة البيع الذاتي.

فأومأ برأسه وجلس في أحد الكراسي بصالة الجناح ممسكًا محفظتها، ثم ناداها وهي تمشي:

- كم يمكنني أن أنفق؟

فاستدارت له وأجابته:

- بقدر ما تحتاج.

كان "تيوماس" مهووسًا بماكينات البيع الذاتي، وعرفت "سونيا" أنه لم يهتم بالمحتوى كثيرًا قدر ما أعجبته عملية وضع المال والحصول على شيء في المقابل.

فتحت "سونيا" باب الممر حين وصلت إلى موزع المطهر المعلق على الحائط الذي شجعها شكله على استخدام ما فيه لتطهير يديها قبل أن تكمل طريقها، مشت في الممر وهي توزع الجل في يديها، وتبحث عن رقم الجناح، كان الجناح الثالث أمام مكتب الاستقبال، وعندما لم تجد "سونيا" أي موظف هناك، دخلت إلى الجناح.

بالكاد أظهرت ملامح الرجل أنه "ريكهارثور"، فقد تشوه وجهه بسبب تورم أخفى عينًا تمامًا، وهناك خياطة بطول ذقنه، تختفي غرَزُها في جلده المتورم، لكن أثرها واضح.

ستكون تلك ندبة مروعة تضاف إلى باقي الندبات على وجهه، وكانت كلتا ذراعيه في الجبس حتى المرفقين، ومن الصعب التحديد إذا كان الأزرق أعلى ذراعيه وشومًا أو كدمات. وثُبّتت ساق واحدة في جبيرة وعُلقت فوق السرير. عندما دخلت الغرفة أصدر "ريكهارثور" أنينًا منخفضًا، تأكدت "سونيا" أن هناك نظرة يأس في عينه المفتوحة.

قالت وهي تتكئ عليه:

- حسنًا، يعتقد زملاؤك أنك واشٍ.

فحاول التحرك وارتجف، وقال شيئًا لم تفهمه "سونيا"، فقامت برفع اللحاف لترى جثته الهامدة، ثم لهث وهي تقترب من وجهه وتحدق في عينه المفتوحة.

همست له:

- مَن الذي يضحك الآن؟

كان الأمر كيديًّا، وعرفت ذلك، لكنها لم تستطع منع نفسها من الاستمتاع باللحظة، وهي تحتفل بسلطتها على هذا الرجل الذي ارتعبت منه من قبل، وقد اجتمع اليوم الضرب والألم والإذلال والرعب الذي تسبب لها في حمم ساخنة من الغضب داخلها.

وكررت:

- ها.. مَن الذي يضحك؟ أجب.

ابتسمت ببرود لفترة طويلة بما يكفي ليراها، واستدارت لتغادر، وهي في مدخل الجناح، ابتسمت لها المرضة بود، كما لو كانت مجرد زائرٍ آخر، وردت عليها "سونيا" بأخرى، ثم خرجت إلى المر. تفاجأت من نفسها، توقعت أن تكون حالة الرجل المثيرة للشفقة في السرير قد اخترقت صمام العاطفة بقلبها وأثارت تعاطفها، لكنها لم تشعر بشيء من هذا القبيل، كان من الواضح أن السنوات القليلة الماضية لم تجعلها شخصًا أفضل.

117

همست "أجلا" بصوت غير مسموع تقريبًا وهي تستند على إطار الباب:

- آسفة جدًا.

كانت "سونيا" قد وعدت نفسها بعدم فتح الباب لـ"أجلا" مرة أخرى، لكن عندما نظرت عبر ثقب الباب ورأتها واقفة، بدا الأمر وكأن القرار تبخر فجأة، ففتحت السلسلة ورفعت القفل، وجاء "تيوماس" يركض مبتسمًا حين رآها.

قال بصوت مبهج:

- مرحبًا "أجلا"، هل تريدين أن تأتي للَّعب؟

نظرت "أجلا" إلى "سونيا"، التي نظرت بعيدًا ولم تقل شيئًا. وقالت:

- ليس الآن أيها الصغير، فلن أبقى طويلًا.

مدت يدها وربتت على شعره وهو يستدير ويعود إلى غرفة المعيشة. لم تفشل تصرفاتها الخرقاء المحرجة بتليين قلب "سونيا"، وقد تعارض تمامًا الصدق الذي أظهرته "أجلا" في علاقاتها بالأشخاص الذين كانت قريبة منهم مع جوانب شخصيتها الأخرى؛ كالمؤامرات الشريرة والغدر والدور الذي لعبته في البنك، والذي لم تعرف به "سونيا"، إلا بالقراءة عنه في الصحف باندهاش. كان هذا التناقض هو بالضبط ما أثار حبها لـ"أجلا" في بداية الأمر. لهثت في حمام إحدى الحفلات السنوية للبنك، وقالت وهي تضع يدًا واحدة في بنطال "سونيا":

- دعيني أمتعكِ.

كانتا ثملتين، ولم تقترب أي منهن للكوكايين. قبلها بأسبوع تبادلتا القبلات، كما لو كان عن طريق الخطأ، ومنذ تلك اللحظة لم تستطع "سونيا" التفكير في أي شيء آخر. كانت "أجلا" متلهفةً جدًّا، ويدها ثقيلة جدًّا، وفي عجلة من أمرها لا تعرف بماذا تبدأ، لكن "سونيا" وجدت هذه الحماقات مثيرة، جعلتها تشعر أنها أكثر شخص مرغوب فيه في العالم، إلهة مثالية يعبدها ويحبها شخص كـ"أجلا".

ولكن الآن، بينما تستند "أجلا" على إطار الباب وتعتذر، كما فعلت مئات المرات من قبل، كل ما رأت "سونيا" كان مصدر بؤسها كله، ومرت سلسلة الأحداث بأكملها في رأسها، فإذا لم تتقابلا هي و"أجلا" أبدًا، فربما لم يكن هناك طلاق من "آدم"، ولن تفقد حضانة "تيوماس" أبدًا، وبالتالي لم تكن لتقع في الفخ، فإذا تتبعت كل شيء، ستجد أن "أجلا" هي سبب كل مصائبها، أو لتكون أكثر دقة، كان الأمر كله بسبب مشاعرها تجاه "أجلا"، كل ما أرادته "أجلا" حقًّا هو الجنس، وخطأ "سونيا" كان الوقوع في الحب.

قالت بحدة وهي تحاول جعل صوتها لينًا:

- لا أستطيع أن أكمل في هذا يا "أجلا"، هناك نساء يمكنهم إعطاءكِ ما تريدين، لكنني لست منهن.

حدقت "أجلا" وفتحت فمها كما لو كانت على وشك التحدث، ثم استدارت وغادرت. أغلقت "سونيا" الباب برفق وأخذت أنفاسًا عميقة لتهدئة الفوضى داخلها، ثم انتظرت شعور التحرر الذي ملأها في آخر مرة طردت فيها "أجلا". لكن هذه المرة لم يكن موجودًا، فلعنتها في سرها، اللعنة على "أجلا" لقدومها إلى هنا والعبث بمشاعرها، اللعنة عليها.

118

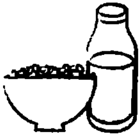

نادت "سونيا" من المطبخ وهي تصب الزبادي في صحن ليتناول وجبة الإفطار:

- احزم أغراضك يا "تيوماس"!

كانت هناك قهوة في القدر، وقد أسقطت شريحتين من الخبز في الــ"توستر" قبل فتح الثلاجة لتأخذ بعض الزبد. عزمت على الاستفادة لأقصى درجة بالساعات القليلة المتبقية معه قبل أن تعيده إلى المنزل في "أكرانيس". كان الجو لا يزال مظلمًا في الخارج. وارتجفت "سونيا" وذهبت إلى جهاز التدفئة وزادت من درجة حرارته، أصدر الجهاز صوتًا مريحًا بتدفق الماء الساخن داخله، ووضعت يدها على المعدن الدافئ لتشعر بالحرارة.

عادةً ما أراد "آدم" أن يكون "تيوماس" بالمنزل مساء الأحد، ولكن هذه المرة توسل الصبي إلى والده للبقاء ليلة أخرى، وقد استفادا من وقتهم الإضافي معًا، ولعبا "ماستر مايند" وقرآ القصص المصورة في السرير حتى بدأ "تيوماس" في التثاؤب. والآن أرادت أن تستمتع بالصباح الإضافي معًا، وهي جالسة بجانب المدفأة تشرب القهوة، وهي تبحث عن الكاريكاتير في الجريدة، وفي الوقت نفسه تتابع "تيوماس" وهو ينهي شرب اللبن الرايب، تمنت بما أنه ذاهب مباشرةً إلى المدرسة هذه المرة، ألا يكون مستاءً من تركها كالعادة، فهذه المرة قد يتمكنان من مواجهة الأمر دون دموع. سأل "تيوماس" بمجرد ظهوره في المطبخ، وهو يلوح بصورة أمامها:

- لماذا "سبونج" في صورتكِ وليس في صورتي؟

سألت "سونيا" وهي تأخذ الصورة منه:

- ماذا تقصد؟

كانت تلك التي وُضِعت في صندوق بريدها بإحدى الليالي؛ صورة فريق "أكرانيس" للناشئين، و"تيوماس" راكع في منتصف الأطفال ذوي التاسعة من العمر، و"آدم" في الخلف مع بقية الآباء، وعلى أقصى اليسار، "ريكهارثور".

- صورتي هي نفسها تقريبًا، ولكن بدون "سبونج"، لماذا "سبونج" في صورتكِ؟

- "سبونج"؟ مَن هو "سبونج"؟

شعرت "سونيا" بنبضات قلبها تبدأ في التسابق حتى سمعتها في أذنيها. وضع "تيوماس" إصبعًا على "ريكهارثور" وقال:

- "سبونج": صديق أبي.

119

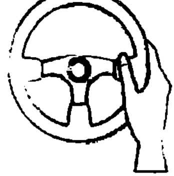

كان الطنين في أذني "سونيا" صاخبًا جدًا، بالكاد سمعت "تيوماس" وهو يتحدث عن كلبه في الكنبة الخلفية من السيارة، لقد اكتملت الصورة أمامها الآن، كان الأمر واضحًا للغاية، لكنها بطريقة ما ولانخراطها وتورطها الشديد بكل شيء، لم ترَ الحقيقة التي كانت جلية جدًا أمامها، "ثورجير" و"آدم" في المدرسة معًا، لماذا اتصل بها فجأة لعرض مساعدته في أمر طلاقها؟ كان من المنطقي أن يتصل بـ"آدم"، وفهمت الآن سبب إهماله لقضية الحضانة.

لم يكن الذنب ذنبها، ولم تكن أمًّا سيئة، بل لأن "ثورجير" كان يعمل لحساب "آدم" طوال الوقت. ضغطت "سونيا" على أسنانها من الغيظ، وآلمها التوتر الذي تصاعد بداخلها؛ آلمها جسديًا، وضغطت بقدمها على الأرض. ناداها "تيوماس" من المقعد الخلفي حين سابقت السيارة الرابعة عندما اجتازت "كيالارنيس":

- أمي! أنتِ تقودين بسرعة كبيرة! إنها تسعون، تذكري.

أرخت قدمها وأبطأت قليلًا، ثم هدأ "تيوماس" وأكمل ثرثرته مع الكلب؛ وعلى رائحته والألعاب التي لعبوها. أومأت "سونيا" برأسها وتمتمت بردود، متظاهرةً بالاستماع، بينما كانت تدور داخلها عاصفة من الغضب. و"ريكهارثور"، المعروف بـ"سبونج"؛ صديق الوالد، حسب كلام "تيوماس"، غالبًا ما جاء لزيارتهما، قال إنه رجل رائع حقًّا بكل الوشوم التي امتلكها.

تحسست "سونيا" تليفونها المدفوع الأجر وشغَّلته، وهي تنتظر الجرس الذي يصدر منه بفارغ الصبر، ثم بحثت في الرسائل ووجدت الرسالة التي أرسلها لها "ريكهارثور" في اليوم الذي اختفى فيه "تيوماس"؛ صورة له ولـ"تيوماس" ممسكين آيس كريم. فأعطت التليفون إلى "تيوماس" في الخلف وقالت:

- هلا تحققت من هذه الصورة؟ هل هذا "سبونج"؟

أخذ "تيوماس" التليفون المحمول ونظر فيه وقال:

- نعم، كان هذا عندما ذهبنا لجلب "تيدي"، وقال أبي إنه لا بأس من تناول الآيس كريم، على الرغم من أنه لم يكن يوم السبت!

تحول التوتر في جسم "سونيا" إلى إرهاق، فقد استنزف الغضب طاقتها. لم يتم اختطاف "تيوماس" قط، كما جعلها "آدم" تظن. كل شيء تم تخطيطه لإبقائها تحت إصبع الإبهام الذي هددها به "ثورجير"، تم القيام به لمناورة لها في الشبكة. ناداها "تيوماس" من المقعد الخلفي:

- أمي! لقد مررتِ من أمام المدرسة!

قامت "سونيا" بالانعطاف بذكاء وأوقفت السيارة خارج المدرسة. خرجت وفتحت الباب الخلفي ولفت ذراعيها بذهول حول "تيوماس"، فبدأ يقول:

- أمي..

ورأت في وجهه الحزن الذي رافق دائمًا لحظات الوداع. قالت:

- لا بأس، لا تبكي يا عزيزي، أنت فتى كبير. اذهب إلى المدرسة وفكر كم سيكون من الممتع رؤية "تيدي" مرة أخرى بعد ظهر هذا اليوم.

وسلَّمته حقيبته المدرسية وأوصلته للبوابة. كانت لحظات الفراق المؤلمة هذه، وكل آلام السنوات القليلة الماضية جزءًا من خطة "آدم" الكبرى.

مكتبة
t.me/soramnqraa

120

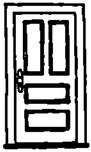

وقفت "سونيا" بثبات عندما فتح "آدم" لها الباب، شعرت بداخلها بعواطف كانت غريبة عليها، فتحت فمها للتحدث لكنها لم تصدر أي صوت، عجزت عن الكلام. في البداية نظر "آدم" إليها بدهشة لرؤيتها عنده، ثم اعتلى الغضب وجهه كظلال سوداء قبل أن ينعقد حاجباه ويلوي فمه بابتسامة، فرأت "سونيا" أنه فهم اكتشافها للأمر. قالت:

- كيف أمكنك أن تعامل شخصًا أحببته ذات مرة هكذا؟

فاجأتها نبرتها الباكية، لم تتوقع أن تكون بهذا الانصياع عند مواجهة "آدم"، لدرجة أنها كانت ستنفجر من الغضب، ولكن يبدو أن الإرهاق قد سيطر عليها الآن. ابتسم "آدم" ابتسامة عريضة وقال:

- إنه لأمر فظيع أن يتحول الحب إلى كراهية خالصة، ألا تظنين ذلك؟ ما رأيكِ في الخيانة؟

- أنا.. أنا لا أعرف ماذا أقول، لم أكن لأشك أبدًا في أنك قد تفعل شيئًا كهذا.

كان عقل "سونيا" في حالة اضطراب، وعواطفها في دوامة من الفوضى، بالكاد استطاعت السيطرة على أي منها، فلم تشعر إلا بالإغماء.

- النجاة يا عزيزتي "سونيا"، النجاة، كان عليَّ أن أفعل شيئًا لأبقى واقفًا على قدمي بعد الأزمة.

ضحك "آدم"، وذُهلت "سونيا" أنها وجدت هذه الضحكة جذابة ذات مرة، كانت دائمًا ضحكته هذه محط إعجاب كل مَن حوله عندما تخرج منه، أما الآن فكان صوت ضحكته مؤلمًا ومثيرًا للاشمئزاز.

وأكمل "آدم" حديثه قائلًا:

- ومع ذلك، يا له من عمل عظيم قمتِ به! لقد فاجأتِني، كانت صدمة أن أعرف أنكِ موهوبة في أي شيء على الإطلاق. تعلمين؟ كنت سأدعكِ تستمرين حتى يُقبض عليكِ، ثم سنكون قد تخلصنا منكِ أنا و"تيوماس".

كان ذكر اسم الصبي هو الحافز الذي حول إرهاقها إلى غضب مفاجئ، فهجمت على "آدم"، وكادت أن تمسك وجهه بيديها، لكنه أمسك بهما، وأمسكها بشدة. حاربت للهروب من قبضته، وصرخت بصوت عالٍ جدًا، فدفعها بعيدًا حتى تعثرت، وفقدت توازنها على الأرض الجليدية وسقطت على ظهرها في الثلج المبلل، تصرخ بغضب بينما وقف "آدم" في المدخل يضحك عليها.

- المضحك في الأمر، وعلى الرغم من أنه يؤلمني أن أعترف بذلك، أنكِ الآن أصبحتِ مهمةً جدًا بالنسبة إليَّ، وصديقكِ هذا الذي يعمل في الجمارك يبدو أنه سيكون مفيدًا حقًّا.

- لا تحلم أنني سأقوم برحلة واحدة لك أيها الوغد.

وبصقت "سونيا" في وجهه. قال "آدم" بهدوء:

- ستفعلين، هناك تسجيلات لكِ وأنت تأخذين مدفوعات من "ثورجير"، وليس مرة أو اثنين فقط، بل في كل مرة سلمكِ فيها نقودًا، ولن يكون الأمر لطيفًا إذا أخرج "ثورجير" ما يخفيه وأخبر الشرطة عن كمٍّ البضاعة التي جلبتِها إلى البلاد.

صرخت وهي تخرج تليفونها وتلوح به وهي تكافح للوقوف على قدميها:

- سأسبقك، وسأذهب مباشرة إلى الشرطة لأخبرهم القصة بأكملها.

نزل "آدم" بهدوء على السلم حتى وصل إليها، وانتزع التليفون من أصابعها، ووضعه في جيبها، ثم قال:

- أوقفي هذا العبث، أعلم أنكِ ستفعلين أي شيء لتمضية عطلات نهاية الأسبوع مع الصبي، ولا توجد عطلات نهاية الأسبوع في السجن، ستستمرين في العمل في مقابل عطلة نهاية أسبوع واحدة في الشهر.

- عطلة نهاية أسبوع؟ ليست عطلة واحدة يا "آدم"، هناك عطلتان للأم في كل شهر.

وقد بدأت الدموع تسيل على خديها. فرد "آدم" قائلًا:

- عطلة واحدة كافية؛ ليس من الجيد أن يقضي "تيوماس" وقتًا طويلًا معكِ.

- "آدم"، لا تفعل هذا.

قال:

- سنرى، إن أحسنتِ التصرف فقد نتمكن من إرجاعها إلى عطلتين في الشهر.

- أحسنت التصرف؟

- نعم، لقد أظهرتِ ما يمكنكِ القيام به، إنها لخسارة أن أفقد "ريكهارثور" لبضعة أسابيع، ولكن على الرغم من ذلك، فإن قليلًا من الانضباط لن يضره، سأدفع لرجل الجمارك الخاص بكِ وستحضرين ستة كيلوجرامات في كل رحلة. الشحنة التالية من كوبنهاجن، سأرسل لكِ العنوان، أريدها هنا في بداية فبراير.

- وإذا رفضت؟

قال "آدم" وهو يمد يده ويمسح دمعة من خدها:

- ليس لديكِ هذا الخيار، ستفعلين فقط ما يقال لكِ.

121

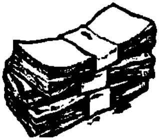

استيقظ "براجي" مبكرًا وجلس ينتظر خارج مكتب مديرة التمريض عندما وصلت إلى العمل صباح الإثنين، لقد انتظر فترة طويلة لهذه اللحظة ولديه كل الأسباب للقيام بذلك في الصباح الباكر.

سألت مديرة التمريض والقلق في عينيها وهي تنفض معطفها وتعلقه على خطاف خلف الباب:

- هل هناك خطبٌ ما؟

فأجاب "براجي":

- بل على العكس تمامًا، أحمل أخبارًا ممتازة.

فقالت مديرة التمريض وهي تجلس وتميل إلى الأمام، واضعةً كوعيها على المكتب:

- هذا ما أحب سماعه.

قال "براجي" بابتسامة:

- جئت لآخذ "ڤاليس".

لم تكن هناك ابتسامة في المقابل، وسألته:

- ماذا تقصد بأخذها؟ تعني أنك تريد نقلها إلى مكان آخر؟

قال "براجي":

- لا، سآخذها إلى المنزل.

بينما قال تلك الكلمات، طافت في ذهنه الصورة التي طالما حلم بها، تخيل عودته إلى المنزل ليجدها هناك، كان ليقبِّل رأسها ثم ينظر إليها، داخل منزلهما؛ ينظر إلى سعادته.

قالت مديرة التمريض وهي تفرك في كرسيها باحثة عن الكلمات المناسبة:

- كيف؟ لا أفهم كيف..

- لقد رتبت برنامج رعاية لمدة 24 ساعة؛ ثلاث نوبات للعناية بها.

ذهلت مديرة التمريض من المفاجأة، وأسندت ظهرها إلى الكرسي وقالت:

- هل يمكنني أن أسأل كيف جاءتك الفكرة؟

أجاب "براجي":

- إنها ليست فكرة خطرت لي في يومٍ وليلة، دعينا نقول إنني قد فقدت الأمل بالمساعدة من أي جهة منذ فترة، أنتِ تعيشين باعتقاد أن عملك هو ما سيأتي لإنقاذك عندما تحتاجينه، وتجدين أن معاشك بعدما عملت طوال حياتك بالكاد يكفي لتغطية ديونك، ثم تأملين أن يتولى رعايتك نظام التأمينات الاجتماعية، وتكتشفين أن الأمر يسير بطرقه الخاصة، مما يعني، على سبيل المثال، أن يجد الزوجان نفسيهما منفصلين عن بعضهما بعضًا.

بدأت مديرة التمريض في التوضيح:

- في حالة "ڤالديس"..

لكن "براجي" قاطعها، قائلًا:

- وفوق هذا كله تعيشين باعتقاد أنك ستجدين أطفالك حين تحتاجين يد المساعدة، ولكن عندما يتعلق الأمر بذلك، تكتشفين أنهم يعيشون في الجانب الآخر من العالم ويعودون في عطلة فقط كل عامين، ويأتون لاصطحاب أصدقائهم الأجانب في جولة سياحية، وهذا يتركونك بمفردك. فتدركين أنه عليك القيام بما يلزم لترتيب الأمور.

فبدأت تقول:

- إذا كان ذلك بسبب مشكلة الكدمات..

فقاطعها "براجي" مرة أخرى:

- هذا سبب منهم.

- عندما تتولى رعاية زوجتك بنفسك، ستكتشف أن الكدمات تترك أثرًا بسهولة كما أخبرتك عدة مرات، هذا بسبب الدواء الذي يجب عليها أخذه.

- سوف نرى.

- هل يمكنني أن أسأل كيف ستغطي تكلفة كل هذا؟

قال "براجي":

- لنفترض أنني محظوظ ووجدت طريقة لزيادة دخلي، بمبدأ أن الحاجة أم الاختراع وكل ذلك.

هزت مديرة التمريض رأسها بعدم استيعاب، ثم انحنت إلى الأمام ووضعت مرفقيها على الطاولة مرة أخرى، وقالت:

- أنا أنصحك بإعادة التفكير في هذا الأمر بعناية فائقة، حتى إن لم تكن النقود مشكلة، الكلام أسهل من الفعل حين يكون لديك مريض بـ"ألزهايمر" في هذه المرحلة في المنزل، ربما بعض النصائح من مصدر محايد..

فقال "براجي":

- لا، شكرًا لكِ، تم اتخاذ القرار، ويتم تحويل جزء من غرفة المعيشة لاستخدامها كغرفة لها، وقد قدمت طلب رعاية منزلية، وسيقوم طاقم تمريض بزيارتنا لوصف أدويتها ولتوجيه الفتيات اللواتي وظفتهن للعناية بها.

قالت مديرة التمريض:

- حسنًا..

رد "براجي":

- نعم، يمكنني الآن أخيرًا الاستمتاع بمنزلنا مرة أخرى.

بالكاد استطاع أن يمنع نفسه من الابتسام وهو يغادر، كان يعلم أنه يخاطر، لم ينبغِ أن يكون واثقًا للغاية بشأن أخذ "ڤالديس" من دار الرعاية، فلم يتضح بعد متى ستجلب "سونيا" المزيد من الشحنات، لكنه انتظر طويلًا لهذه اللحظة، لم يستطع الانتظار أكثر وهو يعلم أنها يمكن أن تكون مجددًا

مغطاة بكدمات سبَّبها لها أحد الخرقى. لم يقبل أن تضطر قضاء آخر أيامها بالعيش بهذه الطريقة. وفوق هذا لم يكن لديه فكرة عن المدة التي تبقت لها، لذا حان الوقت لاستغلال الفرصة ومواجهة المجهول.

122

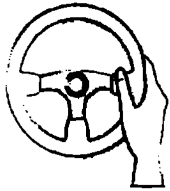

عندما جلست "سونيا" في السيارة خارج مدرسة "تيوماس" لمدة ساعة، توصلت إلى قرار، تبلورت أفكارها وعرفت ما يجب عليها فعله، كان الأمر بسيطًا، بمجرد أن رتبت أولوياتها، لم يكن من الصعب اتخاذ قرار، كان "تيوماس" أول هذه الأولويات، وقد أصبحت رؤيتها لحياتهما والصور الذهنية التي رسمتها لنفسها غير مترابطة، كالتفاصيل الصغيرة، والأحلام التي لا يمكن أن تتحقق أبدًا. وكان أهم شيء على الإطلاق هو ضمان سلامة "تيوماس"، وكانت الوحيدة التي يمكنها القيام بذلك.

كانت لا تزال مبتلة من الجلوس والبكاء في الثلج خارج منزل "آدم"، وقد انتفخ وجهها بعد ساعة من البكاء في السيارة خارج المدرسة، ولكن عندما جففت دموعها أخيرًا، بدا وكأن ضباب الحيرة قد تبخر، وما كان عليها فعله يبدو بسيطًا الآن.

فكرت أن هذه يجب أن تكون نقطة تحول، وهي تشاهد حياتها تمر نصب عينيها كما لو أنها فيلم، فقد رأت الأخطاء، وكيف تم الاستخفاف بقدراتها، ورأت الخوف أيضًا؛ الخوف الذي رسم مسار حياتها، ليس خلال العامين الماضيين فقط، ولكن طوال حياتها، طوال حياتها كانت خائفة من شيء ما، لكنها الآن ستودع الخوف إلى الأبد، فلا يجب أن يسيطر شيء على مستقبلها. كانت لتتخلى عن أي شيء

في مقابل ألا تستمر في حياة الفخ، ولكن الغريب في تلك الحياة أنها أمدتها بالقوة، واكتشفت، بعد أن اضطرت القيام بذلك، أن هناك ما هو أكثر مما كانت تشك فيه، وعرفت الآن أنها تستطيع الاعتناء بنفسها.

كان لا يزال "تيوماس" يحمل حقيبته من الليلة الفائتة للمدرسة، وكانت تحتوي على كل ما احتاجه، بما في ذلك جواز سفره، ذكَّرته بمدى أهميته معه في كل عطلة يأتي فيها لزيارتها، وقد أمضت شهورًا، في الواقع، وربما منذ اللحظة التي وقعت فيها في الفخ، تستعد لهذا اليوم.

123

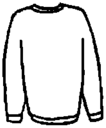

لاحظ "تيوماس" على الفور أن والدته بدت تائهة إلى حد ما، كان هناك شيء غريب بها حين جاءت لأخذه من المدرسة. طرقت باب الفصل ورفع الجميع وجوههم من كتب الرياضيات وهي تدخل، ثم تحققت أن هذه هي الغرفة الصحيحة، وبحثت بعينيها حتى رأت "تيوماس".

قالت للمعلم وهي تبتسم:

- لقد جئت لآخذ "تيوماس"، نسينا أن نقول إن لديه موعدًا مع الطبيب.

وعلى الرغم من أن "تيوماس" لاحظ أن هناك شيئًا غريبًا حول تلك الابتسامة، حزم أغراضه في حقيبته ووقف، فسأل المعلم:

- هل سيعود اليوم؟

كان هذا معلمًا بديلًا، وقد تولى الفصل منذ أن تعثرت "جوثرون"، مدرسة الصف المعتاد، من فوق رصيف جليدي وكسرت ساقها. اعتقد "تيوماس" أن هذا المعلم لا يزال صبيًّا، فكان نحيفًا جدًّا وهناك بقع على وجهه.

ردت والدته:

- لا أتوقع هذا، فالموعد في "ريكيافيك"، وسيأخذ الطريق ساعة في الذهاب والعودة، لذا من المحتمل أن الأمر لا يستحق العودة.

قال المعلم:

- حسنًا، وداعًا يا "تيوماس".

تمتم "تيوماس" مودعًا إياه، ثم تبع والدته إلى الممر، وأثناء ذلك سمع المعلم يطلب من الفصل أن يعود إلى عمله وإغلاق الباب خلفه. أخذت والدته معطفه وحقيبة ظهره من خطافها وأخذت تومئ برأسها وهي تنظر ناحية حذائه.

فسأل:

- هل أنا مريض؟

نظرت إليه في ذهول:

- ماذا؟

- لماذا يجب أن أذهب إلى الطبيب؟ هل أنا مريض؟

لم يكن "تيوماس" سعيدًا بهذا التغيير المفاجئ في الروتين المعتاد، فقد انتهت عطلة نهاية الأسبوع مع والدته، وكان من المفترض أن يعود اليوم إلى المنزل بعد المدرسة، وعلى الرغم من أنه كان دائمًا مسرورًا لرؤيتها، كان هناك شيء غريب حول هذا الأمر، ربما كان مريضًا بشيء خطير حقًّا ولا أحد يعرف غير والدته، ولهذا كانت تأخذه إلى الطبيب؟ ربما كان السرطان أو مرض السكر، أو حتى الحصبة؟ قال معلمه الجديد ذو الوجه المليء بالبقع أنه شيء خطير.

- هل أنا مريض حقًّا يا أمي؟

قالت وهي تمسك بيده وتقربه منها على طول الممر حتى البوابة الجانبية:

- لا، أنت لست مريضًا على الإطلاق يا حبي، سأشرح لك كل شيء بمجرد أن نكون في السيارة.

ثم اقترحت:

- هل نركض؟ تسابقني للسيارة؟

لم يحتج "تيوماس" إلى إعادة السؤال، وجرى بأسرع ما يمكن. كان هناك جليد في فناء المدرسة، وامتلأت الثلوج بمئات آثار الأقدام الصغيرة، فشعر بقدميه تنزلق تحته، ورأى والدته تفعل الشيء نفسه؛ تنزلق على الجليد، لكنه لم يترك ذلك يعطله وترك يديها في السباق نحو السيارة. لم يفهم لماذا عرضت السباق، فهي تعلم أنه يستطيع الركض أسرع بكثير منها. جلس "تيوماس" في السيارة وانطلقت والدته بالفعل قبل أن يربط حزام الأمان، فلم يكن هناك شك في أنها كانت في عجلة من أمرها، لأنها عادةً صارمة حقًّا بشأن قواعد السيارة. يجب أنهما كانا سيتأخران على الطبيب. سأل مشيرًا أنها مرت خلال تغير ضوء برتقالي إلى اللون الأحمر:

- هل سأجري عملية يا أمي؟

فقالت:

- لا يا حبيبي، سنذهب في رحلة إلى الخارج، لديك جواز سفرك في حقيبتك، أليس كذلك؟

124

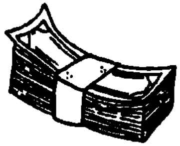

ألقت "سونيا" بعض الملابس في حقيبة، وحجزت التذاكر وطلبت سيارة أجرة. شاهدها "تيوماس" في ذهول وهي تجري وتلتقط الأشياء حول الشقة، كانت عيناه ضخمتين ومليئتين بالأسئلة، وحين رأتهما ارتبكت فجأة وأرادت إلغاء كل شيء، لكن لم تكن تلك لحظة للتردد، فقد اتُّخذ القرار، وكان عليها أن تلتزم به، وقالت في محاولة لإضفاء بعض البهجة على صوتها:

- لقد فكرت في الأمر فجأة، سيكون من الجيد لنا تمضية المزيد من الوقت معًا وقضاء عطلة.

تأكدت من صوت إغلاق الحقيبة، ثم أخرجتها والصبي إلى الممر وأغلقت الباب خلفها، وأسقطت المفاتيح في صندوق بريد جارتها، ستتصل بها لتشرح الأمر، أو على الأرجح ستختلق بعض الأعذار.

حاولت أن تبدو هادئة وهي تأخذ نفسًا عميقًا حتى وصل إلى بطنها، كانت في البنك، وأرادت دفع الموظف الذي كان يتمشى أمامها بكل عفوية لأسفل السلم، حتى صندوق ودائعها الآمن. عندما وصلوا أخيرًا إلى هناك، فتحه بمفتاح البنك، وغادر الغرفة لتفتحته بمفتاحها الخاص. أخرجت العلبة وألقت العملات الذهبية في حقيبة يدها، فأصدروا صليلًا داخلها، ثم قسمت رزم النقود إلى قسمين؛ رزمة للعملات الأجنبية والأخرى للكرونة. كانت رزمة العملات الأجنبية هي الأكبر، فقد استفادت من كل رحلة قامت بها إلى الخارج.

أخذت خمسمائة ألف كرونة، وهو الحد الأقصى الذي يمكنها تغييره منذ فرض قيود العملة، وستغيرها إلى دولارات في المطار. كانت تأمل أن يصلوا ما يقرب من أربعة آلاف دولار، لكن هذا سيعتمد على سعر صرف الكرونة، والذي قد يتقلب من يوم لآخر، ثم وضعت بقية النقود بظرف، وأسقطتها في حقيبتها. شكرت الموظف ثم صعدت السلالم بسرعة وعادت لجراج السيارات، إلى السيارة، حيث كان "تيوماس" يلعب لعبة على تليفونها.

توقفت على الرصيف بجانب المنزل، مع أن جراج السيارات كان فارغًا، بدت هذه الطريقة أسرع. كان أحد المنازل ذات الشرفات الصغيرة في منطقة "سمويبوثير"، مع جراج للسيارات، ومجموعة زهور كبيرة في الأمام، وحديقة في الخلف.

أخرجت "سونيا" الظرف المليء بالكرونة، وبحثت في حقيبتها عن قلم، ثم تركت رسالة على الظرف: "لن يكون هناك أي اتفاق، آمل أن يساعد هذا".
وفحصت اللافتة على الباب للتأكد من أنه المكان الصحيح: منزل "براجي سميث". وأدخلت الظرف في صندوق البريد.

125

شعرت "سونيا" أنها تتنفس بسهولة أكبر بمجرد اجتيازهما الفحص الأمني في مطار "كفلافيك"، على الرغم من أنها كانت تلتفت حولها باستمرار، كانت لا تزال هناك ساعة قبل انتهاء اليوم الدراسي؛ وسيعرف "آدم" باختفاء "تيوماس". بعد حديثهما ذلك الصباح، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ليضع الأمور معًا، ويكتشف أن "سونيا" قد أخذت الصبي. تساءلت عن مدى سرعة

تخمينه بأنها ستسافر به إلى الخارج. سينجحان، كانت متأكدة، ولكن على الرغم من ذلك، ترددت عيناها حول المبنى وأمسكت بيد "تيوماس" بشدة حتى لا تغفل عنه للحظة واحدة، مر اليوم كسباق سريع بسرعة فائقة، لكنها الآن آمنة في المبنى، وسرعان ما سيكونان في النصف الآخر من العالم.

سأل "تيوماس":

- هل ستكون هذه عطلة طويلة؟

شعرت "سونيا" أن لسانها مربوط، وقالت أخيرًا:

- أسبوعان على الأقل.

مع العلم أنها إن كانت صادقة، لكانت ستقول إن هناك احتمالًا كبيرًا ألا يعودا إلى ديارهما أبدًا.

قال "تيوماس":

- سيكون "تيدي" وحيدًا.

ابتلعت "سونيا" ريقها، كانت بحاجة إلى بعض الهدوء لتدرك ما يحدث، ولتفكر في أحداث الأيام القليلة الماضية، وبعض السلام لتقييم وضعها، ثم تتحدث معه بعد ذلك وتشرح الأمور بطريقة يفهمها. كان الأمر كبيرًا جدًّا على فتى يبلغ من العمر تسع سنوات ليستوعب أنهما ذاهبان للاختفاء في بلد غريب.

سأل "تيوماس":

- هل يمكنني الحصول على الكعك؟

نظرت إليه "سونيا" وأومأت برأسها، وذهبا إلى ثلاجة الكافيه بالمطار، وفحص "تيوماس" الكعك بعناية، وكأن الاختيار بين كعك الجزر والشوكولاتة كان قرارًا مهمًّا. كانا يجلسان على طاولة وبدأ "تيوماس" بأكل الكعكة عندما رن تليفونها، فحصت "سونيا" الشاشة ورأت رقم "ليبي"، لم ترِد الرد، لكن "تيوماس" نظر إليها باستجواب.

سأل وفي فمه قطعة كعك:

- ألن تجيبي؟

فقررت أنه من الأفضل التعامل بشكل طبيعي قدر الإمكان، وضغطت "سونيا" على زر الرد ووضعت التليفون على أذنها لسماع "ها-آي"، الكلمة التي لا يستطيع أحد سوى "ليبي" أن يقولها.

قالت "سونيا" وهي تبتسم للمكالمة من أجل "تيوماس":

- مرحبًا "ليبي".

قالت "ليبي"، حتى إنها لم تحاول إخفاء نبرة الاتهام في صوتها:

- لم تأتِ إلى "نادي الموضة".

فقالت "سونيا":

- لا، لم أفعل، حدث شيء في آخر لحظة.

- حقًّا؟

انتظرت "ليبي" من "سونيا" أن تعلق على سؤالها وتبرر الأمر، لكنها التزمت الصمت بدلًا من ذلك، وتركت "ليبي" تكمل.

- لقد تحدثنا نحن الفتيات عن كل شيء، ونعتقد أنكِ مكتئبة.

أجابت، وهذه المرة كانت ابتسامة "سونيا" حقيقية:

- هل هذا صحيح؟

قالت "ليبي" وهي تتنفس:

- أجل، إنه سلوك نموذجي لشخص يعاني الاكتئاب أن يبتعد عن العائلة والأصدقاء.

في وقت آخر كانت "سونيا" سترد بغضب، لكنها الآن ضحكت. واضح أن غيابها عن "نادي الموضة" كان مفيدًا أكثر من حضورها، فبهذه الطريقة كانت هي محور الثرثرة الرئيس..

تابعت "ليبي":

- لقد تحدثت حتى مع والدتكِ حول هذا الموضوع، وهي تتفق معي تمامًا.

قالت "سونيا" بود:

- عزيزتي "ليبي"، شكرًا لاهتمامك، لكنني بخير. في الواقع أشعر بسعادة أكثر مما كنت عليه منذ فترة طويلة. وإذا كان بي أي شيء، فأنا أفضل من أي وقت مضى.

ثم أنهت المكالمة وفتحت التليفون وأخرجت بطاقة الاتصال، وكسرتها إلى قسمين وألقتها في كوب قهوة فارغ على طاولة مجاورة، ثم مالت على طبق "تيوماس"، وأخذت قطعة من الكعكة وألقتها في فمها.

بينما كانت تصعد الطائرة في السماء بعد ساعتين، أغلقت "سونيا" عينيها، وجلس "تيوماس" في مقعد بجانب النافذة وهو يضع سماعات الرأس، منشغلًا في فيلم على الشاشة التي أمامه، كان بينهما مقعد فارغ، وابتسمت أثناء ارتفاع العجلات من على الأرض، فلحظة كهذه في طائرة آيسلندية على ارتفاع بضعة أمتار فوق سطح الأرض، كانت أقرب معنى للأمان الحقيقي بالنسبة إليها منذ فترة طويلة جدًّا، فمعها "تيوماس"، ولم يعلم أحد بمغادرتهم البلاد، وحتى إذا تمكن أحدهم من معرفة أنهما غادرا على رحلة إلى فلوريدا، فلن يكون تعقبهم سهلًا.

عزمت على اتخاذ أكبر عدد ممكن من الاتجاهات في رحلتها لتضليل أي مطاردين، وتمنت أن يصلوا إلى مكان هادئ، عاجلًا أم آجلًا، هادئ وبعيد ورخيص العيش، ليمكنها توفير نقودها لأطول فترة ممكنة، وعندما ينتهي، بإمكانها دائمًا طلب المساعدة من "أجلا".

رق قلبها حين ظهر وجه "أجلا" في ذهنها، وتمنت لو لم تكن هناك خلافات بينهما، ولم تكن مشكلات "أجلا" عويصةً للغاية، لدرجة أنها كانت مستعدة أن تحتمل عقوبة السجن. تنهدت "سونيا".

فهذا الفرار كأنه استسلام تام، فقد دمرت كل آمالها في نجاح الأمور مع "أجلا"، وأحلامها في توفير حياة طبيعية بأيسلندا لـ"تيوماس". قد أملت أن تكون النقود التي ادخرتها كافيةً لدُفعة مبدئية لشقة، وأن تتوصل إلى اتفاق للحضانة مع "آدم". لكن ذلك كان قبل أن تكتشف حقيقة الأمور، وقبل أن تكتشف حقيقة "آدم". اقشعر بدنها عندما تذكرت، فقد كانت خاطئة بعزائها لنفسها كل تلك الأوقات أنه على الأقل كان "تيوماس" بأمان مع والده، فلا يمكن لأحد أن يعيش بأمان في منزل تاجر مخدرات كبير. قد خطر لها مرارًا أن تأخذ "تيوماس" وتختفي، لكنها لم تكن قادرة أبدًا على التصالح مع فكرة حرمانه من والده. والآن، وبعد أن عرفت حقيقة الأمر، كان القرار سهلًا. فلا ينبغي لـ"تيوماس" أن يكبر على يد تاجر مخدرات، لذا ستختفي مع الصبي، وسيمكنهما البدء في حياة جديدة وبسيطة لأنفسهما، في مكان آمن، بعيدًا عن أيسلندا.

اهتزت الطائرة، وأُضيئت علامات حزام الأمان. لم يكن هذا أكثر من اضطراب جوي معتاد بجنوب الغطاء الجليدي في "جرين لاند"، وبمجرد أن يجتازا ذلك، سيحظيان بالكثير من الساعات الهادئة في الهواء، وستكون بعدها مسؤولة عن صبي نائم وحقائب سفرٍ داخل سيارة مستأجرة وسط ظلام فلوريدا، تمامًا كما لو كانا في عطلة عادية.

انضم لـ مكتبة
الجزء الثاني قادم
مكتبة
t.me/soramnqraa

#كتب_مختلفة #أيسلندا

"من أفضل 30 رواية جريمة في آخر 40 سنة" - صحيفة "لوطون"

أحيانًا قد يضطرك للخروج من الفخ، الذي تجد نفسك وقعت فيه رغمًا عنك، اللجوء إلى فعل أشياء طالما كنت تراها غير مناسبة. هذا بالضبط ما حدث مع "سونيا" التي انفصلت عن زوجها وتريد أن تفعل أي شيء حتى تحصل على حضانة ابنها وتستطيع العيش معه في أمان، حتى وإن اضطرت لتهريب الكوكايين وتقمص شخصية سيدة الأعمال كي لا تثير الشكوك حولها.

لكن هل تفشل خططها الذكية تلك أمام ضابط الجمارك المحنك؟ وهل ستحصل على ما تريده وتخرج من الفخ وتعيش مع ابنها في أمان؟

ليليا سيجورادوتير

كاتبة أيسلندية، ولدت عام 1972، اشتهرت بكتابة قصص الجرائم والمسرحيات والسيناريوهات. بدأت حياتها المهنية في الكتابة عام 2008. وصدر كتابها الأول "خطوات" ضمن كتب الجرائم عام 2009. ثم اهتمت بكتابات المسرح. وفازت بجائزة المسرح الأيسلندي لأفضل مسرحية عام 2014. وفي عام 2015، بدأت في كتابة سلسلة من كتب جرائم جديدة، وهذا أول كتاب لها في السلسلة المكونة من ثلاث روايات جريمة وقد حققت نجاحًا كبيرًا وتُرجمت إلى لغات عديدة.

اختارتها مجلة نيويورك لمراجعات الكتب كأفضل رواية إثارة للعام 2017، ورشحت لجائزة العمل الأول 2018 بالمملكة المتحدة. كما تم اختيارها من قبل نادي "ذا تايمز" و"ذا صنداي تايمز" من بين أفضل كتب جريمة في آخر خمس سنوات 2020.

العربي للنشر والتوزيع
60 شارع القصر العيني 11451 - القاهرة
ت: 27921943 - 2 (20+) - 27954529 - 2 (20+) فاكس: 27947566 - 2 (20+)
www.alarabipublishing.com.eg
9 789773 195861
WWW.alarabipublishing.com.eg
مازق تشويق جريمة
تصميم الغلاف : أحمد عز